موسوعة

الإعجاز العلمى في الحديث النبوى

أ.د.أحمد شوقى إبراهيم

الجزء السابع





موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى

«الجزء السابع»

الدواب فى البر والبحر

تأليف

أ.د. أحمد شوقى إبراهيم

زميل كلية الأطباء الملكية بلندن

رئيس مجلس إدارة المجمع العلمى لبحوث القرآن والسنة

رئيس مجلس أمناء مؤسسة (الدكتور أحمد شوقى إبراهيم للإعجاز العلمى)

عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

عضو اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو»



اســم الكتــاب: موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى ـ الجزء السابع.
الــدواب فـــى الــبــر والــبــحــر.

الــمــؤلـــف: أ. د. أحمـــد شـــوقى إبراهيـــم.

إشــراف عـــام: داليـــا مـــحـمـــد إبـراهـيـــم.

تـاريـــخ النشــر: الـطـبـعـــة الأولى ـ يـنـايـر 2007م.

رقـــم الإيـداع: 2004 / ????

الترقيم الــدولى: ISBN 977-14-????-?

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابى ـ المهندسين ـ الجيزة
ت: 3466434(02)-3472864(02) فاكس: 3462576(02) ص.ب: 21 إمبابة
البريد الإلكترونى للإدارة العامة للنشر: Publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة ـ مدينة السادس من أكتوبر
ت: 8330287 (02) - 8330289 (02) ـ فـــاكـــس: 8330296 (02)
البريد الإلكترونى للمطابع: Press@nahdetmisr.com

مـركـز الـتـوزيع الـرئيسـى: 18 ش كامـل صدقـى ـ الفجـالـة ـ
القـــاهـــرة ـ ص. ب : 96 الفجـالـــة ـ القـــاهـــرة.
ت: 5909827 (02) - 5908895 (02) ـ فـــاكـــس: 5903395 (02)

مركز خدمة العملاء: الرقم المجانى: 08002226222
البريد الإلكترونى لإدارة البيع: Sales@nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طـريـق الحريـة (رشـــدى)
ت: 5462090 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 47 شارع عبد الســلام عـــارف
ت: 2259675 (050)

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com
موقع البيـــع على الإنترنت: www.enahda.com



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة والسلام على النبى محمد وآله وبعد،،،

فإن الله تعالى خلق الدواب على هذه الأرض بعد أن خلق أسباب وجودها واستمرار حياتها؛ ولأنها تعيش على الشجر والنباتات، فقد خلقها بعد خلق الشجر. وكان خلق الدواب قبل خلق الإنسان بمئات الملايين من السنين، فلقد اكتشف علماء الجيولوجيا وعلماء علم الإنسان ـ بعد طول بحوث ودراسات ـ أن الأرض بدأ خلقها كرة من الصهارى، وتسببت الأمطار الغزيرة فى إطفاء تلك الصهارى بعد عشرات الملايين من السنين، فتكونت القشرة الأرضية الرقيقة التى لا يزيد سمكها على خمسين ميلاً، أما تحت ذلك فصهارى عالية الحرارة جدًا.

وعلى سطح الأرض نشأت البراكين، ومنها نشأت الجبال البركانية فثبتت القشرة الأرضية التى كانت تميد بما عليها، ومن الجبال نبعت الأنهار التى جرت فى الوديان. وما إن توافرت مياه الأنهار حتى ظهرت النباتات والأشجار. وبظهور الأشجار ارتفع مستوى غاز الأوكسيجين فى الغلاف الجوى للأرض.. فتوافرت بذلك أسباب الحياة للدواب، فخلق الله تعالى الدواب.. وظلت مئات الملايين من السنين حتى ظهر الإنسان ـ آدم عليه السلام ـ آخر المخلوقات على هذه الأرض، فوجد كل أسباب الحياة متوافرة أمامه.. وبذلك بدأ الجنس البشرى يعمر الأرض، بعد أن سخَّر الله تعالى له الدواب، وكل ما خلق على الأرض.

فالدواب سخرها الله تعالى للإنسان فى هذه الأرض. والتى لم يسخرها للإنسان خلقها لضرورة التوازن الحيوى فى المخلوقات جميعًا.

ونجد ترتيب ظهور المخلوقات مذكورًا فى القرآن الكريم وفى الحديث النبوى الشريف؛ مما يدل على إعجاز علمى عظيم، كما فى قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ١٨].

فما إن يخلق الله تعالى خلقًا إلا ويبادر المخلوق بالسجود لخالقه عز وجل، وإلا فنى المخلوق. فوجود كل مخلوق هو فى سجوده لخالقه.. حتى الكافر، وجوده فى سجود خلايا جسده لله عز وجل؛ بفطرة خلقها التى فطرها الله تعالى عليها.

ونجد ترتيب ظهور المخلوقات ـ الذى لم يعرفه العلماء إلا حديثًا ـ فى الحديث النبوى الشريف؛ مما يدل على إعجاز علمى عظيم فيه.

فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال:

«خلق الله التربة يوم السبت. وخلق فيها الجبال يوم الأحد. وخلق الشجر يوم الإثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء. وخلق النور يوم الأربعاء. وبث فيها الدواب يوم الخميس. وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة فى آخر الخلق وآخر ساعة من النهار فيما بين العصر إلى الليل».

وذكر الحديث الشريف أيامًا هى من أيام الله التى لا نعرف لها حسابًا إلا ما ذكره القرآن الكريم بقوله: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]. وبقوله عز وجل: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

فأيام الله لا يعرف عددها ولا يحصيها إلا الله عز وجل.

وذكر القرآن الكريم كثيرًا من الآيات الكريمة تذكر خلق الدواب على هذه الأرض. وأنه تعالى ذللها لخدمة الإنسان بصورة أو بأخرى كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلاَ يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٧١ ـ ٧٣].

ولقد أرسل الله تعالى رسوله ﷺ للأمة معلمًا وهاديًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا. وعلمنا ما لم نكن نعلم فى كل أمور حياتنا كما قال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١] فما من شىء من أمور حياتنا الدنيا ـ الخاصة منها والعامة ـ إلا علمنا إياها رسول الله ﷺ. حتى كيف نأكل، وكيف نشرب، وكيف ننام، وحتى كيف نقضى حاجتنا بالطريقة الصحيحة.

ومما علمنا إياه رسول الله ﷺ كيف نتعامل مع كل المخلوقات التى تتصل بنا، ومنها الدواب. وفى هذا الكتاب «الدواب فى البر والبحر» ذكرنا الأحاديث المشرفة عن كثير من الدواب التى تهم الإنسان فى حياته، وكيف يتعامل معها، وكيف يفيد ويستفيد.

وقسمنا الكتاب إلى ثمانية أبواب، كل باب يتحدث عن موضوع واحد، أو عدد من الموضوعات التى لها صلة ببعضها.

▪▪ فكان الباب الأول:

عن الإبل وما جاء عنها فى الحديث النبوى الشريف، وتحدثنا عن أصل الجمل وخصائصه الخِلْقية والخُلُقية، وتكيفه الاجتماعى والنفسى، وحق الإبل فى الراحة بعد السفر، الأمر الذى أشار إليه الحديث النبوى الشريف. وتحدثنا عن ألبان الإبل وأبوالها والدراسات التى تمت فى هذا الموضوع.. ثم تحدثنا عن أعجب ناقة فى التاريخ.. وهى ناقة النبى صالح.

▪▪ الباب الثانى:

عن البقر وطرائق معيشته، وعما جاء عنه فى قصص الأنبياء، ولمَّا كان من أهم الفوائد التى تنفعنا فى البقرة اللحم واللبن. فقد ناقش هذا الباب اللبن، ولحم الإبل والبقر والغنم.

▪▪ الباب الثالث:

عن الغنم وصفاتها ونظام حياتها وأنواعها، وجهازها الهضمى العجيب، ثم كان البحث بعد ذلك عن صوف الأغنام، وجلود الدواب.

▪▪ الباب الرابع:

عن العائلة الخيلية وهى الخيل والبغال والحمير، ومعظم الباب عن الحصان، وتاريخ نشأته، والصفات الجمالية للحصان العربى، وعن سباق الخيل قديمًا وحديثًا.. وكيف سابق رسول الله ﷺ بين الخيل. وذكرنا ما جاء عن العائلة الخيلية فى القرآن الكريم.

كما ذكرنا الصفات العجيبة للحصان وكيف يجرى، وقوة ارتطام حوافره بالأرض، وأشرنا فى البحث إلى ما جاء عن استخدام الخيل فى الجهاد فى سبيل الله.

وذكرنا جانبًا عن الصفات الخلقية للبغال والحمير، وفائدتها للإنسان، وعن أعجب حمار فى التاريخ وهو حمار «عزير»، الذى عاش فى الدنيا مرتين، ومات فيها مرتين!

▪▪ الباب الخامس:

عن حيوانات الغابات والمراعى، ومنها القردة، وصفاتها ونظام حياتها، وعن اليهود الذين مسخوا قردة وخنازير، وما جاء عن ذلك فى الحديث النبوى الشريف.

والذئب وكيف أنه حيوان مفترس، وما جاء عنه فى قصة النبى يوسف مع إخوته.

والثعبان وصفاته وأنواعه، وكيف تحولت عصا موسى إلى ثعبان مبين!

والفيل وهو أكبر دابة على الأرض، وكيف جعله الله تعالى آية فى حرب أبرهة، وكيف إذا وجهوه إلى مكة برك.. وإذا وجهوه إلى اليمن ركض!

▪▪ الباب السادس:

عن دواب البحر والبرمائيات، ومنها الحوت، وصفاته وحياته وما جاء عنه فى الحديث النبوى الشريف وعن علاقته بقصص الأنبياء: موسى عليه السلام، ويونس عليه السلام، وعن علاقة الحوت باليهود الذين كانوا فى القرية «حاضرة البحر» فى زمن النبى داود عليه السلام.

وذكرنا الضفادع وأنواع وطرائق حياتها.. وكيف سلطها الله تعالى على آل فرعون فأهلكتهم.

■■ **الباب السابع:**

عن الدواب اللصيقة بالإنسان، ومنها القط والكلب، وكيف كان الرفق بالحيوان من الأعمال التى ترضى الله تعالى، وذكرنا لماذا نهى الرسول ﷺ عن إمساك الكلاب فى البيوت وإطلاقها للحراسة والمرعى.. وهى أسرار علمية لم يصل إليها العلماء إلا فى عصر العلم الحالى.

■■ **الباب الثامن والأخير:**

عن لحم الدواب الذى حرم الإسلام أكله؛ وذلك لشدة ضرره بالإنسان الذى يأكله، ومنه:

١ـ لحم الخنزير.

٢ـ الميتة والدم.

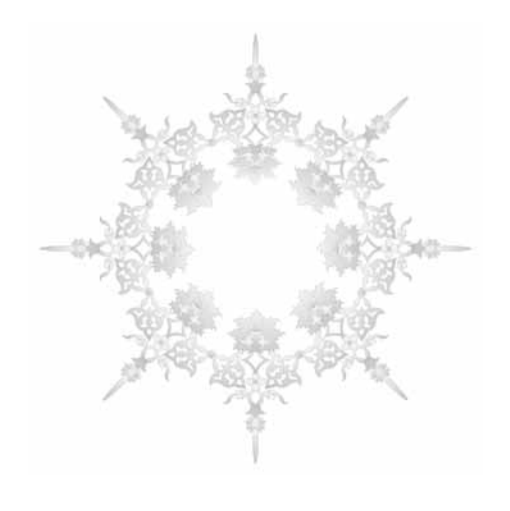
ولقد حرصت على ذكر الحقائق العلمية فى إيجاز شديد، إلا أنه إيجاز لا يخل بالمعنى، كما حرصت على أن تكون لغة الكلام سهلة ومفهومة لكل الناس على اختلاف مستوياتهم العلمية والثقافية.

وأتمنى أن يجد هذا الكتاب ـ وهو السابع فى موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى ـ مكانه فى المكتبة الإسلامية، وأن ينفع الله تعالى به الناس وأن يوفقنى إلى الصواب.

وما توفيقى إلا بالله...

المؤلف

أ.د. أحمد شوقى إبراهيم





الإبــــــــل

صفحة ٨ بيضاء



الباب الأول الإبـــــــــل

■ أخرج الإمام أبو داود، عن عبدالوهاب بن نجدة، عن ابن عياش، عن يحيى بن أبى عمر السيبانى، عن ابن أبى مريم، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر، فإن الله إنما سخرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس**».

■ أخرج الإمام أحمد عن يحيى، عن شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أحد أصحاب النبى ﷺ قال: قام فينا رسول **الله** ﷺ على ناقة حمراء مخضرمة فقال: «**أتدرون أى يوم يومكم هذا؟**» قال: قلنا: يوم النحر، قال: «**صدقتم. يوم الحج الأكبر. أتدرون أى شهر شهركم هذا؟**»، قال: قلنا: ذو الحجة. قال: «**صدقتم. شهر الله الأصم. أتدرون أى بلد بلدكم هذا؟**» قال: قلنا: المشعر الحرام، قال: «**صدقتم. فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا**»... إلخ الحديث الشريف.

■ أخرج الإمام مسلم عن ابن أبى عمر، وعبدالرحمن بن حميد، عن عبدالرزاق، عن مَعْمر، عن الزهرى، قال: رأيت رسول **الله** ﷺ على ناقة بمنى.. والناس يسألونه ويجيبهم.

الرسول طاف حول الكعبة على ناقته

■ أخرج الإمام أحمد عن يزيد، عن مسعر بن كدام، عن عمرو بن مُرَّة، عن سالم بن أبى الجعد، عن أخيه، عن ابن عباس أن النبى ﷺ طاف بالبيت على ناقته يستلم الحجر.

■ أخرج الإمام ابن ماجه عن عبد**الله** بن إدريس، عن حصين، عن عامر، عن عروة البارقىِّ أن النبى ﷺ قال: «**الإبل عز لأهلها. والغنم بركة. والخير معقود بنواصى الخيل إلى يوم القيامة**».

إسناد الحديث صحيح على شرط الشيخين. وإنما انفرد ابن ماجه بذكر الإبل والغنم.

الناقة: الأنثى من الإبل.

البعير: للذكر والأنثى. فيقال للجمل بعير. ويقال للناقة بعير. والجمع: أبعرة. والجمل البازل (أى: الذى انشق نابه) وذلك إذا بلغ التاسعة من العمر، وبعد ذلك يسمى بعيرًا.

الجمل: للذكر من الإبل ـ وقيل يسمى جملاً إذا انشق نابه (أى إذا بَزَل).

الإبل: جمع لا واحد له من لفظه.

﴿**حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ**﴾ [الأعراف: ٤٠].

قرأها ابن عباس رضى **الله** عنهما (الجُمَّل) بتشديد الميم، وهى الحبال الغليظة؛ أى لن يدخل الكفار الجنة حتى يلج الحبل الغليظ من ثقب الإبرة، وهو فرض محال، كما أن دخول الكفار الجنة أمر محال.

وكذلك قرأها الإمام على كرم **الله** وجهه ورضى **الله** عنه.

وإذا قرئت (الجَمَل)، تحقق المعنى أيضًا؛ لأن دخول الجمل ثقب الإبرة محال كذلك.

أصـل الجمـل

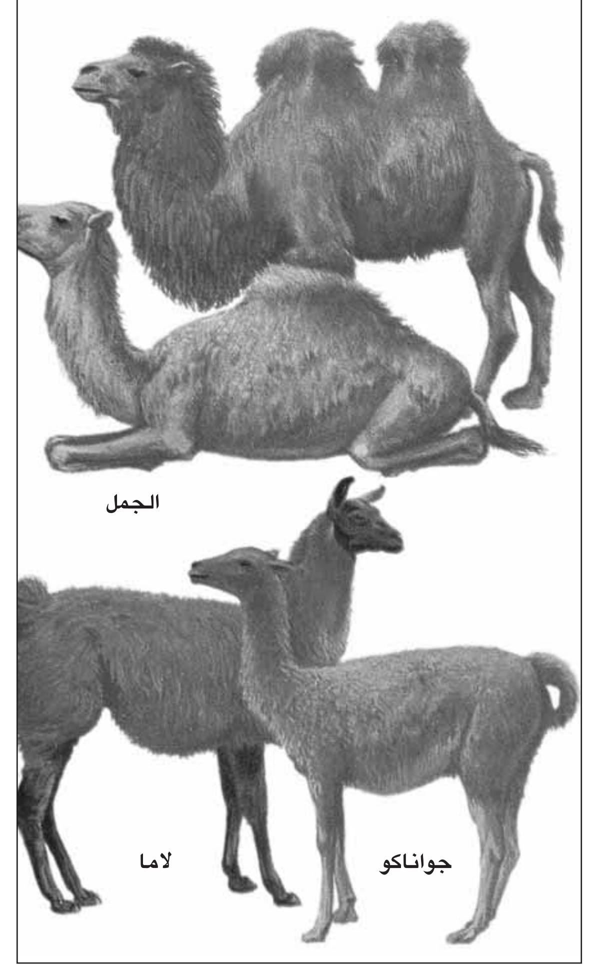
يعود تاريخ الجمل إلى عصور قديمة جدًّا.. ولا يزال البحث جاريًا حتى الآن حول أصل الجمل ونشأته، وموطنه الأول. ولم يصل العلماء إلى أدلة قاطعة حول هذه الدراسات. وتدل الحفريات التى تم الكشف عنها على أن الجمل كان منذ ملايين السنين أصغر حجمًا مما هو عليه الآن، ثم تطور شكل جسمه إلى شكله الحالى.

وتنتمى الجمال إلى ما تحت رتبة تيلوبودا التى تتبع رتبة مشقوقات الحافر، أو الثدييات ذات الحوافر المستوية. وينتمى إلى ما تحت الرتبة نوعان وحيدان ما زالا موجودين فى العصر الحالى فى أمريكا الجنوبية على جبال الإنديز وهما:

الفيكونا والجواناكو المستأنسان، وهما من أنواع اللاما والألباكا.

وتحير العلماء فى وجود الجمل واللاما فى مناطق تفصلها مسافات واسعة والمحيط الأطلسى. فالجمل فى العالم القديم، واللاما فى العالم الجديد (أمريكا الجنوبية)، فكيف وصلت اللاما إلى هناك؟!

ووجد علماء الجيولوجيا الحل، ففى العصور الأولى منذ ملايين السنين، كانت اليابسة قارة واحدة، هى القارة الأم، ثم تشققت وتفرقت إلى قارات، وحدث بعد ذلك ما يسمى بزحزحة القارات أو تباعد القارات، وصارت القارات متباعدة عن بعضها البعض؛ وهذا يفسر وجود الجمل ذى السنام وذى السنامين، وجمل اللاما فى منطقتين بعيدتين عن بعضهما بُعدًا كبيرًا، بل يفصلهما حاجز ليس فى إمكان الجمال عبوره، هو المحيط الأطلسى.



وإذا كان الجمل ذو السنام وذو السنامين سفينة الصحراء، فإن جمل اللاما هو سفينة الجبال.. والنوعان لهما نفس الطباع والخصائص والتحمل، ويقطن الجمل ذو السنام الواحد البلاد العربية وإيران وأفغانستان وأستراليا وإفريقيا، فهو الأكثر شيوعًا فى العالم. والجمل ذو السنامين يقطن وسط آسيا وشرقها وشمالها، شمال جبال الهيمالايا وفى المناطق الجنوبية من منغوليا وسيبيريا.

والإبل عمومًا، دوابٌّ شديدة التحمل، استطاعت أن تتحمل قسوة البيئة التى تعيش فيها؛ لذلك استمرت فى الحياة حتى يومنا هذا.

فالإبل ذات السنام الواحد تتحمل شظف العيش فى الصحراوات القاحلة، مع ندرة الماء فيها، وندرة النبات أيضًا، فضلاً عن الحرارة العالية أثناء الصيف، والبرد الشديد أثناء الشتاء. والإبل ذات السنامين شديدة التحمل، فهى تتحمل شدة الحرارة صيفًا، وشدة البرودة شتاءً فى بلاد تكسو أراضيها الثلوج، ودرجة الحرارة فيها أقل من الصفر المئوى بكثير؛ لذلك يكسو جسمها وبر طويل وكثيف.

ويعيش الجمل نحو خمس وعشرين سنة. وتقسم الإبل أيضًا تبعًا لنوع استخدامها: مثل الإبل الحلوية. والإبل الحمولة، والإبل الركوبة، والإبل التى تربى لأكل لحومها، والإبل التى تربى لأخذ وبرها، وذكر ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ٥ ـ ٧]، وفى قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠].

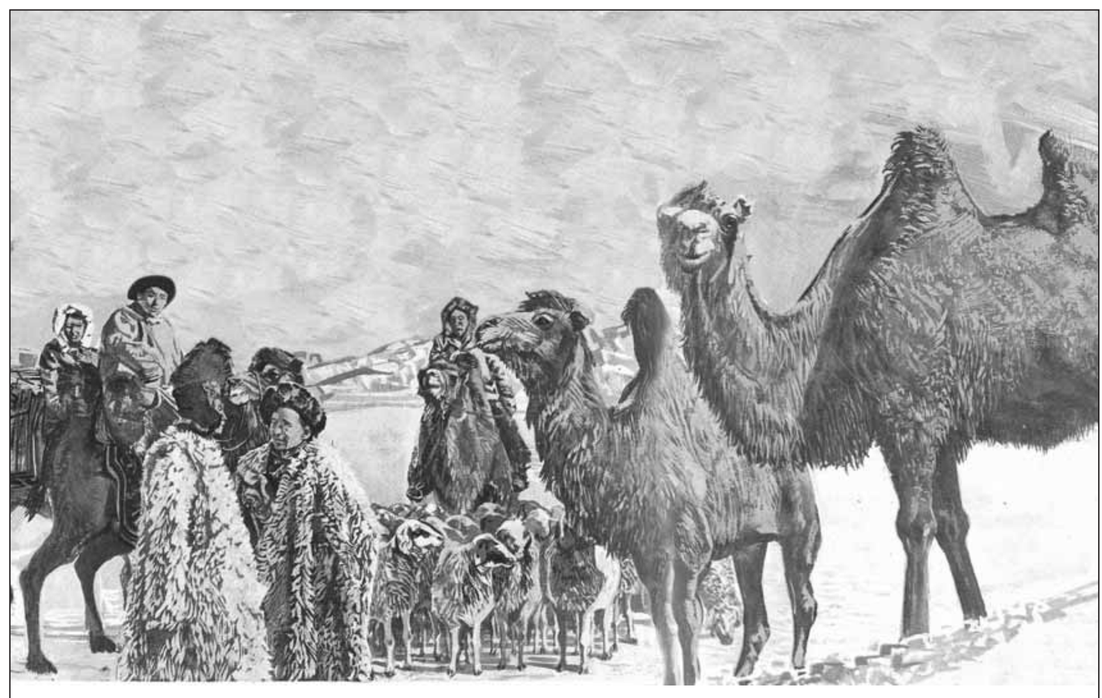
(الأثاث) هو كل ما يلبس، وأنواع المتاع المختلفة.

كما قال الشاعر:

أهاجتكَ الظعائنُ يومَ بانوا

بذى الزى الجميل من الأثاثِ

وذكرت الآية الكريمة وبر الجمل وصوف الغنم وشعر الماعز وغيرها.



يعتبر الجمل ذو السنامين، عند قبائل البدو الرحالة فى أواسط آسيا، وسيلة هامة للمواصلات، فهو يستطيع أن يتحمل البرد القارس، وكذلك الحرارة العالية

الخصائص الخِلْقيـــة للإبـل

لم تخضع الإبل لكثير من الدراسات العلمية فى العالم الغربى، بل لقد أهمل علماء الحيوان دراسة الإبل؛ لأنه حيوان شاع وجوده فى بلاد العالم الشرقى، وليس موجودًا فى العالم الغربى، اللهم إلا اللاما فى أعالى جبال الإنديز فى فنزويلا وبوليفيا وشمال شرق البرازيل وبيرو، وكذلك لم ينهض من علماء العرب من درس الإبل دراسة علمية عميقة.. فكان من الطبيعى أن يظل الكثير من الخصائص الخِلْقية والوظيفية للإبل مجهولاً، ولم يكتشف بعد ذلك، فى الوقت الذى نجد فيه الكثير من الدراسات عن الخيول والبقر وغيرهما من الدواب؛ لأنها توجد فى البلاد الغربية أيضًا.

لذلك إذا حاول أحد الدارسين للإبل البحث عن مراجع علمية لدراسته، فلن يجد إلا القليل من الدراسات، والقليل القليل من المراجع، وحتى إذا وجدها لا يجد فيها العمق العلمى المطلوب عن هذا الحيوان العجيب!

وأجمعت كل الدراسات العلمية عن الإبل على أنها تتوافق فى خصائصها الخلقية والوظيفية مع ظروف البيئة التى تعيش فيها تمام التوافق، الأمر الذى يدل على أن خالق البيئة وما فيها من قسوة وتقلبات الأحوال هو **الله** تعالى الذى خلق الإبل، وجعل فيها تلك الصفات الخلقية والوظيفية التى لا توجد فى الدواب الأخرى.

والإبل أكثر الدواب صبرًا على الجوع والعطش، وأشدها تحملاً للسير مسافات طويلة محملة بالأثقال، ونقلها إلى أماكن مختلفة عبر مسافات طويلة، كما قال تعالى: ﴿**وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [النحل: ٧].

وكما قال رسول **الله** ﷺ: «**إنما سخرها الله لكم**».

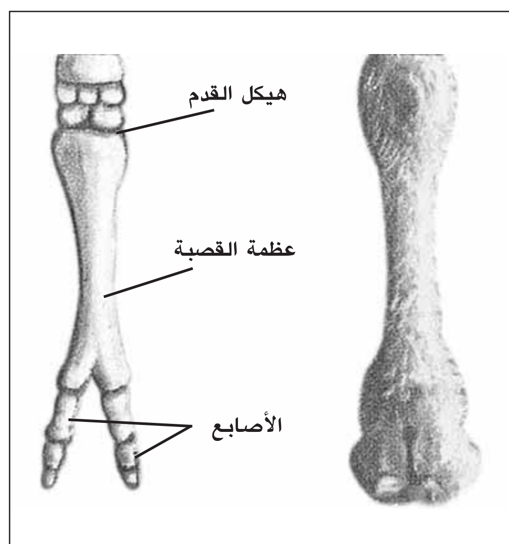
كيف يأكل الجمل؟

يتناول الجمل طعامه بشفتيه العلويتين المشقوقتين، وكثير من طعامه أوراق نباتات شوكية. وجلد الشفتين الداخلى متفرق، فلا يتأثر بالأشواك. ولا توجد قواطع عليا فى فمه، وإنما توجد وسادة خشنة وقوية، وبواسطتها مع القواطع السفلية يقضم الجمل طعامه. فكأن الأسنان فى الفك السفلى سندان، والوسادة القرنية الخشنة الصلبة فى الفك العلوى هى المطرقة! وحركة الفك الأسفل أثناء المضغ حركة رحوية من الجانب إلى الجانب.

مَبارِكُ الجمل:

فى جسم الجمل سبعة مبارك يبرك عليها: عند الرسغ والكوع والركبة من كل جهة، بالإضافة إلى مبرك فى الجزء الأسفل من الرقبة.

وهذا التقرن فى جلد الجمل يعينه على تحمل حرارة الأرض وخشونة الحصى والرمال عندما يبرك على الأرض. ومن العجيب أن الجمل الوليد يخرج من بطن أمه، وبه هذه المبارك المغطاة بالجلد المتقرن؛ مما يدل على أنها من الخصائص الوراثية فى جسم الجمل، وليست من الصفات المكتسبة بعد الولادة.



خُفُّ الجمل:

هو وسادة رخوة وقوية فى آن واحد تحيط بأصبعيه، لكل أصبع ظفر مفلطح كبير. وهذه الوسادة تساعد الجمل على السير فى الصحراء على الرمال الحارة والحصباء الخشنة.

دم الإبل:

يختلف دم الإبل عن دم غيره من الدواب فالكرات الدموية فى دمه بيضاوية الشكل (وهى أقراص مستديرة فى دم الإنسان ودماء الدواب الأخرى).

فترة الحمل:

فترة حمل الناقة تطول إلى اثنى عشر شهرًا، وهو الحيوان المستأنس الوحيد الذى تطول مدة حمله سنة كاملة.

والجمل المولود يعتمد على نفسه فور ولادته وخروجه من بطن أمه على الأرض، فهو الذى يخلص جسده من المشيمة، ويقف على قوائمه بعد وقت قصير. ويتجه إلى ضرع أمه، مهتديًا بفطرة خلقه، فلم يعلمه أحد ذلك، ويهتدى بفطرة خلقه ـ التى فطره الله تعالى عليها ـ إلى حلمات الضرع فيلتقمها ويرضعها! وبذلك يحصل على غذائه من لبن أمه، وكل ذلك يدل على قدرة الله تعالى فى خلقه، ورحمته بهم، ورعايته لهم.

التكيف الاجتماعى والنفسى والخلقى للإبل فى البيئة الصحراوية:

هذا موضوع يثير الدهشة والعجب، ويستدعى التأمل والدراسة لأى عالم فى علم وظائف الأعضاء وعلم التشريح المقارن، وعلم الحيوان، وعلم الأحياء.

إن طريقة حركة الجمل، وتغطية جسمه بالوبر، وطريقة جلوسه وقيامه، وطريقة غلق العينين، وشكل الأذنين والعينين والأنف والرأس والجبهة، والسنام، وحركة القوائم، وطريقة مقاومة الجمل للعواصف، وحس الجمل وذاكرته، وكذلك إنتاج الإبل للبن، وطبيعة تركيب لبن الإبل، كل هذه الأشياء فى الإبل تستحق المزيد من الدراسة من قبل فريق من العلماء، فالجمل حيوان متميز فى توافقه مع البيئة، وتوافق خلق أعضاء جسمه مع وظائفها، الأمر الذى يدل على الإعجاز فى خلق الإبل؛ لذلك أمر الله تعالى عباده بتأمل خلق الإبل، والتفكر فى كيفية خلقها؛ لأنهم إذا فعلوا ذلك توصلوا إلى الإيمان بخالق الإبل وهو الله عز وجل، فقال تعالى: ﴿أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧].

كيف تتحمل الإبل العطش؟

إذا فقد جسم الإنسان ٥٪ من مائه، حدث له جفاف شديد. وإذا فقد ١٠٪ أشرف على الهلاك. أما الجمل فإنه لو فقد ٢٠٪ من ماء الجسم، لظل فى كامل الحيوية والنشاط. فكيف يصبر الجمل على العطش أيامًا عديدة، وكيف يتحمل جسمه فقدان الماء إلى هذه الدرجة العجيبة؟

لا توجد دراسات متعمقة فى هذا الموضوع حتى الآن، فلم يوجه علماء الحيوان والأحياء الاهتمام الكافى للبحث عن الإجابة عن هذا السؤال، وهناك فروض علمية فقط لا تجد الإجابة الشافية، منها مثلاً: هل تحس الإبل بالعطش أم لا؟ ربما لا تحس بالعطش؛ لأن الشعور بالعطش يتم بواسطة مركز خاص بالمخ، وربما يكون هذا المركز غير موجود فى مخ الجمل؛ لذلك لا يحس بالعطش. وربما يكون هذا المركز موجودًا، ولكن إحساسه بالعطش ضعيف. العلماء غير متأكدين من ذلك؛ بسبب عدم وجود دراسات علمية فى هذا الموضوع، إلا أننا نستطيع أن نقول: إن الإبل تشعر بالعطش بكل تأكيد؛ لأنها إذا وجدت مصدرًا لماء شرب نقى، أقبلت عليه وشربت منه كمية كبيرة جدًّا قد تصل إلى عشرين جالونًا من الماء!! إذن، فالجمل يحس بالعطش، إلا أن قوة صبره على العطش تغلب على إحساسه به.

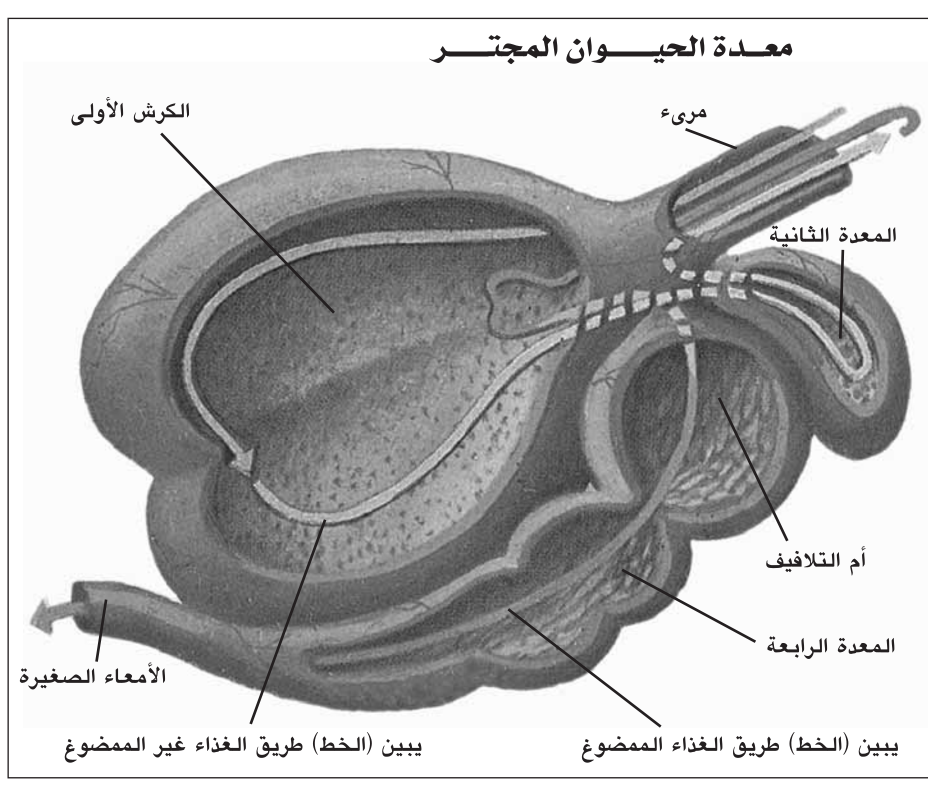
أين يختزن الجمل الماء الكثير الذى يشربه؟

كان الاعتقاد أن الجمل يختزن الماء فى سنامه.. وظلت هذه النظرية معترفًا بصحتها لدى العلماء زمنًا طويلاً، إلى أن ثبت فى عصر العلم الحالى عدم صحتها، فالجمل يختزن الدهون فى سنامه، ولا يختزن الماء فيه.

وقامت نظرية أخرى تقول: إن الجمل يختزن كمية الماء الكبيرة التى يشربها فى كرشه؛ (أى معدته). وذلك بناء على ملاحظة لاحظها كثير من الناس: أنهم بعد أن نحروا إبلاً وجدوا كمية كبيرة من الماء فى كرش كل منها، إلا أنه لا يوجد دليل علمى على تلك النظرية.. والأقرب إلى الحقيقة أن الجمل يختزن الماء الذى يشربه فى أغشية جسمه كلها فيما بين الخلايا.

والجمل حيوان مجتر، ومن أهم أعضاء الجهاز الهضمى ما يسمى بالكرش، كما هو ظاهر بالصورة والجمل لا يختزن الماء فى الكرش ولا فى السنام، وإنما يختزن الدهون فى السنام.. والدهن فى السنام هو المخزون الاحتياطى الذى يستخدمه الجمل إذا تعرض لنقص الطعام أثناء رحلاته فى الصحراء، ويحول الدهن إلى طاقة من خلال التمثيل الغذائى فى الجسم (الأيض)، فإذا كان سنام الجمل يزن أربعين كيلوجرامًا، فإن استنفاد ذلك القدر من الدهن فى عمليات الأيض يمنح الجسم طاقة حرارية تعينه على الحياة أسابيع، دون الحاجة للطعام والشراب؛ لأن عمليات الأيض تولد طاقة وماءً.

معدة الحيوان المجتر



يتم ابتلاع الغذاء دون مضغ، ويختزن فى الكرش الأولى حتى تمتلئ، ويبدأ الحيوان فى الاجترار. ثم يمر الغذاء إلى المعدة الثانية، حيث تتم تجزئته إلى كراتٍ تدفع إلى الفم حيث تمضغ. وعندما يعاد ابتلاع الطعام، يمر إلى أم التلافيف التى تقوم مقام المرشح، فتسمح فقط للطعام الجيد الطحن والسائل القوام بالمرور إلى المعدة الرابعة حيث تبدأ عملية الهضم.

ولا يفقد الجمل إلا القليل من الماء، فلا توجد بجلده غدد عرقية، وبوله قليل ومركز، وكذلك لبن الناقة ـ إذا لم تشرب ماء لأكثر من أسبوع ـ يكون مركزًا إلى حد كبير.

ولا يوجد لدى الجمل وسائل للتخلص من الحرارة؛ لذلك ترتفع حرارة جسمه أثناء سير القوافل فى الصحراوات أثناء فصل الصيف، ولكنه جُبل على تحمل العطش وتحمل ارتفاع الحرارة أيضًا..

ويستمد الجمل الماء ـ إذا لم يجد ماء يشربه ـ من أغشية الجسم؛ لذلك يهزل جسمه وينحف، ولا يفقد الماء من بلازما الدم.

أما الإنسان فإنه فى حالة العطش الشديد، يفقد ماءً من أغشية الجسم ومن الدم أيضًا ولم يتوصل العلماء إلى حقيقة نهائية فى كيفية اختزان الإبل للماء فى أبدانها. وكل ما وصل إليه العلماء مجرد نظريات، ولا يزال فى خلق الإبل من الإعجاز ما لم يكتشف حتى الآن.

يلفت القرآن الكريم نظر العلماء والباحثين. فيقول تعالى: ﴿**أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**﴾. ودراسة أى حقيقة تكون على درجتين من البحث:

الدرجة الأولى: البحث عن الإجابة عن السؤال: ما هذا الذى أرى؟ وهذا يوصل الباحث إلى الحقيقة العلمية.

الدرجة الثانية: البحث عن الإجابة عن السؤال: كيف حدث هذا الذى أرى؟ وهذا يوصل إلى معرفة أسرار الخلق، وإلى الإيمان بالخالق عز وجل؛ لذلك قال **الله** تعالى: ﴿**أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**﴾؛ فالاستجابة إلى السؤال الذى تلقيه الآية دعوة إلى التفكر فى كيفية الخلق، وبالتالى الإيمان بالخالق عز وجل.

شكل الأنف:

يمكن للجمل أن يفتح ويغلق فتحتى أنفه، وهذا يعينه على تفادى الأتربة والرمال. ففى أثناء العواصف الرملية يغلق فتحتى أنفه، وبهذا يحمى جهازه التنفسى من دخول الغبار والرمال فيه. كما يغلق عينيه أيضًا. ومن العوامل المساعدة الأخرى: أن فتحتى أنفه موجودتان على جانبى الرأس، وليس فى مقدمته؛ مما يجعلهما تتفاديان تيار الهواء أثناء عواصف الصحراء. وفى ذلك إعجاز فى الخلق مدهش وعجيب! وفتحتا الأنف تشبهان فتحة الفم، وبذلك يسهل غلقهما عند اللزوم.

شكل العينين:

العينان كرويتان وبارزتان فوق مستوى الرأس؛ حتى يستطيع الجمل أن يرى كل ما حوله، ولكن ذلك يعرض العينين لتيارات الهواء والرمال والحصباء أحيانًا.

فما هى عوامل الحماية لعينى الجمل؟ إنها ثلاثة عوامل:

١ـ الجبهة أعلى من مستوى العينين.

٢ـ العينان ليستا فى مقدم الرأس، ولكنهما على جانبيه.

٣ـ جفون العينين طويلة وسميكة ولها رموش طويلة وكثيفة.

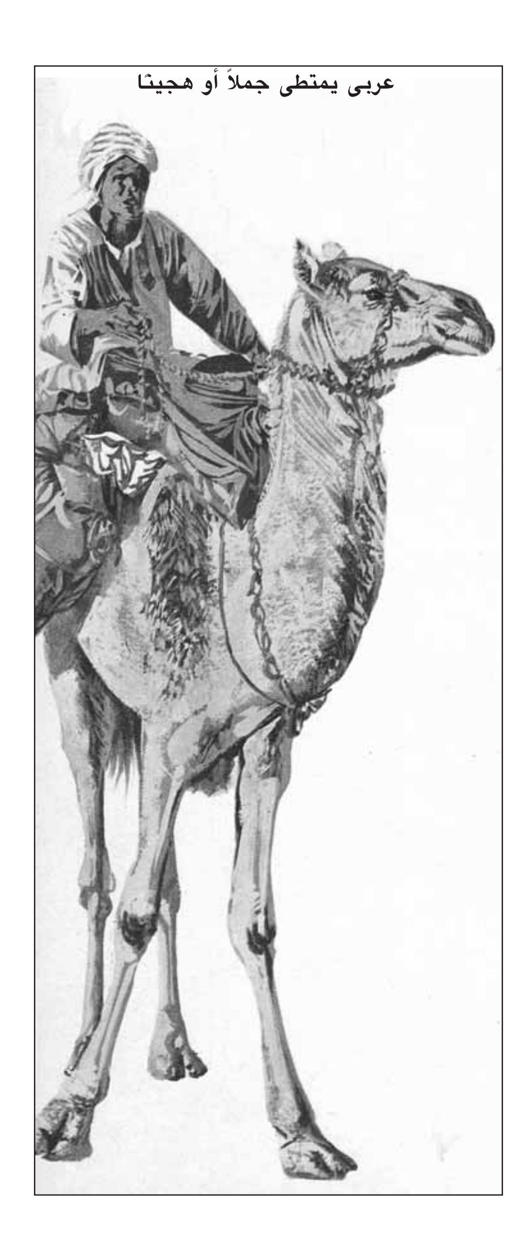
فإذا حدثت عاصفة رملية، أغلق الجمل جفونه، وأُكمل الإغلاق بتلاقى رموشها الطويلة الكثيفة، وبذلك تكوَّن شبكتان مُحكمتان تحميان العينين من الأتربة والرمال. ويلاحظ الدارسون أن فى نظرات الجمل كل معانى الكبرياء.

شكل الأذنين:

لا يستطيع الجمل أن ينظف أذنيه إذا دخلت الرمال فيهما؛ لذلك خلق **الله** تعالى أذنى الجمل بهندسة إنشائية تجعله يتفادى دخول الأتربة والرمال فيهما، فالأذنان على شكل بيضتيْن، وبإمكان الجمل أن يحركهما بعيدًا عن تيار الهواء.

شكل الفم:

فتحة الفم منحنية على الجانبين، وهذا يساعد الجمل على اختزان اللعاب. وإذا كانت نظرات الجمل تدل على الكبرياء والشعور بالسيادة، فإن شكل الشفتين وفتحة الفم يصور معنى الاستياء!


عربى يمتطى جملاً أو هجينا

شكل الرقبة:

الرقبة طويلة جدًا، وعدد فقراتها سبع مثل باقى الدواب، ومثل عنق الإنسان ولكنها فقرات مستطيلة، وذلك يساعده على الوصول إلى فروع الأشجار العالية، وطول قوائم الجمل يتناسب مع طول رقبته.. وكما يمد رقبته إلى أعلى ليصل إلى أغصان الشجر، فكذلك يمد رقبته إلى أسفل ليشرب الماء، وهو واقف على قوائمه.

ومن العجيب أن يشرب الماء وهو واقف على قوائمه، فكيف يصعد الماء فى المرىء إلى أعلى ضد الجاذبية الأرضية؟!

لابد أن عضلات مرىء الجمل قوية وتقدر على ذلك، وذلك إعجاز فى خلق الإبل قد لا يخطر على بال أحد!

وأثناء جلوس الجمل، وعملية الاجترار، تُدفع محتويات الكرش إلى أعلى حتى تصل إلى الفم. وحركة رأس الجمل عجيبة أيضًا، فيمكن أن تكون فى حدود ١٨٠ درجة! فالجمل يستطيع أن يحرك عنقه فى أى اتجاه، وبذلك يمكنه أن يرى من كل الاتجاهات! فيرى من أمام ويرى من خلف. والرقبة منحنية، وذلك الانحناء يساعد على رفع الرأس دون بذل جهد كبير.

توزيع الوبر على الجسم:

الوبر يغطى جسم الجمل، ويتأثر الوبر بحالة العطش. فإذا عطش الجمل، يصير وبره جافًا وبدون بريق، أما إذا ارتوى فإن وبره يصير ناعمًا وبراقًا. ويتوزع الوبر على جسم الجمل بحيث يكون أكثر كثافة فى الأماكن التى تتعرض للحرارة أو البرودة أكثر من غيرها.

السِّنام:

ذكر بعض علماء الحيوان فى أوروبا أن سِنام الجمل يسبب له قبحًا فى شكله. ولكن علماء الحيوان العرب يقولون: إن الجمل حيوان جميل المنظر، ولا يقلل السنام من جمال منظره، فالبقرة لها ما يشبه السنام فيما بين العنق والظهر، ولا يقلل ذلك من جمال منظرها.

طريقة مشية الجمل:

يختلف الجمل فى مشيته عن الدواب الأخرى، فهو يحرك قائمتيه اليمنى الأمامية واليمنى الخلفية معًا، إلى الأمام أو إلى الخلف، تتبعها حركة قائمتيه اليسرى الأمامية واليسرى الخلفية معًا. ونتيجة لحركة قوائمه أثناء المشى يحدث تأرجح لراكب الجمل، وسرعة الجمل أثناء المشى نحو خمسة كيلومترات فى الساعة.

ماذا يحدث فى السباق بين الخيل والإبل؟ الخيل تسبق الإبل فى سباق المسافات القصيرة، إلا أن الإبل تسبق فى سباق المسافات الطويلة جدًّا.

ويحمل الجمل أثقالاً قد تزن أكثر من وزنه، ويستطيع أن يحملها من مكان إلى مكان بعيد.

الدراسة النفسية للجمل:

الجمل يتميز بالشعور بالكبرياء، ولا ينسى من يسىء إليه، ولديه طبع الثأر ممن أساء إليه. والإبل لا تبادر بالهجوم. ومن طبيعة الجمل حبه لفرض سيطرته على من هو أقل منه فى القطيع. وللإبل آداب مُتَّبعة، فالإبل طبقات: طبقة مقدمة على غيرها، وذلك تبعًا للعمر والقوة. فعند ورود القطيع إلى مورد الماء، لا تتدافع الإبل كما يحدث فى الدواب الأخرى، ولكنها تتقدم للشرب بنظام متبع، تتقدم الإبل من الطبقة الأولى للشرب أولاً، وإذا حدث أن بعض الجمال من الطبقة الثانية أو الثالثة غلبه العطش، وحاول أن يتقدم إلى الماء ويزاحم الإبل التى تشرب، ترده تلك الإبل إلى الخلف بركله بأرجلها. وإذا ارتوت الإبل من الدرجة الأولى انصرفت عن مورد الماء، وتقدمت الإبل من الطبقة التى تليها.. وهكذا.

وإذا غضب الجمل فإنه يبصق تعبيرًا عن غضبه، وللجمل ذاكرة طبوغرافية، وبواسطتها يتذكر طريقه جيدًا.

ويتصل الجمل بالناقة مرة واحدة كل عام، ويعلن رغبته الجنسية بإخراج لهاته بجانب الفم (ويسمَّى ذلك بضرب الجلة). ويحدث الاتصال الجنسى بعد ولادة الناقة بشهرين. وبعد ذلك يفقد رغبته الجنسية تمامًا لعام قادم كما تفقد الناقة تلك الرغبة أيضًا. فالهدف حفظ النوع، لا غير.

ومعظم أنواع الجمال لا يتصل جنسيًّا بالناقة إلا فى خلوة، وفى مكان لا يراه أحد، ولو حاول أحد أن يشاهده وهو فى هذه الحالة، فإنه يهجم عليه ويعضه ويوسعه ركلاً.

طريقة نحر الجمل (ذبحه):

أثبتت الدراسات أن الجمل عندما يساق إلى النحر يعلم ذلك، فيحدث له هياج. ويستاء جدًّا من رؤيته للدم. ويفزع من منظر جمل ينحر أمامه؛ لذلك فالذى يريد نحر الجمل يُحضر الجمل إما بالقهر وإما بالحيلة، وذلك باستخدام جمل صغير لا يدرك ما يدركه الجمل الكبير . ويسحب الجمل المراد نحره وراء ذلك الجمل الصغير، فمن عادة الجمل النظر إلى ذيل الجمل الذى يسبقه، ولا يحيد بنظره عنه. فيدخل الصغير، ويدخل وراءه الجمل المراد نحره، ويتم النحر بضربة وخزية أسفل الرقبة تقطع شرايين الرقبة، وليس بضربة قطعية كما يحدث فى الذبح.

سخر **الله** تعالى الإبل للإنسان، يجد فيها مأكلاً من لحومها ومشربًا من ألبانها، كما تحمل له أثقاله من بلد إلى بلد لم يكن بالغه إلا بشق الأنفس. والجمل القوى الضخم يمكن لطفل صغير أن يسحبه، وينصاع له؛ لأن **الله** تعالى سخره للإنسان، وهذه آية من آيات **الله** فى خلقه، وتتضح هذه الآية، عندما نجد أن بعوضة أو برغوثًا صغيرًا لم يسخره **الله** للإنسان يصيبه بالأذى.

قال **الله** عز وجل عن تسخير الإبل للإنسان:

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٦، ٣٧].

وفسر رسول **الله** ﷺ الآيتين وجعل لهما امتدادًا جديدًا فى حديثه ﷺ الذى رواه الإمام أحمد عن أبى هريرة: «**إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر، فإن الله إنما سخرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشِق الأنفس**».

حـــق الإبل فى الراحـــة فى الســـفر

■ روى الأئمة مسلم وأحمد وأصحاب السنن، عن زهير بن حرب، عن جرير بن سهل، عن أبيه، عن أبى هريرة قال: قال رسول **الله** ﷺ: «**إذا سافرتم فى الخِصْب، فأعطوا الإبل حظها من الأرض، وإذا سافرتم فى السَّنَةِ، فأسرعوا عليها السير. وإذا عَرَّسْتُم بالليل، فاجتنبوا الطريق، فإنها مأوى الهوام بالليل**»، وفى رواية أخرى: «**فإنها طرق الدواب، ومأوى الهوام بالليل**».

الخصب: كثرة العشب والمرعى (ضد الجدب).

السنة: القحط. كما قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾** أى بالقحوط.

وإذا عرستم: التعريس النزول فى أواخر الليل للنوم والراحة ـ وهذا من آداب السير.

فإنها طرق الدواب ومأوى الهوام بالليل: لأن الحشرات ودواب الأرض التى تؤذى الإنسان والإبل والسباع وغيرها، تمشى على الطرق فى الليل؛ لذلك إذا عَرَّس الإنسان فى الطريق ربما مر به ما يؤذيه، فينبغى أن يبتعد عن الطريق.

■ وروى الإمام أبو داود عن عبدالوهاب بن نجدة، عن ابن عياش، عن يحيى بن أبى عمر السيبانى، عن ابن أبى مريم، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ قال: «**إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر، فإن الله إنما سخرها لكم؛ لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس**».

■ وروى الإمام أبو داود عن أبى يعقوب، عن الحسن بن سعد مولى الحسن بن على، عن عبد**الله** بن جعفر قال: أردفنى رسول **الله** ﷺ خلفه ذات يوم، فأسر إلىَّ حديثًا لا أحدث به أحدًا من الناس. قال: فدخل حائطًا لرجل من الأنصار، فإذا جمل، فلما رأى النبى ﷺ حنَّ وذرفت عيناه، فأتاه النبى ﷺ فمسح ذِفْرَاه فسكت، فقال النبى ﷺ: «**من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟**» فجاء فتى من الأنصار فقال: إنه لى يا رسول **الله**. فقال ﷺ: «**أفلا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله إياها، فإنه شكى إلىَّ أنك تجيعه وتُدئبه**» أى تجهده.

فدل هذا الحديث على أن للدواب حقوقًا على صاحبها، وأن الإسلام أولى الاهتمام بذلك.

■ وروى مسلم وابن ماجه هذا الحديث من فضائل عبد**الله** بن جعفر، ولكن ليس فى روايتهما قصة الجمل، ولم يذكرها إلا أبو داود فى سننه.

كل جزء فى جسم الجمل يحقق الغاية من خلقه تمامًا، ويتوافق مع البيئة التى يعيش فيها. وينبه **الله** تعالى عباده إلى الإعجاز فى خلق الإبل فيقول جل جلاله: ﴿**أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ**﴾ [الغاشية: ١٧ ـ ٢٠].

هذه الآيات الأربع قليلة الكلمات، كبيرة المعنى، تخاطب الإنسان العربى الأول، وتطلب منه النظر والتدبر فى كتاب **الله** المنظور ـ وهو هذا الوجود الذى يشاهده الإنسان ـ فينظر إلى الدواب، وإلى السماء، وإلى الجبال، وإلى امتداد الأرض أمامه.

الإنسان العربى راكب الجمل يتفكر فى عظمة خلق **الله** تعالى لهذه الدابة، وكيفية إبداع صنعه فيها. فيتذكر الخالق عز وجل، فيرفع بصره إلى السماء، ويشاهد ما وقع عليه نظره منها، فيتعجب ويمتلئ قلبه رهبة وخشوعًا، فيطأطئ رأسه، فتقابل عيناه رءوس الجبال، فينظر إليها، ويتفكر فى إبداع خلقها، وكيفية انتصابها على الأرض راسية شامخة، فيطأطئ رأسه خاشعًا. وتقابل عيناه الأرض أمامه بسهولها، فيتعجب ويتفكر كيف جعلها **الله** مسطحة وممتدة.

الآيات الكريمة فى سورة الغاشية خاطبت الإنسان العربى الأول، وتخاطب كل إنسان يركب الجمل فى الصحراء، والطرق الجبلية، وتحثه على التفكر فى كيفية خلق الإبل وكيفية رفع السماء، وكيفية إرساء الجبال فوق الأرض، وكيفية امتداد الأرض مسطحة أمامه.. والتفكر فى كيفية الخلق يؤدى بالإنسان العاقل إلى معرفة الخالق عز وجل، والإيمان به.

أبـــوال الإبل وألبـانهـــــا

■ روى الأئمة البخارى ومسلم وأحمد وأصحاب السنن، عن هشيم، عن عبدالعزيز بن صهيب، وحميد عن أنس بن مالك: أن ناسًا من عُرينة[١] قدموا إلى رسول **الله** ﷺ فى المدينة، فاجتَوَوْها[٢]. فقال لهم رسول **الله** ﷺ: «**إن شئتم أن تخرجوا إلى إبل الصدقة وتشربوا من ألبانها وأبوالها**» ففعلوا وصحّوا... إلخ الحديث الشريف.

■ وفى رواية حجاج بن أبى عثمان، عن أبى رجاء مولى أبى قلابة، عن أبى قلابة، عن أنس بن مالك: أن نفرًا من عُكْل[٣] قدموا على رسول **الله** ﷺ فبايعوه على الإسلام فاستوخموا الأرض[٤]، وسقمت أجسامهم. فشكوا ذلك إلى رسول **الله** ﷺ فقال: «**ألا تخرجون مع راعينا فى إبله، فتصيبون من ألبانها وأبوالها؟**» قالوا: بلى. فخرجوا فشربوا من ألبانها وأبوالها فصحّوا... إلخ الحديث الشريف.

■ روى الإمام أحمد فى المسند عن حسن، عن ابن لهيعة، عن عبد**الله** بن هبيرة، عن حنش بن عبد**الله**، أن ابن عباس قال: قال رسول **الله** ﷺ: «**إن فى أبوال الإبل وألبانها شفاء للذربة بطونهم**».

(للذربة بطونهم): أى الذين فسدت بطونهم ومرضت بمرض حاد.

(١) عُرينة هى من أحياء البادية.
(٢) أى كرهوا الإقامة فيها لمرض أصابهم. فاجتَوَوْها من الجوى، وهو داء فى البطن.
(٣) قبيلة من عدنان.
(٤) أى لم توافقهم المدينة، ولم يرضوا بالإقامة فيها.

قال ابن سينا فى (القانون) إن فى لبن الناقة دواءً نافعًا، ولو أن إنسانًا مريضًا أقام عليه بدل الماء والطعام لشفى.

وكتاب القانون لابن سينا يتحدث عن الطب النظرى والعملى والدوائى. وطبع هذا الكتاب فى روما سنة ١٥٩٣م. وترجم إلى اللاتينية عام ١٥٩٥م. ومنه تعلم الغرب أصول الطب.

وقال الرازى: لبن الناقة يشفى من أوجاع الكبد.

وذكرت الأخبار المأثورة عن البادية فى العصر الحالى أن نفرًا من البادية عالجوا أربعة أشخاص مصابين بسرطان الدم، وقد أقبلوا من البلاد الغربية بعد أن فقدوا الأمل فى الشفاء. فجاءوا بهم إلى بعض رعاة الإبل، وخصصوا لهم مكانًا فى بعض الخيام، ومنعوا عنهم الطعام والشراب أربعين يومًا، واقتصر طعامهم اليومى على لبن الإبل مع شىء من بولها (خاصة الناقة البكر التى ترعى من النباتات البرية) وقد شفوا جميعًا، وصاروا فى قمة النشاط.

وذكرت دراسة علمية لبعض الأطباء أن لبن الناقة يشفى من تشمع الكبد، والربو الشعبى، ومرض السكر، ويقوى عظام الأطفال، وهو خير وقاية من مرض الكساح، وأن لبن الناقة يقوى اللثة، ويقى من مرض الإسقربوط، بسبب احتواء لبن الإبل على نسبة عالية من فيتامين ج.

وذكرت دراسات أخرى أن فى لبن الإبل أحماضًا أمينية تشبه فى تركيبها هرمون الأنسولين، وهذا هو سر علاج مرضى السكر بلبن الإبل، كما أن نسبة الدهون فى لبن الإبل قليلة، وذلك سر فائدتها لصحة شرايين الجسم.

وذكرت دراسة من قسم الأغذية بكلية الزراعة بجامعة الفاتح فى ليبيا أن ألبان الإبل هى الأفضل من حيث ثراؤها بالعناصر الغذائية. وقارن العلماء لبن الإبل بلبن البقر، بعد كارثة أمراض جنون البقر، التى تحدث بين الحين والحين، فوجدوا أنه لبن لا ضرر فيه وأنه لم يُسمع عن أى إنسان مرض من جراء تناوله للبن الإبل.

ووجدوا أن نسبة الكازين فى لبن الإبل تصل إلى ٧٠٪ من البروتين، وهذا يجعله سهل الهضم، سهل الامتصاص، كما أن حبيبات الدهون فى لبن الإبل أصغر فى الحجم من حبيبات الدهون فى الألبان الأخرى، مما يزيد من سهولة الهضم والامتصاص.

وثبت أن لبن الإبل يحتوى على مواد تقاوم السموم والميكروبات، كما يحتوى على مواد تزيد القوة المناعية للأمراض، وقد يكون فى ذلك السر فى فائدة لبن الإبل فى علاج كثير من الأمراض.

رأى المؤلف:

لا نعترض على فوائد لبن الإبل من الناحية الغذائية والعلاجية، وأما الذين اعترضوا على أن فى لبن الإبل مواد تقاوم السموم، ومواد تزيد المناعة، فإننا نرد عليهم ونقول: لقد حدث مثل هذا الاعتراض فى الحبة السوداء من قبل. فلقد روى الشيخان عن أبى هريرة أن رسول **الله** ﷺ قال: «**إن فى الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السَّام**» واعترض عليه من اعترض من أعداء الدين، حتى ثبت بالدراسة العلمية فى فلوريدا التى قام بها الدكتور أحمد القاضى عام ١٩٨٦م أن فى الحبة السوداء مواد تقوى المناعة، وتعالج أمراض نقص المناعة، مثل الأمراض السرطانية، والإيدز، والذئبة الحمراء، وغيرها مثل مرض الربو الشعبى وأمراض تسببها الميكروبات والفيروسات.

وكذلك ما حدث فى التجارب التى أجريت على التمر، فقد روى الشيخان أن رسول **الله** ﷺ قال: «**من تصبَّح بسبع تمرات لم يضره فى ذلك اليوم سم ولا سحر**». وقد أنكر بعض الجهلاء هذا الحديث النبوى، ولم يصدقوه، إلى أن أثبت العلماء البريطانيون صحة الحديث من الناحية العلمية[*].

العلاج بأبوال الإبل:

تحدث كثير من الباحثين فى فوائد العلاج بأبوال الإبل، وسنذكر بعض ما ذكره أولئك الباحثون عن دراساتهم وتجاربهم فى هذا الموضوع كالآتى:

قام الدكتور أحمد عبد**الله** أحمدانى عميد كلية المختبرات الطبية بجامعة الجزيرة السودانية بتجربة علمية باستخدام بول الإبل لعلاج تشمع الكبد وتليُّفه وما نتج عن ذلك من استسقاء البطن، أثبتت نجاحها.

وبدأت التجربة بإعطاء المريض يوميًّا جرعة محسوبة من بول الإبل مخلوطًا بلبن الإبل، وقال: (كانت النتيجة مدهشة للغاية؛ فقد اختفى الاستسقاء بعد أسبوعين من بدء العلاج).

وذكر الدكتور أحمدانى أنه أجرى الكشف بالموجات الصوتية لخمسة عشر مريضًا وثبت إصابتهم بتشمع الكبد Fatty Liver، واستجاب جميعهم للعلاج بأبوال الإبل لمدة شهرين.

وثبت أن بول الإبل يحتوى على كمية كبيرة من البوتاسيوم، والزلال، والماغنسيوم وقال: (إن مرض الاستسقاء ينتج عن نقص فى الزلال والبوتاسيوم، وبول الإبل غنى بالاثنين معًا).

وقال الدكتور أحمدانى: إن بعض الشركات العالمية استخدمت بول الإبل فى صناعة أنواع ممتازة من (شامبو) الشعر، وإن أفضل أنواع الإبل التى يمكن استخدام بولها فى العلاج هى الإبل الصغيرة التى لم تحمل بعد.

وكانت الريادة فى استخدام بول الإبل فى العلاج للدكتورة أحلام العوضى بالاشتراك مع الدكتورة ناهد هيكل الأستاذة بالأقسام العلمية بكلية التربية للبنات بجدة، وكان لهما السبق فى استخدام بول الإبل فى علاج الأمراض الجلدية الفطرية، كما استخدمتا فى العلاج سلالات بكتيرية معزولة من بول الإبل.

وأشرفت على رسالة ماجستير للدكتورة منال القطان التى نجحت فى تأكيد فاعلية مستحضر تم تحضيره من بول الإبل ـ وهو أول مضاد حيوى يصنع بهذه الطريقة على مستوى العالم، وذلك بالتعاون مع الدكتورة أحلام العوضى، والمستحضر زهيد الثمن جدًّا، الأمر الذى يجعله فى متناول الجميع.

وثبت بعد ذلك نجاح المستحضر الجديد فى القضاء على الفطريات أيضًا، وبالتالى نجاح استعماله فى الأمراض البكتيرية، والأمراض الفطرية أيضًا.

وتقول الدكتورة أحلام العوضى: إن ذلك المستحضر من بول الإبل رخيص الثمن، وسهل التصنيع، وله أثر علاجى فعال فى علاج الأمراض الجلدية مثل الأكزيما، والحساسية، والجروح، والحروق، كما أنه علاج مفيد للأمراض الخبيثة، ولا توجد آثار جانبية له.

وفى رسالة ماجستير مقدمة من مهندس بالكيمياء التطبيقية ويدعى محمد أوهاج محمد وعنوانها: (دراسة فى المكونات الكيميائية وبعض الاستخدامات الطبية لبول الإبل العربية).

(*) انظر موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى، الجزء الخامس ص ١٢١.

(A study on the chemical composition and medical uses of the urine of some of the arabian camels).

تحدثت الرسالة عن تاريخ التداوى بأبوال الإبل منذ قرون عديدة، وأثبتت الدراسة بواسطة التجارب التطبيقية الطبية على ثلاثين مريضًا يعانون الاستسقاء نجاحَ العلاج بواسطة مستحضرات معملية من بعض مكونات بول الإبل، وأثبتت التجارب الآتى:

١ـ أن بول الإبل ذو تركيز مرتفع Osmolality مقارنة بأبوال الغنم والبقر والإنسان.

٢ـ بول الإبل يعمل كمدر لبول المريض الذى يتعاطى الدواء، ولكنه لا يؤثر فى مستوى البوتاسيوم بالدم، كما تفعل المدرات الأخرى.

٣ـ بول الإبل يحتوى على نسبة عالية من البوتاسيوم والبروتينات.

٤ـ بول الإبل له تأثير علاجى واضح فى بعض الأمراض البكتيرية والفيروسية.

٥ـ يستخدم بول الإبل فى علاج الجلطة الدموية؛ فهو يحلل المادة المسببة للتجلط وهى Fibrin.

وخلص البحث إلى وجود الدليل العلمى على صدق الحديث النبوى عن فائدة العلاج بلبن الإبل وأبوالها.

رأى المؤلف:

كثير من العلماء لا يوافقون ألبتة على مثل تلك البحوث العلمية، وينكرون تمامًا أى تأثير علاجى للبن الإبل وأبوالها.. ومن رأيى أنه لا ينبغى لأى عالم أن يرفض شيئًا إلا بعد أن يجرى عليه تجارب علمية دقيقة.. ويتخذ من تلك الآراء فرضًا علميًّا Hypothesis، أما أن يرفضها دون أى دراسة أو تجارب علمية، فإن ذلك لا يقره أى منهج علمى للدراسة والبحث.. وأدعو العلماء أن يُجْروا العديد من التجارب العلمية على ألبان الإبل وأبوالها، كما حدث فى جامعتى الجزيرة بالسودان، وجدة بالسعودية.

كيف تمرض الإبل بالجرب؟

■ روى الإمام أحمد عن أبى سعيد، عن زائدة، عن سِمَاك، عن عكرمة، عن ابن عباس رضى **الله** عنهما، أن رسول **الله** ﷺ قال: «**لا عدوى ولا طِيَرة ولا هامة ولا صفر**». فقال رجل: يا رسول **الله** الإبل السليمة تكون فى الإبل الجربة فتجربها. فقال النبى ﷺ: «**فمن أعْدَى الأول**؟!».

■ روى الإمام البخارى عن إبراهيم بن سعد، عن صالح، عن ابن شهاب، عن أبى سلمة بن عبدالرحمن وغيره، عن أبى هريرة، أن رسول **الله** ﷺ قال: «**لا عدوى ولا صفر ولا هامة**». فقال أعرابى: يا رسول **الله**، فما بال الإبل تكون فى الرَّحْل كأنها الظباء، فيأتى البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها؟ فقال ﷺ: «**فمن أعدى الأول**؟».

■ وروى الإمام مسلم الحديثَ بنفس الإسناد عن أبى هريرة.

الطِّيَرة: التشاؤم، وكانت العرب فى الجاهلية إذا خرج أحدهم لأمر، أطلق الطير فى الجو، فإذا طار يمينًا، أقدم على ما عزم عليه، وإذا طار يسارًا تشاءم ورجع عما عزم عليه، فنهى رسول **الله** ﷺ عن الطيرة؛ لأنه لا أساس لها من الصحة.

هامة: كانت العرب فى الجاهلية تعتقد أنه إذا قتل رجل ولم يؤخذ بثأره، خرجت من رأسه دودة - أى هامة - وتدور حول قبره وتقول: اسقونى.. اسقونى حتى يؤخذ بثأره. فنهى الرسول ﷺ عن ذلك؛ لأنه لا أساس له من الصحة.

صفر: كانت العرب فى الجاهلية يعتقدون أن فى البطن دودًا يهيج عند الجوع، وربما قتل صاحبه. فنهى رسول **الله** ﷺ عن هذا الاعتقاد غير الصحيح.

التفسير العلمى للحديث النبوى الشريف:

توجد الجراثيم فى كل شىء حول الإنسان، حتى فى طعامه وشرابه والهواء الذى يستنشقه. ومن الطبيعى أن تدخل كل هذه الجراثيم المسببة للأمراض جسم الإنسان، ومع ذلك لا يمرض الإنسان منها كل يوم، ولا كل أسبوع، ولا كل شهر!

فلابد أن يكون فى جسم الإنسان أسباب تمنع العدوى بتلك الجراثيم.. فما هى؟ إنها خطوط الدفاع فى الجسم ضد الميكروبات، وجهاز المناعة فيه. وكيف ذلك؟

إن خطوط الدفاع وجهاز المناعة موجودة فى جسم الإنسان وأجسام الدواب كذلك.

ومن خطوط الدفاع: الجلد، فهو خط الدفاع الأول، والجهاز التنفسى، والجهاز الهضمى والجهاز الليمفاوى فى الجسم.

أما جهاز المناعة فهو جهاز فى منتهى الدقة والإحكام، يعمل على قتل الجراثيم التى تهاجم الجسم. وعندما تدخل الجراثيم الجسم، تستنفر خطوط الدفاع بجهاز المناعة. ويحدث كل ذلك بدون إرادة من الميكروبات والجراثيم، فهى كائنات لا إدراك فيها ولا إرادة، فهى تعمل بفطرة خَلْقها التى فطرها **الله** تعالى عليها.. فعملها فى نطاق قدرة **الله** تعالى وأمره وتقديره.. فالعدوى إذن لا تكون إلا إذا أراد **الله** تعالى أن تكون.

وإذا رددنا الأمر إلى علم الإنسان فنقول هناك عدوى. وإذا رددنا الأمر إلى **الله** عز وجل فنقول: لا عدوى، لأن حدوث العدوى معلق بإرادة **الله** تعالى إذا شاء **الله** تعالى أن يُضعف جهاز المناعة، صارت العدوى مرضًا، وإذا شاء **الله** تعالى أن يقوى جهاز المناعة فيقضى على جراثيم المرض، فتصير العدوى بجراثيم المرض كأن لم تكن.. فلا عدوى. وهذا معنى قوله ﷺ: «**لا عدوى**...».

وإذا رددنا الأمر إلى علم الإنسان فنقول هناك عدوى، وهذا تفسير لقول النبى ﷺ: «**لا يوردن ممرض على مُصحٍّ**».

فالأحاديث النبوية لا تعارض فيها. ولكن من الأحاديث ما هو موجَّه للإنسان العادى، ومنها ما هو موجه للإنسان الذى يعتقد أن كل شىء معلق بإرادة **الله** تعالى وقدَره - وهذا هو الحق المبين.

فإذا أصيب إنسان بالسُّل الرئوى مثلاً، يعتقد الأطباء أن العدوى بالسل وصلته من مريض آخر بالسل. ولكننا إذا رددنا الأمر إلى الماضى البعيد جدًّا فإننا نقف فى النهاية أمام إنسان مريض بالسل لم يكن قبله مريض آخر بالسل.. فمن أعدى أول مريض بالسل؟! وهنا يتجلى معنى قوله ﷺ: «**لا عدوى**...».

والأمر نفسه فى أى مريض بالجرب سواء كان إنسانًا أو دابة.. أول مريض فى الماضى البعيد.. من أعداه؟ لا أحد.. وفى هذا الدليل على صدق قوله ﷺ: «**لا عدوى**...».

إن الأمر بيد **الله** عز وجل ومشيئته الذى خلق ميكروب السل أول مرة فى هذا العالم، وأدخله جسد إنسان فمرض بالسل، وكذلك الأمر فى العدوى بالجرب فى أول بعير فى الماضى البعيد!

وفى ذلك الرد العلمى على سؤال الأعرابى على نفى رسول **الله** ﷺ للعدوى بالمعنى الذى يفهمه عامة الناس. وجواب رسول **الله** ﷺ: «**فمن أعدى الأول؟**» يدل على أن العدوى تكون أو لا تكون، هو أمر معلق بمشيئة **الله** وقدره.

أعجب ناقة فى التاريخ
ناقة النبى صالح عليه السلام

■ روى الإمام أحمد قال: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، حدثنا عبد **الله** بن عثمان بن خثيم، عن أبى الزبير، عن جابر بن عبد **الله** قال: لما مر رسول **الله** ﷺ بالحجر قال: «**لا تسألوا الآيات، فقد سألها قوم صالح، فكانت ـ يعنى الناقة ـ تَرِد من هذا الفج، وتصدر من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، وكانت تشرب ماءهم من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها. وكانت تشرب ماءهم يومًا، ويشربون لبنها يومًا. فعقروها فأخذتهم صيحة أهمد الله بها مَن تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً واحدًا كان فى حرم الله**». فقالوا: من هو يا رسول **الله**؟ قال: «**هو أبو رغال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه**».

■ وروى الإمام أبو داود عن محمد بن إسحق فى السيرة، عن إسماعيل بن أمية، عن بجير بن أبى بجير قال: سمعت عبد **الله** بن عمر يقول: سمعت رسول **الله** ﷺ حين خرجنا من الطائف، فمررنا بقبر، فقال: «**إن هذا قبر أبى رغال، وهو أبو ثقيف، وكان من ثمود. وكان بهذا الحرم يدفع عنه. فلما خرج منه، أصابته النقمة التى أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه. وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه معه**».

فانتبزه الناس فاستخرجوا منه الغصن.

■ روى الإمام أحمد، عن وكيع، عن زمعة بن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة عن ابن عباس رضى **الله** عنهما، قال لما مر النبى ﷺ بوادى عسفان حين حج فقال: «**يا أبا بكر، أى واد هذا؟**» قال: وادى عسفان قال: «**لقد مر به هود وصالح عليهما السلام على بكرات خطمها الليف. أزرهم العباء. وأرديتهم النمار، يلبون، يحجون البيت العتيق**».

مرور النبى ﷺ بوادى الحجر من أرض ثمود عام تبوك:

■ روى الإمام أحمد قال: حدثنا عبد الصمد، حدثنا صخر بن جويرية، عن نافع، عن ابن عمر رضى **الله** عنهما قال: لما نزل رسول **الله** ﷺ بالناس فى تبوك، نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود، فاستقى الناس من الآبار التى كانت تشرب منها ثمود. فعجنوا فيها ونصبوا القدور، فأمرهم رسول **الله** ﷺ فأهرقوا القدور. ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التى كانت تشرب منها الناقة. ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا وقال: «**أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم**».

■ روى الإمام أحمد قال: حدثنا عفان، حدثنا عبد العزيز بن مسلم، حدثنا **عبدالله** بن دينار، عن **عبدالله** ابن عمر قال: قال رسول **الله** ﷺ وهو بالحجر: «**لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين، فلا تدخلوا عليهم، أن يصيبكم مثل ما أصابهم**».

وفى رواية أخرى: قال ﷺ: «**فإن لم تكونوا باكين، فتباكوا، خشية أن يصيبكم مثل ما أصابهم**».

أهلك **الله** تعالى قبائل عاد بعد أن كذبوا النبى هودًا عليه السلام، وآثروا الشرك على الإيمان. فأورث **الله** تعالى ثمود أرضهم وديارهم، فعمروها أكثر مما عمروها، إلا أنهم لم يؤمنوا بنبيهم صالح عليه السلام. وساروا على نهج من سبقهم من قوم عاد، وأوغلوا فى الكفر والضلال والإفساد فى الأرض. ولما وجدوا النبى صالحًا عليه السلام مصرًا على دعوته، أرادوا أن يتحدوه ويظهروا عجزه أمام الناس، فطلبوا منه أن يأتيهم بآية تدل على صدق دعوته، فأخرج **الله** تعالى لهم ناقة كبيرة الحجم من صخور الجبل! وحذرهم النبى صالح أن يمسوا الناقة بسوء، وإلا أصابهم الهلاك جميعًا.

ولم ير الناس ناقة مثل ناقة النبى صالح، تشرب ماءهم كله يومًا، وتكف عنه يومًا. فأفزع ذلك القوم، فالذى ينكر الحق، يفزعه ظهور حجة خصمه. ومر الزمن حتى ظهر شاب يدعى قدار بن سالف، فسولت له نفسه عقر الناقة فعقرها.

فقال لهم النبى صالح: أما وقد عقرتم ناقة **الله**، فتمتعوا فى داركم ثلاثة أيام، وفى اليوم الرابع سيكون هلاككم جميعًا.

وكان هلاكهم بنفس ما أهلك **الله** تعالى قوم لوط وأصحاب الأيكة، وكان العذاب بواسطة انفجار ذرى رهيب(*).

قال **الله** عز وجل: ﴿**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ**﴾ [هود: ٦١]. إلى قوله تعالى: ﴿**وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٤) فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (٦٥) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾ [هود: ٦٤ ـ ٦٧].

وفى سورة الأعراف قال **الله** عز وجل عن ثمود: ﴿**فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾ [الأعراف: ٧٧، ٧٨].

قال الإمام ابن كثير: جاءتهم صيحة من السماء فوقهم، ورجفة شديدة من الأرض فى دارهم من أسفل منهم. ففاضت الأرواح، وأُزهقت النفوس، فأصبحوا جميعًا فى ديارهم جاثمين ـ أى صرعى ـ ولم يفلت منهم أحد إلا جارية أسرعت بالفرار لما رأت العذاب، ولكنها ما لبثت أن هلكت بعد ساعات.

ونعلم نحن اليوم أن التلوث الذرى للأرض يستمر آلاف السنين، ما لم يعمل الناس على إزالته بالطرق العلمية. وخير وسيلة لتفادى خطر التلوث الذرى، الهروب بعيدًا عنه. وإذا حدث ومر إنسان بمنطقة ملوثة ذريًا، فليسرع، ولا يشرب من مياه آبارها، فهى مياه ملوثة ذريًا أيضًا. ونجد ذلك فى السنة النبوية المشرفة:

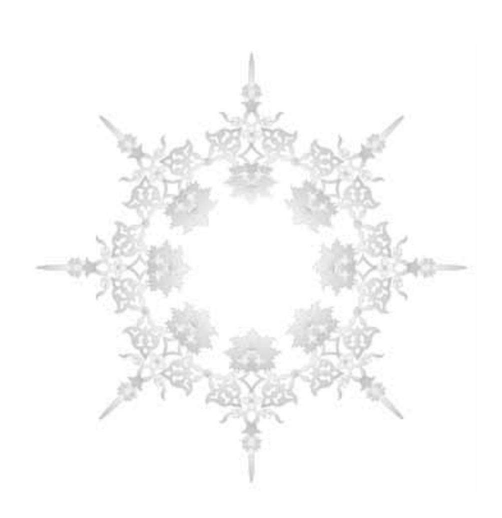
(*) انظر هلاك قوم النبى صالح: موسوعة الإعجاز العلمى للحديث النبوى جـ ٤ ص ١١٤ (للمؤلف).

فقد روى الإمام ابن كثير وغيره أن رسول **الله** ﷺ مر على ديار ثمود ومساكنهم وهو ذاهب إلى تبوك سنة تسع من الهجرة.

وفى رواية الإمام أحمد قال: لما نزل رسول **الله** ﷺ بالناس الحِجْرَ عند بيوت ثمود، استسقى الناس من الآبار التى كانت تشرب منها ثمود، فعجنوا منها ونصبوا القدور. فلما علم رسول **الله** ﷺ بذلك أمرهم فأهرقوا القدور. ثم ارتحل بهم. ونهاهم عن أن يدخلوا على آثار ثمود وقال: «**أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم**».

وجاء فى السيرة النبوية أن النبى ﷺ زجر ناقته وأسرع بها.

ويقول علماء الفيزياء: إذا دخل إنسان مكانًا ملوثًا ذريًّا فلا يمنع الضرر عن العينين إلا الماء.. ونجد الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى إذ أمرهم رسول **الله** ﷺ أن يبكوا إذا أرادوا أن يدخلوا عليهم، وإن لم يبكوا، يتباكوا. وذلك يسبب ملء أعينهم بالدموع، وفى ذلك وقاية لأعينهم من الإشعاع الذرى!





١ ـ البقــــــر.

٢ ـ الألبــــان.

٣ـ لحم الأنعام (الإبل والبقر والغنم).

صفحة ٢٨ بيضاء



١ البقــــــــر

■ روى الإمام أحمد عن ابن لهيعة، عن حيى بن عبد الله، عن عبد الرحمن الحُبُلِّى، عن عبد الله بن عمر أن رسول **الله** ﷺ كان يصلى فى مرابض الغنم، ولا يصلى فى مرابض الإبل والبقر.

روى الإمام أحمد عن سريج بن النعمان، عن عبد العزيز الدَّرَاوردى، عن زيد بن أسلم، عن سعد بن أبى وقاص قال: قال رسول **الله** ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقر بألسنتها**».

■ روى الإمام أحمد عن يعلى ويحيى بن سعيد. قال يحيى: حدثنى عن رجل من أصحابه، عن عمر بن سعد قال: سمعت رسول **الله** ﷺ يقول: «**سيكون قوم يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقرة من الأرض**».

■ روى الإمامان مسلم وأحمد: عن يحيى بن يحيى، عن أبى خيثمة، عن أبى الزبير، عن جابر رضى **الله** عنه قال: خرجنا مع رسول **الله** ﷺ مُهلِّين بالحج. فلما قدمنا مكة طفنا بالبيت وبالصفا والمروة. فقال لنا رسول **الله** ﷺ: «**من لم يكن معه هدى فليَحْلِلْ**». فلما كان يوم التروية أهللنا بالحج. وكفانا الطواف الأول بين الصفا والمروة. فأمرنا رسول **الله** ﷺ أن نشترك فى الإبل والبقر كل سبعة منا فى بَدَنَة.

البدنة: تطلق على البعير والبقرة. ولكن غالب استعمالها فى البعير.

■ روى الأئمة مسلم وأحمد وأصحاب السنن، عن قتيبة بن سعيد، عن مالك، عن يحيى بن يحيى عن أبى الزبير، عن جابر بن عبد **الله** قال: نحرنا مع رسول **الله** ﷺ عام الحديبية البَدَنَة عن سبعة، والبقرة عن سبعة.

■ وروى الإمام مسلم بنفس الإسناد، قال جابر: خرجنا مع رسول **الله** ﷺ مهلِّين بالحج، فأمرنا أن نشترك فى الإبل والبقر. كل سبعة منا فى بدنة.

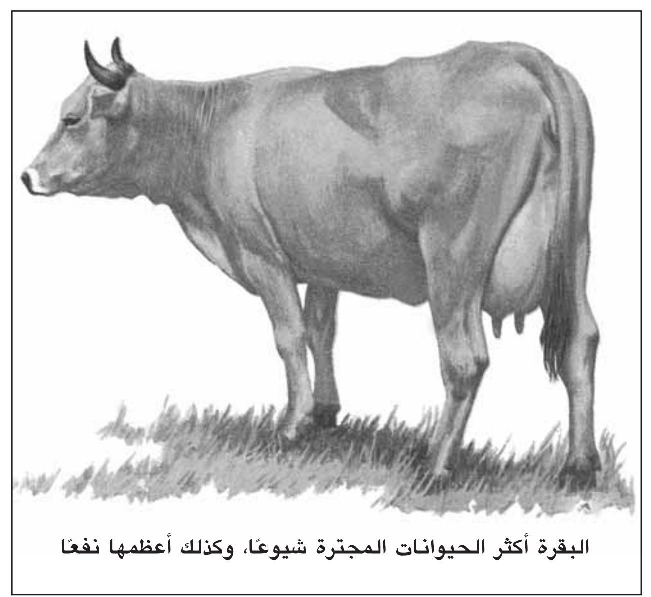
■ روى الإمام البخارى عن محمد بن بشَّار، عن غُندَر، عن شعبة بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف الزهرى قال: سمعت أبا سلمة عن أبى هريرة رضى **الله** عنه أن النبى ﷺ قال: «**بينا رجل راكب بقرة، التفتت إليه فقالت: لم أخلق لهذا، خلقت للحراثة**»... إلخ الحديث الشريف.

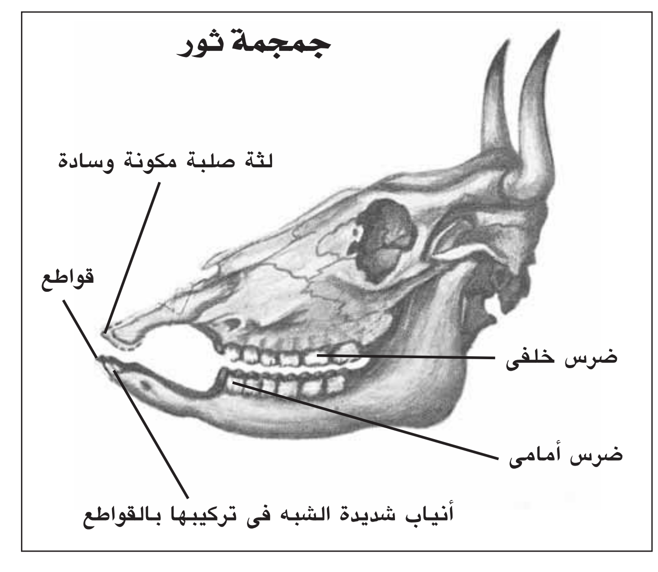
الثور والبقرة أكثر الحيوانات المستأنسة أهمية للإنسان. ولبن البقرة أكثر ما نستهلكه من ألبان. ونأكل من لحوم البقر أكثر من أى حيوان آخر، ونستفيد من جلودها فى المصنوعات الجلدية، ومن فضلاتها فى صناعة السماد. ونستخدم البقر فى الحرث فى الحقل، وفى جرِّ العربات فى القرى والمزارع.

والأغنام تلى الأبقار فى الأهمية من الحيوانات المستأنسة، ومن نواتجها اللحم واللبن والصوف. والأبقار من الحيوانات المجترة التى تشمل كل الثدييات ذات الحوافر الفردية المشقوقة.

ويتكون غذاء البقرة من الأعشاب وأوراق الأشجار، وحتى يتم الهضم بصورة صحيحة، لابد أن يمضغ جيدًا. ولابد من التهام كميات كبيرة من الطعام ذى الفائدة الغذائية المنخفضة، فلو ابتدأ المضغ أثناء تناول الطعام، فإنه يستغرق وقتًا طويلاً، هذا فضلاً عن أن البحث عن الطعام يستغرق وقتًا طويلاً أيضًا، الأمر الذى يعرض الأبقار ـ وغيرها من الحيوانات المجترة ـ لأعدائها من الوحوش المفترسة؛ لذلك فإن الحيوانات المجترة تلتهم طعامها التهامًا سريعًا بدون مضغ، حتى إذا وجدت مكانًا آمنًا، راحت تعيد مضغ الطعام جيدًا، ثم تعيد ابتلاعه مرة أخرى. وتسمى هذه العملية (الاجترار). وصممت المعدة لهذا النوع من إعادة المضغ، كما أن فم البقرة مصمم لذلك أيضًا، فالأسنان الأمامية مصممة للإمساك بالحشائش وتمزيقها، وصممت الأسنان الخلفية لطحنها.

ولا يستعمل الثور ولا البقرة فى الركوب، وإنما للجر والحرث.


البقرة أكثر الحيوانات المجترة شيوعًا، وكذلك أعظمها نفعًا



البقرة فى قصة بنى إسرائيل مع النبى موسى:

ذكرت قصة البقرة، لتدل على طبيعة بنى إسرائيل، التى جبلوا عليها، وهى اللجاجة والتعنت والتلكؤ فى الاستجابة لأوامر **الله** تعالى لهم، واختلاق الأعذار فى عدم رغبتهم الانصياع لأمر ربهم، وتصور ضعف الصلة بينهم وبين ربهم، وضحالة الإيمان فى قلوبهم. وتاريخهم مع النبى موسى شاهد على ذلك فى كثير من المواقف.

تبدأ القصة بقول **الله** عز وجل يحكى عن حديث النبى موسى مع قومه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً**﴾ وهو أمر من **الله** تعالى لهم بأن يذبحوا أى بقرة. وهو أمر تنفيذه سهل وغير محتاج لمناقشة، إلا أن من طبيعة بنى إسرائيل أن يختلقوا الخلاف والاعتراض فى كل قضية مهما صغرت. فكان أن اتهموا نبيهم أنه يمزح معهم! وهكذا اعتبروا أمر **الله** ووحيه لنبيهم مزاحًا!! وكان موقفهم هذا دليلاً على سوء أدبهم مع ربهم، وسفاهتهم، وسوء أخلاقهم، واستخفافهم بوحى **الله** تعالى لنبيهم. قال **الله** تعالى يحكى عنهم: ﴿**أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا**﴾ فتبرأ النبى موسى من تلك التهمة الخاطئة واستعاذ بالله منها: ﴿**قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ**

مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]. وكان فى هذا التوجيه الكفاية لينفذوا أمر ربهم، ويذبحوا أى بقرة. ولكن سوء الطبع وسوء الأدب مع الله ورسوله غلب، وطبيعة التلكؤ والالتواء فى التفكير ظهرت فى قولهم: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾.

إن قولهم فيه كل صفات ضعف الصلة بالله، فقولهم يشير إلى أنهم ما يزالون فى شكهم أن نبيهم يمزح، ويتخذ وحى ربه مادة للسخرية والمزاح! كما أنهم لم يعتبروا أن رب موسى هو ربهم فقال: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾!! فسألوه عن وصفها!.. فيكظم النبى موسى غيظه، ويتحمل ابتلاء الله له بهؤلاء السفهاء. قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ [البقرة: ٦٨].

قول الله تعالى: ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ كان فيه الكفاية لأى قوم فيهم مثقال ذرة من إيمان أو فهم سليم، ولكنهم أرادوا أن يزيدوا (القضية) تعقيدًا، ويضيقوا على نبيهم. قال تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦٩، ٧٠] وكأن كل ما سبق من أوصاف البقرة ـ أى بقرة ـ لم يكن كافيًا!! فاستمروا فى التلكؤ والتسويف، ومحاولة تعقيد الأمور التى لا تحتمل تسويفًا أو تعقيدًا، قال الله عز وجل: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَ شِيَةَ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧١] فهى بقرة صفراء فاقع لونها.. وهى غير مدربة على أى عمل فى الحقل من حرث أو سقى الزرع، ولا توجد بها علامة غريبة تميزها عن غيرها من البقر..

وبعد أن عقَّدوا الأمور إلى أبعد الحدود، فى أمر هو أبعد شىء عن التعقيد؛ بعد كل ذلك قال الله يحكى عنهم: ﴿قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ وكأن كل ما أمرهم به نبيهم موسى عليه السلام من قبل لم يكن حقًّا!!، وأنهم بالتالى لم يصدقوه!!

قال تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾.

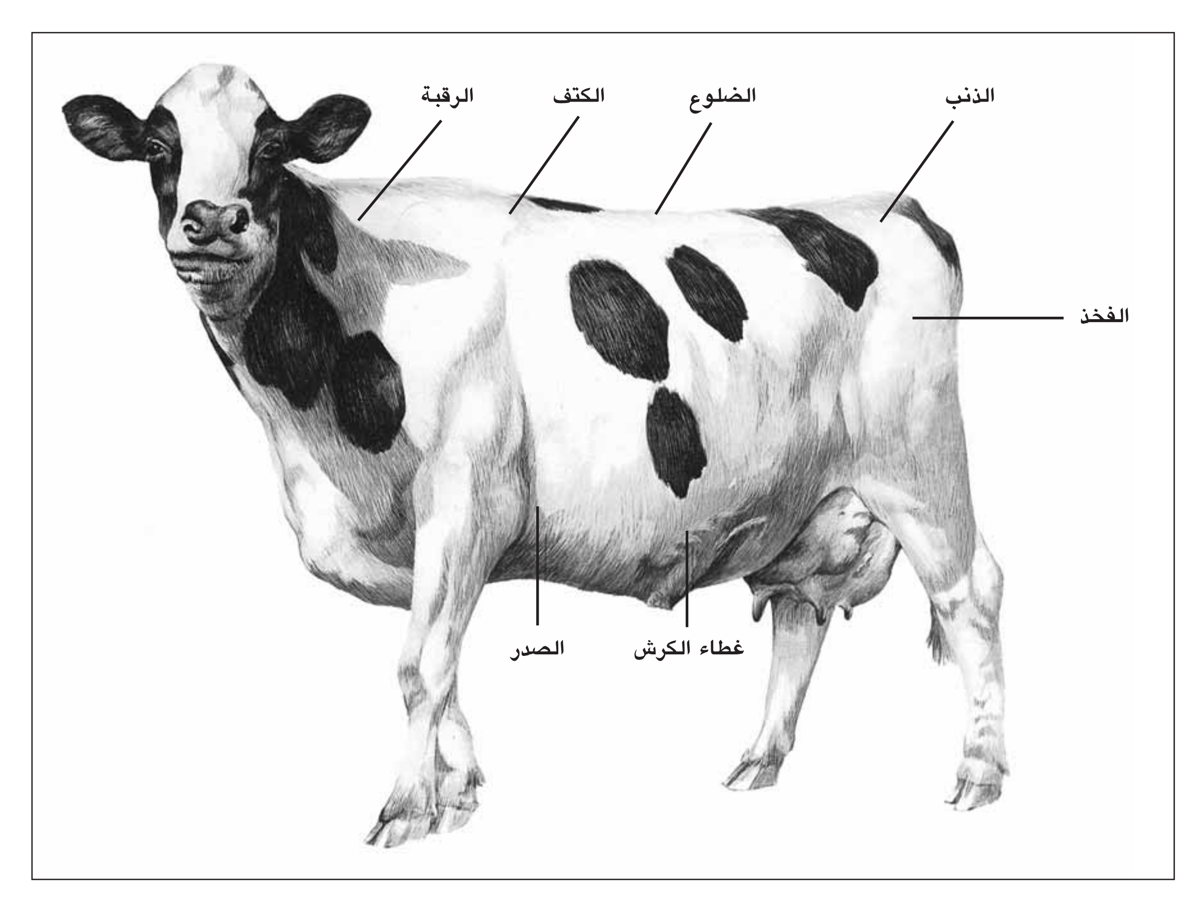
وبعد أن نفذوا أمر ربهم بعد طول تلكؤ بأن يذبحوا بقرة، كشف الله تعالى لهم الغاية من الأمر والسبب فى التكليف، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٢، ٧٣] كشف الله تعالى لقوم موسى عن الغاية فى الأمر بذبح البقرة. فلقد حدث أن قتل أحد من القوم رجلاً منهم.. وصاروا يبحثون عن القاتل، ولم يهتدوا إليه، ولم يكن فى القضية شاهد من الشهود. فأراد الله تعالى أن يظهر القاتل على لسان القتيل نفسه. وأراد الله تعالى أن يكون ذبح البقرة وسيلة إلى إحيائه!

وذلك بضرب جثته بأجزاء من جسم البقرة بعد ذبحها. ففعلوا، فأعاد الله تعالى الحياة إلى القتيل، وأخبر عن قاتله. وبذلك انجلى كل شك أحاط بمقتله، وظهر الحق واضحًا بأعظم دليل، وهو كلام القتيل نفسه.

وكان من عادة قوم النبى موسى أن يذبحوا بقرة قربانًا.. وأراد الله تعالى أن يكشف لهم عن قدرته، فجعل الدليل على ذلك رد الحياة للقتيل، حيث لا قدرة لهم على الإحياء. وبذلك خلصت معجزة إحياء القتيل لله عز وجل قال: ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ أى يحييهم بقدرته تعالى وهو على كل شىء قدير.

الأبقار:

أكثر أنواع الحيوانات شيوعًا فى العالم العربى: الأبقار والثيران. وبعض الأبقار يُربَّى للحم، وبعضها الآخر يُربَّى لإدرار اللبن. وتحمل البقرة لمدة تسعة أشهر، وتضع عجلاً سرعان ما يقف على قوائمه، ويبحث عن ضرع أمه ويرضعه، وبذلك يحصل على غذائه، دون أن يعلِّمه أحد، وحتى دون أن ترشده أمه. ويرضع العجل ستة أشهر على الأكثر ثم يفطم، وتعيش البقرة إلى عشرين عامًا، إلا أنها تذبح قبل ذلك بكثير.



وليس للبقرة (والبقريات عمومًا) أنياب وأسنان عليا؛ لذلك لا تستطيع انتزاع العشب، إنما تلتقطه بين أسنانها على الفك الأسفل، والقوس القرنية التى توجد فى الفك الأعلى.

وتتكون معدة البقرة، مثل باقى الدواب المجترة من ثلاثة جيوب:

١ـ الكرش التى هى الجيب الأول من المعدة.

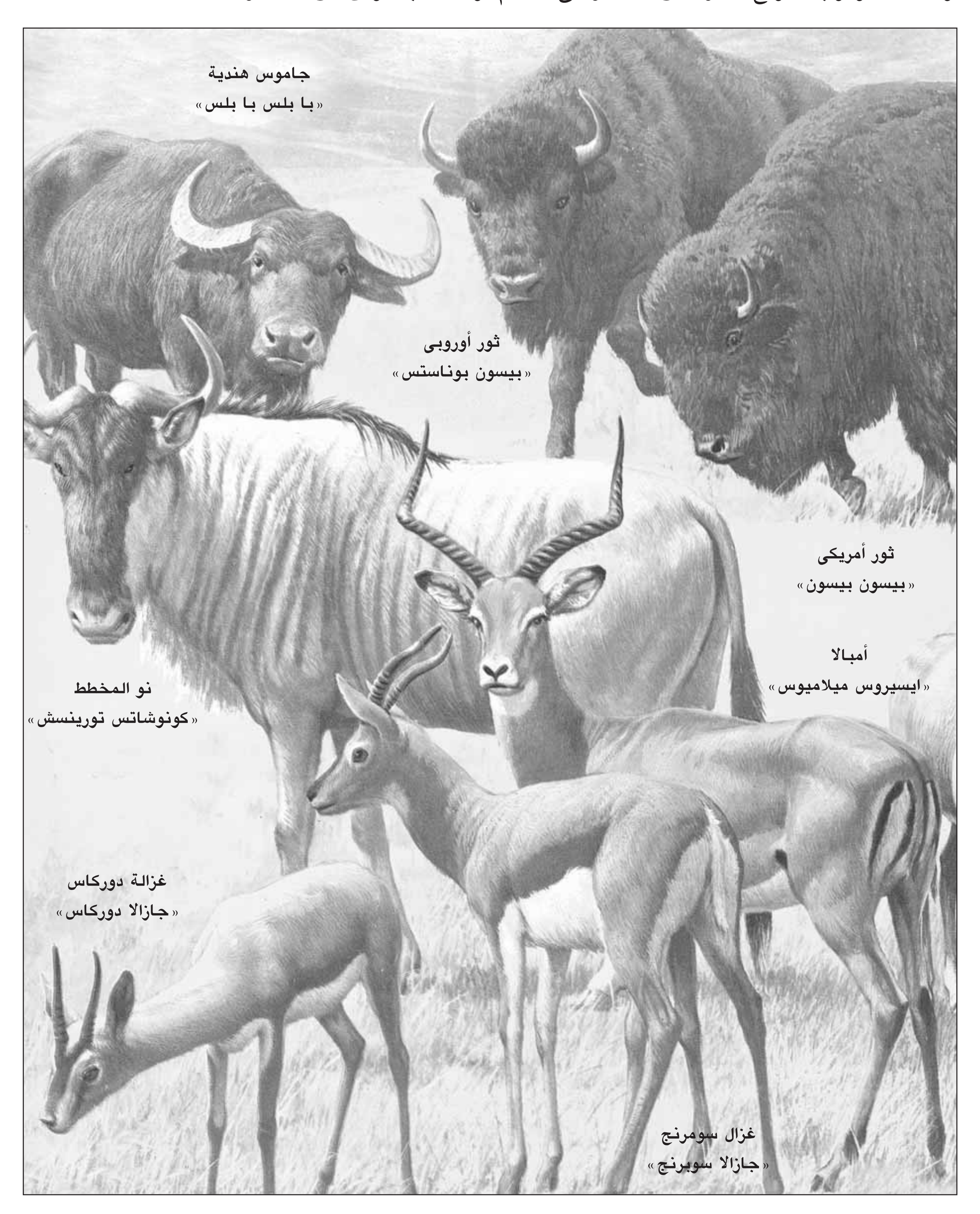
٢ـ يمر الأكل من الكرش إلى تجويف آخر يسمى المنفحة، وهو الجيب الثانى من المعدة، هنالك يتحول الطعام إلى كريات، تعيدها البقرة إلى فمها، لكى تمضغها بعناية. وهذه العملية تُسمى الاجترار.

٣ـ وبعد المضغ الثانى، يبتلع مرة ثانية، ويُوجه إلى الجيب الثالث من المعدة، ويسمى أم التلافيف. وفيها يصل إلى الأمعاء التى يبلغ طولها عشرات الأمتار، حيث تجرى العملية الأخيرة للهضم، ببطء شديد.

عائلة الأبقار:

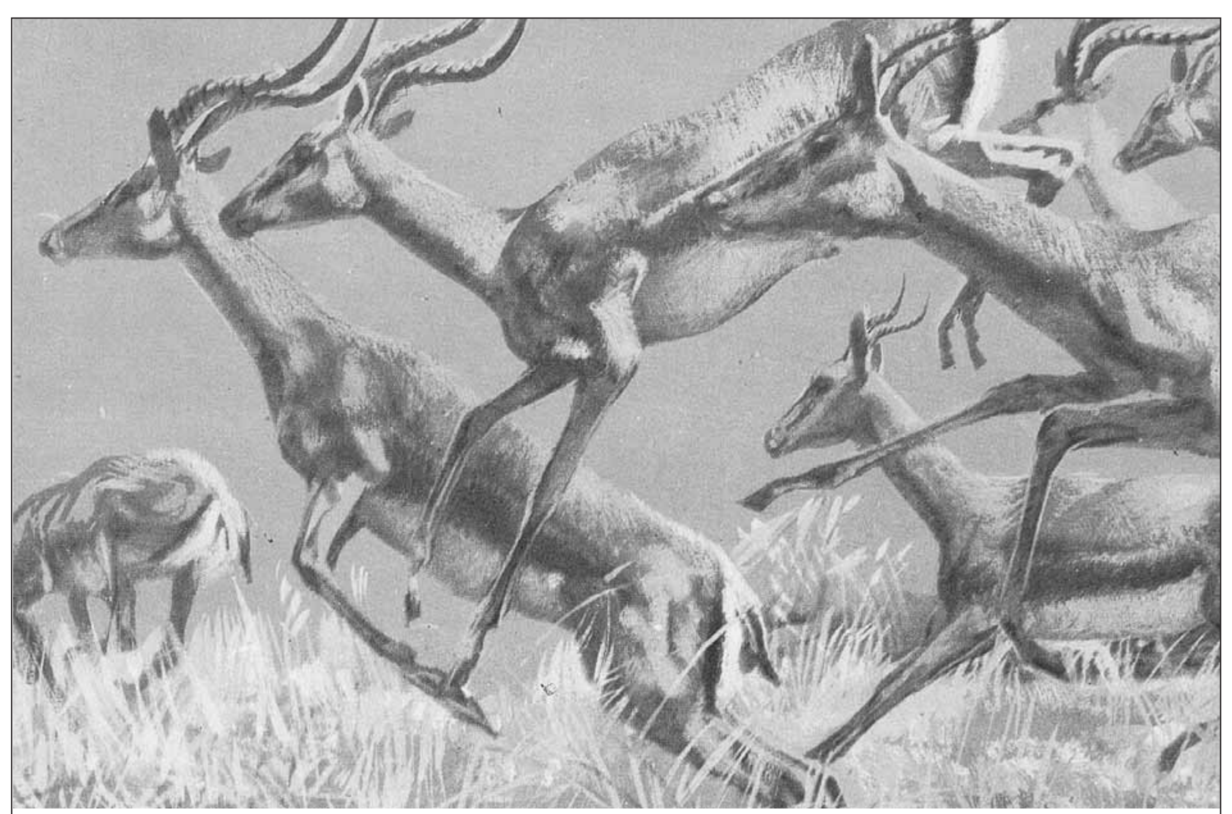
تنتمى الأبقار إلى رتبة الثدييات، وهى زوجية الأصابع.

وتحت رتبة (المجترات مجوفة القرون) توجد الأبقار، كما تضم أيضًا الغزلان والزراف والخراف والتياتل. وتوجد أنواع كثيرة من الأبقار فى العالم. ويعد الجاموس من الأبقار.

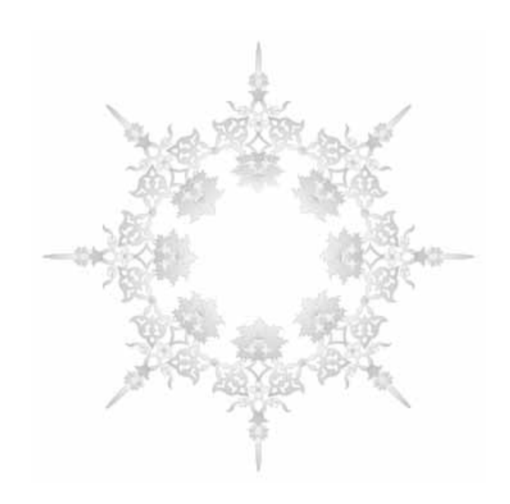


وللجاموس قرون كبيرة جدًّا مفلطحة من القاعدة، وتربى للحم كما تربى للبن. والجاموس حيوانات استوائية، تعيش فى المناطق الحارة والمناطق المدارية.

والخراف والماعز أكثر الأبقار عددًا. وتختلف كثيرًا فى الحجم والشكل. والغزلان تياتل صغيرة، جميلة المنظر، رشيقة، سريعة الحركة، تعيش فى مناطق المراعى (السافانا) والمناطق الصحراوية.



قطيع من التياتل، تقفز لتهرب من مهاجمة فهد صياد، ويمكن أن يعدو القطيع بسرعة ٧٢ ـ ٨٠ كيلومترًا فى الساعة، بينما الفهد الصياد أسرع، لذلك يستطيع أن يمسك بواحد منها.



٢ الألـــــــبـــــــان

ألبان الغنم والبقر:

■ روى البخارى عن إسحق بن إبراهيم، عن النَّضر، عن إسرائيل، عن أبى إسحق، عن أبى بكر رضى **الله** عنه قال: انطلقت فإذا أنا براعى غنم يسوق غنمه. فقلت لمن أنت؟ قال: لرجل من قريش ـ سماه فعرفته ـ فقلت: هل فى غنمك من لبن؟ فقال نعم. فقلت: هل أنت حالب لى؟ فأمرته فاعتقل شاة من غنمه. ثم أمرته أن ينفُضَ ضرعها من الغبار، ثم أمرته أن ينفض كفَّيه، فحلب لبنًا، فصببت اللبن وانتهيت إلى رسول **الله** ﷺ فقلت: اشرب يا رسول **الله**. فشرب حتى رضيت.

والغرض من الحديث: شرب النبى ﷺ وأبى بكر من الشاة التى وجدت مع الراعى، وأن النبى ﷺ كان يحب لبن الغنم.

■ وروى يونس، عن ابن إسحق، عن عبد **الله** بن عباس رضى **الله** عنهما ما حدث لشاة أم معبد قال: فى طريقه فى رحلة الهجرة، مر النبى ﷺ بأم معبد الخزاعية واسمها (عاتكة بنت خلف بن معبد) وكان مع النبى ﷺ أبو بكر وتابعه، فأرادوا القِرَى (الاستضافة) قالت: و**الله** ما عندنا طعام. وما عندنا إلا شاة هزيلة قد جف ضرعها. فدعا رسول **الله** ﷺ بالشاة، فمسح ضرعها بيده. ودعا **الله** تعالى وحلبها، فامتلأ ضرعها، ونزل منه اللبن حتى امتلأ الإناء وأرغى. وقال: «**اشربى يا أم معبد**» فشربت، ثم حلب وسقى كل من فى الدار، وسقى الدليل، ثم شرب هو وأبو بكر حتى ارتويا، وانطلقوا.

■ روى الأئمة البخارى، وأبو داود، وابن ماجه عن ابن شهاب، عن عبيد **الله** بن عبد **الله** بن عُتبة، عن ابن عباس قال: قال رسول **الله** ﷺ: «**من أطعمه الله طعامًا فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وارزقنا خيرًا منه. ومن سقاه لبنًا فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه، فإنى لا أعلم ما يجزئ من الطعام والشراب إلا اللبن**».

الحديث الشريف يبين أن اللبن غذاء كامل فيه كل عناصر الغذاء. وهذا ما أثبته العلم حديثًا.

■ روى الإمام أحمد عن عبد **الله** بن مهدى، عن سفيان، عن يزيد أبى خالد، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب أن النبى ﷺ قال: «**إن الله عز وجل لم يضع داء إلا ووضع له شفاء، فعليكم بألبان البقر، فإنها تَرُمُّ من كل الشجر**». أى أن البقر يأكل من كل الشجر، ومن عناصر الغذاء يتكون اللبن فى الضرع.

اللبن(*):

يقول **الله** عز وجل: ﴿**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ**﴾ [النحل: ٦٦].

وبعد سورة «النحل» نزلت سورة «المؤمنون» وفيها يقول **الله** تعالى: ﴿**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾ [المؤمنون: ٢١].

(*) من الإعجاز العلمى فى الرضاعة ـ للمؤلف.

الآيتان الكريمتان تشيران من ضمن ما تشيران إليه من نعم **الله** على عباده، إلى اللبن كغذاء دلالة على رحمة **الله** تعالى بعباده وقدرته فى خلقه وحكمته فى ملكوته. ولقد توصل علم الأغذية فى عصرنا الحاضر إلى أن اللبن غذاء كامل أو هو أكمل غذاء للإنسان حتى أنه يمكن أن يقال: إن أى طعام هناك ما هو خير منه إلا اللبن، فلا يوجد ما هو خير منه طعامًا للإنسان، أو نذكر هنا ما رواه الترمذى فى سننه أن رسول **الله** ﷺ قال: «**إذا أكل أحدكم طعامًا فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرًا منه وإذا سقى لبنًا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه، فإنه ليس شىء يجزئ من الطعام والشراب إلا اللبن**».

وقال العلماء فى شرح هذا الحديث الشريف:

وكيف لا يكون اللبن كذلك، وهو أول ما يتغذى به الإنسان وتنمى به الأبدان؟ فهو قوت خلى من المفاسد، به قوام الأجسام، وقد جعله **الله** تعالى علامة لجبريل على هداية هذه الأمة.

فقد روى فى الصحيحين أن النبى ﷺ قال فى حديث له: «.. **فجاءنى جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل أخذت الفطرة.. أما لو أخذت الخمر غوت أمتك**».

وبتقدم علم الأغذية فى عصرنا الحاضر استطعنا أن نفهم بعضًا من المغزى العلمى فى قول **الله** عز وجل: ﴿**نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا**﴾. وفى قول سيدنا رسول **الله** ﷺ: «**فإنه ليس شىء يجزئ من الطعام والشراب إلا اللبن**». واللبن غذاء سهل الهضم.. والدهون فيه على شكل جزيئات صغيرة جدًّا لا تحتاج إلى جهد كبير فى الأمعاء لتجزئتها.. فهى دهون تكاد تكون مهضومة.

وبروتين اللبن سهل الهضم أيضًا.. وسكر اللبن سكر ثنائى سهل الهضم، يتحول فى الجسم إلى جلوكوز وفركتوز.. وهذا النوع من السكر فى اللبن يسمى سكر اللاكتوز.. ولا يوجد فى أى طعام آخر. ولما كان اللبن أغنى الأغذية بالكالسيوم فإن وجود اللاكتوز أنسب السكريات التى تساعد على امتصاصه.

أما بروتين اللبن فهو بروتين حيوانى يحتوى على جميع الأحماض الأمينية الأساسية.. ولا نجد غذاء غير اللبن فيه كل هذه العناصر الغذائية. فهو كما قال سيدنا رسول **الله** ﷺ: «**ليس شىء يجزئ من الطعام والشراب إلا اللبن**».. ولا يستطيع علم الأغذية فى عصرنا الحاضر أن يزيد على ذلك شيئًا.

ونعود مرة أخرى إلى سورة النحل، يقول **الله** عز وجل: ﴿**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ**﴾.

وحتى نفهم بعض ما فى هذه الآية من علم ينبغى أن نفهم خطوات تكون اللبن فى جسم الأنثى من الثدييات.

يبدأ تكون اللبن من المواد الغذائية الموجودة فى طعام الحيوان، فما إن يصل الغذاء فى الأمعاء حتى يهضم، وتمتص العناصر الغذائية من الأمعاء إلى الدم فى الأوعية الدموية، ويصل إلى الكبد حيث تحدث معظم العمليات الحيوية. وبعد أن تحدث العمليات الحيوية فى الكبد تصل المواد الغذائية إلى الدم.. ومن ثم إلى خلايا الضرع وقنواته، وهناك يصنع اللبن فى عمليات حيوية فى غاية الدقة والإعجاز فى الخلق.. ويفرز اللبن خالصًا من كل الشوائب فى قنوات الضرع.

يقول **الله** تعالى فى سورة النحل: ﴿**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ**﴾.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾: أى دلالة على قدرة الله تعالى، والعبرة: أصلها تمثيل الشىء بالشىء لنعرف حقيقته عن طريق المشاكلة.

خالصًا: أى خالصًا من حمرة الدم وقذارة الفرث وهما فى جسد واحد.

سائغًا: أى لذيذًا هنيًّا لا يغص به من شربه.

ولماذا لم يقدم اللبن فيقول: نسقيكم مما فى بطونه لبنًا من بين فرث ودم، وقال: ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا﴾؟ ذلك لأنه لو تقدم اللبن لكان الفرث والدم صفة له، وإنما قدم القول: ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا﴾ ليكون خلق اللبن موضع العبرة. واختلف المفسرون فى تفسير كلمة (بطونه) و(بطونها) فى آيتى النحل والمؤمنون.

فى سورة النحل يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾.

وفى سورة المؤمنون يقول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

قال سيبويه: العرب تخبر الأنعام بخبر الواحد، فالأنعام هى من الأسماء المفردة الواردة على وزن (أفعال) لذلك رجع الضمير إليه مفردًا. ومن هنا قال: ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾. وقيل الأنعام تذكر وتؤنث.. فذكِّرت فى آية النحل كما قال تعالى: ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ وأنِّثت فى سورة المؤمنون فى قوله تعالى: ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾.

وقال ابن عربى: إنما يرجع التذكير إلى معنى الجمع، والتأنيث إلى معنى الجماعة. فذكره فى آية سورة النحل مذكرًا باعتبار لفظ الجمع فقال: ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾.. وذكره فى آية سورة المؤمنون مؤنثًا باعتبار لفظ الجماعة: ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾.

وقال أيضًا: وبهذا التأويل ينتظم المعنى انتظامًا حسنًا.. كانت هذه اجتهادات بعض المفسرين القدامى رحمهم الله فى تفسير قوله تعالى: ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾، وقوله: ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾.. وكانت اجتهاداتهم فى حدود علم الإنسان عن تكون اللبن فى بطون الأنعام.

ولم يدرك العلم تلك الخطوات فى تكوين اللبن إلا فى عصرنا الحاضر.. ومازالت هناك أسرار كثيرة فى تكوين اللبن فى الضرع لم تعرف حتى الآن..

لذلك فشل الإنسان ـ حتى الآن ـ بكل ما عرف من التكنولوجيا التى أوصلته إلى الفضاء الكونى ـ فى صناعة قطرة واحدة من اللبن..

ويمكننا أن نفهم على ضوء ما نعلم اليوم أن مراحل تكون اللبن حدثت داخل تجاويف كثيرة، وفى كل جوف قنوات عديدة: فى جوف الأمعاء، وجوف أوعية الكبد، وجوف أوعية الضرع..

قال الله عز وجل فى سورة النحل:

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾.

قد يكون لفظ (بطونه) فى آية سورة النحل يشير إلى مجموع البطون والقنوات التى تمت فيها مراحل تكون اللبن. أما فى آية سورة المؤمنون فالله تعالى يقول:

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

فالآية لا تتحدث عن مراحل تكون اللبن فى داخل الجسم، وإنما تتحدث عن خروج اللبن من الضرع فقط. فكانت كلمة (بطونها) تشير إلى المرحلة الأخيرة وهى خروج اللبن من بطن أنثى الحيوان.

وقد يكون الضمير فى كلمة (بطونه) فى آية سورة النحل يعود إلى الثدييات كلها كنوع من الخلق، يشترك كل أنواعه فى نفس المراحل التى يتكون فيها اللبن فى الضرع، أى أن هناك تنوعًا فى الوظيفة مع وحدة فى الخلق.

ولقد جعل **الله** تعالى لبن كل نوع من الثدييات مناسبًا تمامًا لنمو صغاره. كل أنثى من الثدييات تدر لبنًا لصغارها. ولبن كل نوع منها مناسب تمامًا لنمو جسم صغاره. فلبن البقر أنسب الألبان لإرضاع صغار البقر. ولبن الماعز أنسب الألبان لإرضاع صغار الماعز، ولبن الأم فى الإنسان أنسب الألبان لإرضاع الطفل الوليد، فكمية البروتين فيه تتناسب مع حاجة الجسم لنموه، ومع قدرة الجهاز الهضمى على هضمه. والأحماض الأمينية فيه تتناسب مع احتياجات أجهزة الجسم، وكذلك الأحماض الدهنية تتناسب مع العمليات الحيوية الموجودة فى أعضاء الجسم المختلفة... أما إذا تناول الطفل لبنًا آخر من ألبان الحيوانات غير لبن أمه.. فإنه لن يكون غير مناسب لاحتياجات جسمه فحسب، ولكن سيعرضه لكثير من المتاعب الصحية أيضًا.

ولقد رزق **الله** تعالى الإنسان اللبن طعامًا له فى الجنة.. ولكن الرزق فى الجنة أكثر كثيرًا فإذا كان اللبن يجده الإنسان فى قطرات تنزل من الضرع؛ فإنه سيجد اللبن فى الآخرة بحارًا وأنهارًا. يقول **الله** تعالى: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى**﴾ [محمد: ١٥].

وروى البيهقى عن حكيم بن معاوية القشيرى عن أبيه رضى **الله** عنه قال: سمعت رسول **الله** ﷺ يقول: «**فى الجنة بحرٌ للماء وبحرٌ للبن وبحرٌ للعسل وبحرٌ للخمر، ثم تشقق الأنهار منها بعد**».

وهكذا فسر الحديث النبوى الشريف الآية القرآنية الكريمة، وجعل لها امتدادًا جديدًا.

الثدييات:

الثدييات هى تلك الدواب التى تفرز الإناث منها لبنًا من غدد لبنية فيها؛ لتغذى صغارها. والغدد اللبنية هى الضرع أو الثدى. وطريقة صناعة اللبن فى جسم الثدييات واحدة، إلا أن نسب المواد وتركيبها فى الألبان تختلف من حيوان ثديى إلى حيوان ثديى آخر.

ويتكون الضرع أو الثدى من فصوص كثيرة. ويتكون كل فص من مجموعات من الخلايا تفرز اللبن فى قنوات صغيرة تتجمع فى قنوات أكبر من النصف الرئيسى. ومن كل فصٍّ يصب اللبن فى قنوات أكبر تنتهى فى الحلمة. ويتم تكوين اللبن فى الضرع أو الثدى بمساعدة هرمونات كثيرة، أهمها تلك الهرمونات التى تفرزها الغدة النخامية الموجودة فى قاع المخ.

الخواص الطبيعية للبن:

اللبن سائل أبيض اللون، نظرًا لوجود فوسفات الكالسيوم والكازين فيه، أما إذا مال لونه إلى الاصفرار فى بعض ألبان الثدييات فإن ذلك يكون بسبب وجود مادتى الكاروتين والريبوفلافين فيه. ودرجة غليان اللبن أعلى قليلاً من درجة غليان الماء، ودرجة تجمده أقل قليلاً من درجة تجمد الماء. ويحمل اللبن مكوناته، إما غير ذائبة فى حالة تعلق، وإما ذائبة فى حالة محلول.

ومن المواد غير الذائبة فى اللبن وفى حالة تعلق؛ حبيبات الدهن وجزيئات الكازين. وهذه المواد يمكن فصلها من اللبن بواسطة الطرد المركزى السريع. ومن المواد التى هى فى حالة محلول؛ السكر والأملاح المعدنية والبروتينات.

مكونات اللبن[1]:

اللبن سائل معقد التركيب جدًّا، ويحتوى على أكثر من مائة مادة، ومن أهمها الماء والدهون والبروتينات والسكريات والأملاح المعدنية والفيتامينات والخمائر المختلفة.

وبعد الولادة يبدأ إدرار اللبن، ويكون أولاً على شكل سائل أصفر اللون سميك القوام يسمى (السرسوب) Chlostrum وقيمته الغذائية عالية جدًّا نظرًا لما به من نسبة عالية من البروتينات، ونسبة قليلة من الدهنيات والسكريات، فضلاً عن مواد تقوى مناعة الجسم. ويختلف تركيب اللبن باختلاف النوع، وفصل السنة، ومستوى الغذاء ونوعه وكميته والبيئة والوراثة وعوامل أخرى كثيرة. واختلاف تركيب اللبن تبعًا للبيئة، نجده مثلاً فى الحيوانات التى تولد وهى مستكملة لعظامها مثل الغنم والماشية والأنعام، فيكون لبن أمهاتها التى ترضعها غنيًّا بسكر اللاكتوز وفقيرًا بالكالسيوم، بينما الفئران والأرانب التى تولد ولم تستكمل عظامها بعد، تكون ألبان أمهاتها غنية بالكالسيوم والبروتينات، فقيرة بالدهون واللاكتوز. ويختلف لبن الإنسان (الأم) كثيرًا عن معظم ألبان الثدييات الأخرى، ويؤدى الاختلاف فى كمية البروتين الموجود بالألبان إلى اختلاف قيمتها الغذائية. كما يؤدى اختلاف نسب الأحماض الدهنية إلى الاختلاف فى الخواص الطبيعية للألبان المختلفة. ويؤدى الاختلاف فى كمية الخمائر إلى الاختلاف فى صفات الحفظ.

الماء فى اللبن:

يكوِّن الماء ما يزيد على تسعين بالمائة من اللبن. ومكونات اللبن الذائبة فى الماء كثيرة منها الفيتامينات وسكر اللاكتوز، ومكونات معلَّقة فى الماء مثل حبيبات الدهن، وجزيئات الكازين ويستعمل اللبن فى صناعات المنتجات اللبنية المختلفة. فالجبن الأبيض يحتوى على ٣٠ - ٤٠٪ ماء. والماء عامل مساعد فى تسوية الجبن؛ لأن بعض المواد الضرورية لتسوية الجبن موجودة فى صورة ذائبة أو معلقة فى الماء الموجود باللبن مثل الكازين والدهون والخمائر.

بروتينات اللبن (زلال اللبن):

البروتينات مواد نيتروجينية مكونة من الأحماض الأمينية. ومن أهم وظائفها تزويد الجسم بالطاقة الحرارية، وبناء الأنسجة والخلايا فى أعضاء الجسم المختلفة. وتدخل البروتينات فى تركيب كل الخمائر الموجودة بالجهاز الهضمى. وعمليات الامتصاص والاحتراق.

وبروتين اللبن من المصادر الغذائية الهامة للإنسان. وكمية البروتين الموجودة فى لتر من اللبن تعادل كمية البروتين الموجودة فى خمس بيضات، أو فى نصف كيلو من اللحم الأحمر، أو فى ثلثى كيلوجرام من لحم السمك. ويرضع الطفل من ثدى أمه نحو لتر من اللبن يوميًّا، وفيه من البروتينات ما يلزم لنموه. وبروتينات اللبن تحتوى على الأحماض الأمينية الآتية: الجليسين، الجلوتاميك، الليسين،

(١) د. على أحمد الشحات (اللبن وقيمته الغذائية) الهيئة المصرية العامة للكتاب.

السيستين، التربتوفين، الميثيونين، الأسبارتك، الهستيدين، الفالين، الليوسين، الأيزوليوسين، الألانين، التيروسين وغيرها. فاللبن يحتوى على الأحماض الأمينية الأساسية والضرورية لصحة الجسم.

ويحتوى اللبن على الكربون والهيدروجين والأوكسيجين والكبريت والفسفور. وأهم بروتينات اللبن: الألبيومين، والكازين، والجلوبيولين.

الألبيومين: وهو يشبه زلال الدم إلى حدٍّ كبير. ويمتاز زلال اللبن (البروتين) عن زلال البيض بوفرة الأحماض الأمينية الأساسية، إلا أن زلال اللبن به نسب أعلى من زلال البيض فى أحماض الأسبارتك والليوسين والليسين، والألبيومين يساعد على ترسيب الكازين على شكل حبيبات صغيرة.

الكازين: أهم البروتينات، فهو يكون ٨٠٪ من المواد النيتروجينية فيه. والكازين يوجد فى لبن جميع الثدييات. ولا يوجد فى أى مادة أخرى غير اللبن. لذلك يسمى (البروتين الخاص باللبن). وهو بروتين مركب يحتوى على حامض الفوسفوريك؛ لذلك فهو فوسفور بروتين. وتدخل المواد التالية فى تركيب الكازين: الكربون ٥٢,٩٦٪، الهيدروجين ٧,٠٥٪، النيتروجين ١٥,٨٥٪، الكبريت ٠,٧٢٪، الأكسيجين ٢٢,٢٧٪.

الجلوبيولين: ويسمى لاكتو جلوبيولين. ويوجد فى جميع أنواع الألبان بنسبة ٠,٢ ـ ٠,٣٪.

المكونات الصغرى الهامة فى اللبن:

المكونات الكبرى فى اللبن هى: الماء والدهنيات والبروتينات واللاكتوز والأملاح المعدنية. أما المكونات الصغرى فهى موجودة بنسب صغيرة إلا أنها هامة فى تشكيل الخواص الطبيعية والكيماوية للبن ومنتجاته أيضًا، ومن أهم المكونات الصغرى للبن ما يأتى:

١ـ **الفوسفوليبيدات Phospholipids**: وهى الدهون المحتوية على الفوسفور، وتعمل على حفظ اللبن فى حالة مستحلب، وتمنع الفوسفوليبيدات الدهون من أن تطفو فوق سطح اللبن، ووجود هذه المواد هام فى حفظ الخواص الطبيعية، وفى صناعة منتجات الألبان.

٢ـ **المواد الملونة**: ومنها الريبوفلافين والكاروتين وغيرهما.

هضم اللبن:

اللبن أسهل الأغذية هضمًا، ومتوسط هضم مكونات اللبن نحو ثمانية وتسعين بالمائة، وهذه أعلى نسبة من أى قيمة هضمية فى أنواع الغذاء الأخرى.

وبذلك يستطيع الجهاز الهضمى فى الإنسان هضم وامتصاص مكونات اللبن جميعًا. أما الأملاح المعدنية فى اللبن فتمتص كلها بدون هضم فى «الاثنا عشرى». وتناول اللبن مع الأغذية الأخرى يزيد من قابلية هضم اللبن.

القيمة البيولوجية لبروتينات اللبن:

القيمة البيولوجية لبروتينات اللبن هى مقدار ما يعوضه من النيتروجين الذى يستنفد من الجسم فى عمليات الهضم، بمعنى أنه إذا أمكن لمائة جرام من أحد البروتينات أن يعوض مائة جرام من بروتين الجسم، فإن القيمة البيولوجية لهذا البروتين تساوى مائة. والقيمة البيولوجية لبروتينات اللبن مرتفعة جدًّا بالنسبة لبروتينات الأغذية الأخرى. فالقيمة البيولوجية للحم = ٦٢، والقمح = ٦٧، والذرة = ٨٥، والبطاطس = ٦٧، والكبد = ٧٧، واللبن = ٨٥.

دهون اللبن:

دهون اللبن من أهم مكوناته للأسباب الآتية:

١ـ قيمته الغذائية المرتفعة: فتحتوى جليسريدات دهن اللبن على معظم الأحماض الأساسية الضرورية. وهذه لا يمكن تصنيعها فى الجسم ووجودها ضرورى لصحة جسم الإنسان. وتوجد فى دهون اللبن مواد مصاحبة له مثل الفوسفوليبيدات والكاروتين وفيتامينات (أ، د، هـ، ك) وكذلك مادة الكوليسترول وهى مادة ضرورية لصحة خلايا الجهاز العصبى فى الإنسان. ويتحول الكوليسترول إلى فيتامين (د) إذا تعرض اللبن للأشعة فوق البنفسجية الموجودة فى أشعة الشمس.

٢ـ دهون اللبن هى السبب فى الطعم اللذيذ للبن، ومنتجات الألبان مثل القشدة والزبد والجبن.

- ويحتوى الزبد على ٧٥ ـ ٨٥٪ من دهن اللبن.
- ويحتوى السمن على ٩٨٪ من دهن اللبن.
- وتحتوى القشدة على ٢٥ ـ ٨٠٪ من دهن اللبن.
- ويحتوى اللبن المجفف على ٣٠٪ من دهن اللبن، وكذلك باقى أنواع الجبن.

ويوجد الدهن فى اللبن فى حالة مستحلب، وعلى شكل كريات صغيرة جدًّا لا ترى إلا بميكروسكوب قوى ومتوسط، قطر كل كرة دهنية نحو ثلاثة من الألف من المليمتر.

ووجود الدهن على هذه الصورة يسهل كثيرًا من عملية الهضم والامتصاص. ومن المعلوم أن الحبيبات الدهنية الصغيرة التى قطرها ٠,٥ من الميكرون تمر من جدار الأمعاء دون الحاجة إلى هضمها وتحويلها إلى أحماض دهنية وجليسرين. ومن هذا نفهم أن اللبن من أفضل الأطعمة غذاء وأسرعها وأسهلها هضمًا.

التركيب الكيماوى لدهن اللبن:

دهن اللبن على شكل جليسريدات Glycrides. والجليسريد عبارة عن جليسرين ومعه حامض عضوى أو أكثر من حامض عضوى واحد. ويحتوى دهن اللبن على عدد كبير من الأحماض الدهنية الخفيفة الوزن الجزئى، كما أنه يحتوى على أكبر عدد من هذه الأحماض من أى دهن حيوانى آخر.

الأحماض الدهنية ونسبتها فى لبن البقر:

حمض بيوتريك ٤,٦٪	حمض كابرويك ١,٧٪.
حمض كابريليك ١,٣٪	حمض كابريك ١,٣٪.
حمض لوريك ٥,٤٪	حمض مايريستيك ١٧,٧٪.
حمض بالمتيك ١٦٪	حمض ستياريك ٣,٧٪
حمض أرليك ٤٨,٣٪.	

والأحماض الخمسة الأولى قابلة للذوبان فى الماء، وتعطى اللبن نكهته المعروفة والمحببة للناس. والحمض الأول أهم هذه الأحماض؛ لأنه إذا انفصل هذا الحمض حدث تزنخ للبن أو لمنتجات اللبن. أما الأحماض الخمسة الأخيرة فهى غير قابلة للذوبان فى الماء وتبلغ نسبتها فى اللبن نحو ٨٠٪. وتسبِّب قوام الزبد أو منتجات الألبان الأخرى. وهذه الأحماض الخمسة أحماض طيارة، ودهن اللبن من أغنى الدهون الحيوانية بتلك الأحماض.

القيمة الغذائية لدهن اللبن:

١- يحتوى على معظم الأحماض الأساسية الضرورية والتى لا يمكن بناؤها فى الجسم.

٢- المواد المصاحبة لدهن اللبن لها قيمة غذائية كبرى لا توجد فى دهون أخرى.

سكر اللبن (اللاكتوز):

هذا السكر لا يوجد إلا فى اللبن. وثلث الطاقة التى تستمد من اللبن ترجع إلى اللاكتوز ودرجة حلاوة سكر اللاكتوز أقل كثيرًا من سكر العنب، فسكر اللبن ضعيف الحلاوة لا يزيد على ١٥٪ من حلاوة سكر القصب. وله فوائد كثيرة منها:

١- يعطى طاقة حيوية فى الجسم ويسرع من النمو.

٢- يساعد على عمل الميكروبات المفيدة فى الأمعاء.

٣- يساعد على زيادة امتصاص الكالسيوم والفسفور فى الأمعاء.

٤- يعالج إمساك البطن ويقاوم البكتيريا الضارة بالأمعاء.

فيتامينات اللبن:

يحتوى اللبن على جميع الفيتامينات إلا أن بعضها يوجد بنسبة ضئيلة جدًا. أما أنواع الغذاء الأخرى التى تحتوى على نسب مرتفعة من بعض الفيتامينات؛ فإنها تكون غير محتوية على فيتامينات هامة أخرى. أما اللبن فهو يحتوى على جميع أنواع الفيتامينات لذلك يقول علماء الأغذية (اللبن هو الغذاء الكامل). وهنا نذكر الحديث النبوى الشريف: «**إذا أكل أحدكم طعامًا فليقل**: **اللهم أطعمنا خيرًا منه، وإذا سقى لبنًا ليقل**: **اللهم زدنا منه، ليس شيء يجزئ عن الطعام والشراب إلا اللبن**» أى لا يغنى عن الطعام والشراب إلا اللبن. هذا وتوجد فيتامينات (أ، د، ك) ذائبة فى الدهن، وفيتامينات (ب١، ب٢، ج، كولين) ذائبة فى الماء، واللبن يعد مصدرًا جيدًا لكل هذه الفيتامينات.

فيتامين أ: **Vitamin A**:

اللبن مصدر هام لهذا الفيتامين الذى يختزن الزائد منه فى الكبد. وهو فيتامين هام للنمو ولعمليات الأمعاء، وإذا نقص يسبب العشى الليلى. وهو هام لصحة العظام والجلد وللمناعة ضد الأمراض.

فيتامين د: **Vitamin D**:

يساعد على ترسيب الكالسيوم والفسفور فى العظام، وبذلك يساعد على نمو العظام ومنع مرض الكساح، وإذا عُرِّض اللبن للأشعة فوق البنفسجية زادت كمية فيتامين (د) فيه عشرين ضعفًا.

فيتامين هـ: **Vitamin E**:

هو فيتامين هام لصحة الغدد التناسلية، ولذلك يسمى (الفيتامين المضاد للعقم).

فيتامين ك: **Vitamin K**:

يساعد على طبيعة تجلط الدم وتكوين مادة البروثرومبين Prothrombin فى الدم.

فيتامين ب١: **Thiamine**:

هو فيتامين هام لتحسين الحالة الصحية، ونقص هذا الفيتامين يسبب مرض البرى برى، وما يصاحبه من هزال شديد وأعراض أخرى.

فيتامين ب٢: **Riboflavin**:

وهو فيتامين يعالج مرض البلاجرا، وبعض أمراض التهابات العين والفم واللسان.

فيتامين ج: Vitamin C:

يحتوى اللبن على كمية ضئيلة من هذا الفيتامين. وهذا الفيتامين يعمل على مقاومة الإصابة بمرض الإسقربوط. وغلى اللبن يتلف هذا الفيتامين. لذلك لابد للإنسان من تناول مواد أخرى غنية بهذا الفيتامين، مثل الخضر والفاكهة.

الكولين: Choline:

هو العامل المانع لتراكم الدهون بالكبد. ويوجد الكولين فى اللبن بكثرة. وهو عامل هام فى تمثيل الدهون فى خلايا الجسم.

الأملاح المعدنية فى اللبن:

اللبن مصدر هام للأملاح المعدنية اللازمة لجسم الإنسان، وهى هامة للعظام والأسنان وتنظيم الضغط الأسموزى، وتنشيط عناصر الجسم.

ومن أهم الأملاح المعدنية فى اللبن، أملاح الكالسيوم والفسفور والماغنسيوم. ويوجد فى اللبن من المعادن الصوديوم والبوتاسيوم والكلور والكبريت. إلا أن اللبن يحتوى على قدر ضئيل من الحديد. كما يوجد فى اللبن آثار من المعادن الأخرى مثل المنجنيز والنحاس واليود والزنك والفلور ومعادن أخرى.

أنزيمات اللبن (خمائر اللبن):

الأنزيمات هى مواد تفرزها الخلايا، تساعد على إتمام التفاعلات الكيميائية، دون أن تتحد مع هذه التفاعلات. هذا بالإضافة إلى أن الأنزيمات تحلل المواد الغذائية المركبة إلى عناصر غذائية بسيطة يسهل امتصاصها. فالأنزيمات تساعد فى عمليات الهضم والامتصاص.

وتوجد الأنزيمات بنسب صغيرة فى اللبن. ومن أهمها الآتى:

١ـ **أنزيم الجالاكتيز**: يحلل البروتينات إلى أحماض أمينية بسيطة سهلة الهضم والامتصاص.

٢ـ **أنزيم الليبيز**: يحلل الدهون إلى أحماض دهنية بسيطة سهلة الهضم والامتصاص.

٣ـ **أنزيم اللاكتيز**: يحلل سكر اللبن (اللاكتوز) إلى جلوكوز وجلاكتوز؛ وهى سكريات إضافية يسهل امتصاصها.

٤ـ **أنزيم الأميليز**: يحلل النشا.

٥ـ **أنزيم البيروكسيديز**: عامل مضاد للأكسدة ويتلف بالغلى.

ويوجد باللبن ـ إضافة إلى هذه الأنزيمات ـ أنزيمات أخرى كثيرة.

وبالنظر لما تقدم من بيان خواص اللبن الطبيعية ومكوناته، يتضح لنا الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى الشريف:

«**إذا أكل أحدكم طعامًا فليقل: اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرًا منه، وإذا سُقى لبنًا فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه، فإنه ليس شىء يجزئ عن الطعام والشراب إلا اللبن**».

اختلاف ألبان الثدييات فى التركيب(*):

تختلف الثدييات فى صفاتها الوراثية، وبالتالى تختلف الصفات الوراثية فى صغارها. وتبعًا لذلك أيضًا تختلف الخصائص والمميزات فى كل حيوان ثديى عن الحيوان الآخر، وبين كل إنسان والإنسان

(*) انظر كتاب الإعجاز العلمى فى الرضاعة. للمؤلف.

الآخر؛ لأن تكوين اللبن فى الثدى أو الضَّرع إنما هو على أساس النظام الوراثى الموجود فى الخلايا، وعلى أساس العوامل الوراثية المميزة لكل فرع من الثدييات.

فلبن المرأة مثلاً يختلف عن ألبان الثدييات الأخرى، فهو أقل ألبان الثدييات نسبة فى الدهون والبروتين، وأكثرها فى كمية السكريات. وذلك يناسب الطفل الذى يحتاج لكثير من السكريات، ولقليل من الدهون والبروتينات.

وكما تختلف ألبان الثدييات عن بعضها البعض فى مكوناتها من البروتينات والدهنيات والسكريات، فهى تختلف أيضًا فى مكوناتها من الأملاح المعدنية والفيتامينات. فمثلاً نجد أن لبن الأم هو الأنسب لتغذية جسم الطفل ونمو أعضائه المختلفة نموًّا سليمًا.

أما الأطفال الذين يتغذون على ألبان البقر، فإن أجسامهم تتعرض لمرض الكساح وتسوس الأسنان، نظرًا لقلة الأملاح المعدنية فى لبن الأبقار؛ ولذلك فإن مصانع تجفيف ألبان البقر تضيف الكالسيوم وفيتامين (د) لمعالجة ذلك النقص.. وبسبب زيادة مستوى أملاح الصوديوم فى لبن البقر، فإن الأطفال الذين يتغذون على ألبان الأبقار يتعرضون لاضطرابات فى وظائف الكلى.

كما أن زيادة الدهون فى لبن البقر يعرض الأطفال الذين يتغذون عليه لأضرار صحية كثيرة، فى طور الطفولة، وفى مستقبل أيامهم أيضًا.

لذلك ولأسباب أخرى ـ سنتحدث عنها فيما بعد ـ نجد أن أنسب غذاء للطفل هو لبن أمه، ومن هذا نفهم المغزى العلمى لقول الله عز وجل: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ﴾.

ولقد جعل الله تعالى من لبن الأم غذاء كاملاً للطفل الرضيع. كما جعل لبن الثدييات الأخرى كلبن البقر غذاء كاملاً للإنسان البالغ فى طعامه اليومى.

كيف يتكون اللبن فى جسم الثدييات؟

لا يتكون اللبن فى الثدى أو الضَّرع، ولكن المراحل الأخيرة فقط فى صناعة اللبن فى أجسام الثدييات تتم فى خلايا الثدى أو الضرع؛ حيث تسبق ذلك خطوات كثيرة فى عملية تصنيع اللبن فى الجسم. وتوجد خلايا الثدى أو الضرع فى حويصلات تسمى الحويصلات الخروبية، ويحتوى الثدى على نحو مليون حويصلة. وكل حويصلة تحتوى على آلاف من الخلايا. وكان العلماء حتى إلى عهد قريب يعتقدون أن خلايا الضرع أو الثدى لا تزيد على كونها مصفاة تصفى اللبن من الدم، وتفرزه منه إلى قنوات الثدى. ولكن تبين أن الأمر ليس كذلك، وأن كل خلية وكل حويصلة مصنع فى غاية الإعجاز يقوم بعمليات فى غاية الدقة والتعقيد فى صناعة اللبن، بناء على الصفات الوراثية الموجودة فى نواة كل خلية فى الثدى وكل خلية فى الجسم ككل.

ويمكن تلخيص العمليات الحيوية فى خلايا الثدى أو الضرع لتصنيع اللبن كالآتى:

أولاً: يرشح الماء الموجود بالدم بنسب متساوية الكمية حسب الشفرة الوراثية الموجودة فى خلايا الثدى.

ثانيًا: تقوم خلايا الضرع أو الثدى بانتقاء فسيولوجى للعناصر الموجودة بالدم.

ثالثًا: تصنع خلايا الضرع أو الثدى مواد غير موجودة بالدم مثل سكر اللاكتوز، وفى نفس الوقت تفرز مواد أخرى من الدم بنسب محددة ومقننة.

إذن فعملية صناعة اللبن فى خلايا الثدى عملية بيولوجية فى غاية الدقة والإتقان.

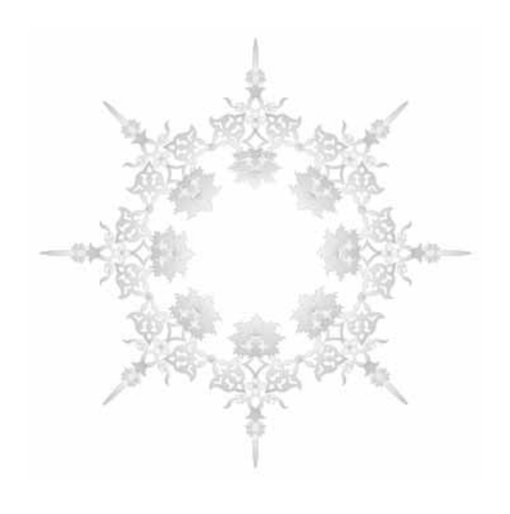
وهل يمكن صناعة اللبن من عناصره الأساسية فى المصانع؟

لا يمكن صناعة اللبن من عناصره الأساسية فى المصانع، بل إن مصانع العالم جميعًا بكل تقدمها التكنولوجى تعجز عن صناعة قطرة واحدة من اللبن. فليس معنى قول «الرضاعة الصناعية» أن اللبن قد تم تصنيعه. فهو من لبن الحيوانات كلبن البقر، وتم التعامل معه بالتجفيف أو استخراج بعض المواد منه، أو إضافة مواد أخرى له، فأى رضاعة للطفل من غير لبن الأم ـ بأى لبن آخر ـ تسمى رضاعة صناعية.

وفى ثدى المرأة نحو خمس عشرة قناة لبنية رئيسية. تصب كل منها فى قنوات صغيرة، كل منها تتكون من مجموعة من الحويصلات.. وتنتهى كل القنوات اللبنية الرئيسية فى حلمة الثدى.

وعملية إدرار اللبن استجابة لفم الطفل عملية فى منتهى الإعجاز والإبداع، فتوجد نهايات للأعصاب الحسية، فى حلمة الثدى، تنتهى فى أجهزة استقبال مجهرية الحجم للأحاسيس، تنبه العديد من الغدد الصماء فى الجسم إذا ابتدأ الطفل الرضاع. فتفرز هرمونات عديدة مثل هرمون البرولاكتين الذى ينشط الغدد اللبنية بالثدى، وفى نفس الوقت تفرز غدد صماء أخرى هرمون الـ oxytocin الذى يسبب انقباض قنوات حويصلات الثدى، فيندفع اللبن فى القنوات الرئيسية. وينزل اللبن من الثدى على شكل قطرات ويسمى هذا «رد الفعل الإفرازى».

لقد فطر **الله** تعالى جسم الأم على أن يكون مجهزًا لحمل الأطفال وولادتهم وإرضاعهم، ولبن الأم أنسب غذاء للطفل الرضيع. ولا تقوم مقامه ألبان أخرى، مثل ألبان البقر أو غيرها. ونجد ذلك من بعض المعانى فى قول **الله** عز وجل: ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ**﴾.



٣ لحم الأنعام (الإبل والبقر والغنم)

■ روى البخارى عن صدقة، عن ابن عُليَّة، عن أيوب، عن ابن سيرين، عن أنس بن مالك قال: قال النبى ﷺ يوم النحر: «**من كان ذبح قبل الصلاة فليعد**». فقام رجل فقال: يا رسول **الله**، إن هذا يومٌ يُشتهى فيه اللحم، وعندى جذعة خير من شاتى لحم. فرخص له فى ذلك.

■ روى البخارى عن خالد بن عبد **الله**، عن مُطرِّف، عن عامر، عن البراء بن عازب رضى **الله** عنهما قال: ضحى خال لى قبل الصلاة. فقال له رسول **الله** ﷺ: «**شاتك شاة لحم**». فقال: يا رسول **الله**، إن عندى داجنًا جَذعة من المعز. قال: «**اذبحها ولا تصلح لغيرك**». ثم قال ﷺ: «**من ذبح قبل الصلاة فإنما يذبح لنفسه، ومن ذبح بعد الصلاة فقد تمَّ نسكه، وأصاب سنة المسلمين**».

ـ وفى رواية أبى عبيدة أن الإمام على بن أبى طالب حل قبل الخطبة ثم خطب الناس فقال: إن رسول **الله** ﷺ نهاكم أن تأكلوا لحوم نسككم فوق ثلاث.

■ روى مسلم على بن حجر، عن إسماعيل بن جعفر، عن محمد بن عمرو بن حلحلة، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن ابن عباس أن رسول **الله** ﷺ جمع عليه ثيابه ثم خرج إلى الصلاة. فأُتى بهدية خبز ولحم.

■ روى مسلم عن عبد الملك بن عمرو، عن عبد العزيز بن أبى سلمة، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن السيدة عائشة رضى **الله** عنها قالت فى حديث لها: فلما كان يوم النحر أمرنى رسول **الله** ﷺ فأفضت.. قالت: فأُتينا بلحم البقر، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: أهدى رسول **الله** ﷺ عن نسائه البقر.

ـ وفى رواية أخرى عن السيدة عائشة قالت: فدخل علينا رسول **الله** ﷺ يوم النحر بلحم بقر... إلخ.

■ روى الإمام أحمد عن عفان، عن أبان العطار، عن شهر بن حوشب، عن أبى عبيد أنه طبخ لرسول **الله** ﷺ قدرًا فيه لحم. فقال: «**ناولنى ذراعها**»... إلخ.

■ روى ابن ماجه عن مَسْلمة بن عبد **الله** الجُهَنى، عن أبى مشجعة، عن أبى الدرداء قال: ما دُعى رسول **الله** ﷺ إلى لحم قط إلا أجاب. ولا أُهدى له لحم إلا قبله.

■ روى ابن ماجه، عن سفيان بن عيينة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد **الله**، أن رسول **الله** ﷺ أمر من كل جزور ببضعة، فجعلت فى قدر. فأكلوا من اللحم، وحسوا من المرق.

قال **الله** عز وجل: ﴿**وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾ [النحل: ٥].

كل عناصر الغذاء ضرورية، إلا أن البروتين أكثرها ضرورة لجسم الإنسان.

ويجد الإنسان غذاءه من البروتين فى النبات والحيوان والطير والسمك. إلا أن لحم الحيوان هو أكثرها استعمالاً على مستوى العالم. والبروتين الحيوانى أفضل من البروتين النباتى؛ لأن البروتين الحيوانى يحتوى على أحماض أمينية ضرورية، لا توجد فى البروتين النباتى.

ويوجد البروتين الحيوانى فى اللحم واللبن والبيض.

ومصدر اللحم الأساسى هو لحم الأنعام (الإبل والبقر والغنم).

البروتين الحيوانى[*]:

يتكون غذاء الإنسان من ستة عناصر رئيسية:

النشويات، والسكريات، والبروتينات، والدهون، والأملاح المعدنية، والفيتامينات، والماء. والجسم يحتاج إلى كل هذه المواد فى طعامه، وإذا افتقر غذاء الإنسان إلى أى عنصرٍ من تلك العناصر الستة، حدث خلل بجسم الإنسان ومرض.

وتوجد كل عناصر الغذاء الستة فى أنواع الغذاء المختلفة. والدهون والبروتينات منها ما هو من أصل نباتى، ومنها ما هو من أصل حيوانى. وعن غذاء الإنسان من أصل نباتى نقرأ فى سورة عبس قول **الله** ـ عز وجل: ﴿**فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ**﴾ [عبس: ٢٤ ـ ٣٢].

وعن غذاء الإنسان من أصل حيوانى، نقرأ فى سورة النحل، قول **الله** ـ عز وجل: ﴿**وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾ [النحل: ٥].

وفى سورة يس: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلاَ يَشْكُرُونَ**﴾ [يس: ٧١ ـ ٧٣].

وكل عناصر الطعام ضرورية وهامة، إلا أن البروتين أكثرها ضرورة للجسم، ويجد الإنسان غذاءه من البروتين فى النبات وفى الحيوان.

والبروتين الحيوانى أفضلُ من البروتين النباتى وأكثر فائدة من الناحية الغذائية للإنسان؛ لأن البروتين الحيوانى من مختلف مصادره، يحتوى على أحماض أمينية هامة لا توجد فى البروتين النباتى.

وأين يجد الإنسان البروتين الحيوانى؟

يجده فى اللحوم والألبان والبيض ولحم الطير ولحم الحيوانات الداجنة. والبروتين الحيوانى من أهم أنواع الغذاء للإنسان.

ومن الحيوان ما يؤكل لحمه. كالإبل والبقر والغنم. ومن الحيوان ما لا يؤكل لحمه. ويجد الإنسانُ له فيها منافع كثيرة أخرى، كما قال تعالى: ﴿**وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾ [النحل: ٥] أى فى بعضها منافع، ومن بعضها تأكلون.

واللحم غنى بالبروتينات الحيوانية، إلا أن البروتينات تشكل نحو ربع وزن اللحم تقريبًا، أما الباقى فهو مواد أخرى كالدهون، والأملاح، والألياف، والماء. وتختلف كميةُ الدهون فى اللحم تبعًا لنوع الحيوان، ودرجة سمنته.

ويمد اللحم جسم الإنسان بأملاح معدنية هامة، مثل الصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم والماغنسيوم والفوسفور والحديد.

واللحوم الحمراء غنية بالأملاح المعدنية، أما اللحوم البيضاء كلحم الدجاج مثلاً فهى فقيرة نسبيًّا فى الأملاح المعدنية، إلا أنها أكثرُ سهولة فى الهضم. ويمد البروتين جسمَ الإنسان بطاقة حرارية محدودة، فجرام البروتين يعطى أربعَ وحدات حرارية.

وإذا صُنِّف الإنسان بين المخلوقات الحية، لكان من المخلوقات آكلة النبات، فالإنسان مخلوق نباتى، وليس بينه وبين الحيوانات آكلة اللحوم صلة.

(*) من موسوعة المعارف الطبية. للمؤلف.

والقرود أقربُ الحيوانات شبهًا بالإنسان، وهى حيوانات آكلة للنباتات، وتركيب الجهاز الهضمى فى الإنسان يدل على أنه صمم لهضم الأغذية النباتية، وهو فى هضم النباتات أكثر كفاءة منه فى هضم اللحوم، إلا أن الغذاء المثالى للإنسان هو ذلك الغذاء الذى يحتوى على النباتات واللحوم معًا.

وهل يستطيع الإنسان أن يعيش حياة طبيعية من غير أن يتناول لحمًا فى طعامه؟ النباتيون يتحمسون لذلك، إلا أنه من الناحية الغذائية، يحتاج جسم الإنسان فى غذائه إلى قليل من اللحوم؛ ليكون غذاء مثاليًّا، نظرًا لما تحتويه اللحوم من مواد غذائية ضرورية لا توجد فى أى غذاء نباتى.

واللحم غنى بالبروتين الحيوانى وفقير بالمواد السكرية. وتختلف اللحوم فى أنواع الحيوانات، وتختلف أطوال خلاياها وأليافها، وكلما قل طول الألياف فى اللحم، كانت أسهل هضمًا، مثل لحم الدجاج والسمك، وكلما زادَ طول الألياف فى اللحم كان هضمها عسرًا، مثل لحم الإبل.

واحتياج جسم الإنسان إلى البروتين الحيوانى يختلف باختلاف مراحل العمر، فالأطفال فى حاجة إلى ثلاثة جرامات من البروتين يوميًّا؛ لكل كيلو جرام من وزن الجسم؛ وذلك لأن الجسم يحتاج إلى البروتين فى نموه فى صغر السن، وبعد سن العشرين يكفى جرام واحد من البروتين يوميًّا لكل كيلو جرام من وزن الجسم، ومن الأفضل أن يكون نصف هذا البروتين من البروتين الحيوانى.

وكثرةُ تناول اللحوم فى الطعام والإسراف فيه، يسبب بعض الأمراض فى الجسم، لذلك يجب على الإنسان ألا يسرف فى تناول اللحوم فى طعامه، فكل كيلوجرام من جسم الإنسان يحتاج إلى جرام واحد من البروتين. فإذا كان وزن الجسم ستين كيلوجرامًا، فيحتاج إلى ستين جرامًا من البروتين، توجد فى نحو ربع كيلو من اللحم يوميًّا، أو من مصادر حيوانية أخرى كاللبن ومستخرجات الألبان، أو من البروتين النباتى.

أما حساء اللحم فليس له قيمة غذائية تذكر، فهو ملح وماء مع قليل من الدهون، ولقد ذكرت أهمية اللحم فى الغذاء فى السنة النبوية، فقد روى ابن ماجه عن أبى الدرداء رضى **الله** عنه أن رسول **الله** ﷺ قال: «**سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم**».

وهذا الحديث الشريف تفسير لآية سورة الطور التى تتحدث عن طعام أهل الجنة، فيقول **الله** تعالى: ﴿**وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ**﴾ [الطور: ٢٢].

ويوجد البروتين الحيوانى فى غير اللحوم أيضًا؛ فيوجد فى الألبان، والبيض أيضًا.

أما عن لحم الدجاج فيقول علماء الأغذية: إن أفضل طريقة لإعداده للأكل شيه على النار؛ لأن المشوى على النار يفقد اللحم الجزء الأكبر من الدهن، وبذلك يكون أسهل هضمًا.

وروى الإمام البيهقى والإمام ابن أبى الدنيا، عن ابن مسعود رضى **الله** عنه أن رسول **الله** ﷺ قال: «**إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتهيه، فيجىء مشويًّا بين يديك**»، وفى الحديث الشريف إشارة إلى أن شىً لحم الطير أفضل لآكله.

ويجد الإنسان أكثر غذائه من لحم وشحم وألبان فى الأنعام، من البقر والضأن والماعز والإبل وما شابهها، وجاءت هذه الحقيقة فى القرآن الكريم فى أربع آيات هى بترتيب النزول: يس، وغافر، والنحل، والمؤمنون، وكلها سور مكية.

نزلت أولاً فى سورة يس فى قول **الله** تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ**﴾ [يس: ٧١، ٧٢].

وفى الآية الكريمة أمر بالمشاهدة والتفكر والتدبر فى آية **الله** فى خلقه وفضله على عباده، ثم نزلت سورة غافر، يقول **الله** ـ تعالى ـ فيها: ﴿**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾ [غافر: ٧٩] والآية تقرر حقيقة ثابتة عن الأنعام التى تُركب ولا يؤكل لحمها، والأنعام التى تُؤكل لحومها، ثم نزلت سورة النحل، يقول **الله** تعالى فيها: ﴿**وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾ [النحل: ٥]، وبعد أن بينت الآياتُ الثلاث فى السور الثلاثة صورًا عامة لخلق الأنعام، وتسخيرها للإنسان، يجد فيها لنفسه المسكن، والملبس، والركوب، والطعام.

نزلت سورة المؤمنون، يقول **الله** تعالى فيها: ﴿**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾ [المؤمنون: ٢١].

ولكم فيها منافع كثيرة: لم تذكر الآية الكريمة تلك المنافع؛ لأنها ذكرت فى السور التى نزلت من قبل.

وجاءت حقيقة: ﴿**وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾ فى الآيات الأربع، كل آية تذكر هذه الحقيقة فى سياق الحديث عن وجهٍ من وجوه الهداية العلمية، التى تهدف إلى هدايةٍ دينية جامعة.

وكانت الأبقار منذ العصور القديمة، يستعملها الإنسان فى الحرث وجر آلات الزراعة، وكما أن الجمل أهم حيوان لساكن الصحراء، فكذلك البقر أهم حيوان للإنسان الذى يفلح الأرض. وفى العصر الحديث استُغنى عن الأبقار فى الجر والحرث وحل محلها الآلات الحديثة. وصار بذلك أهم فوائد الأبقار هى أهم فوائد الإبل لسكان الصحراء: يأكلون لحمها، ويشربون لبنها، وينتفعون بجلودها. كما أن روث البقر يستعمل فى توفير السماد الطبيعى للأراضى الزراعية.

وتنتشر مزارع تربية الأبقار فى معظم بلدان العالم الغنية بالمراعى، وخصوصًا فى أوروبا والأمريكتين، وفى أمريكا الجنوبية يأكل الناس لحوم الأبقار كوجبة رئيسية يومية.

وتنتج تلك البلدان كميات هائلة من اللحوم والألبان، ومنتجات الألبان، وتصدرها للخارج، وتعتمد عليها كثير من الدول فى دخلها القومى.

وابتدأت مشروعات تربية الأبقار فى العالم العربى حديثًا، وحققت اكتفاء ذاتيًا فى اللحوم والألبان، إلا أن البلاد الغربية الغنية بالمراعى هى من أكثر البلاد إنتاجًا للحوم والألبان والجلود.

وفى مزارع تربية الأبقار، تُختار أقوى الثيران لتلقيح إناث الأبقار، حتى يتحقق إنتاج سلالات قوية من الأبقار فى الصحة، وكبيرة فى الحجم. ويهتمون بتغذية الأبقار، وتطعيمها ضد الأوبئة والأمراض.

أما ذكور الأبقار الصغيرة، فإن المربين يُخْصُونها، حتى تكتسب المزيد من اللحم فى أسرع وقت. ويراعى صاحب المزرعة أن يبيع البقرة فى عمر معين، وهو الذى بعده تقل نسبة الزيادة فى الوزن، أو يبدأ إدرار اللبن فى الهبوط، وفى الوقت نفسه يبيع صاحب المزرعة العجول الصغيرة، حتى لا تستهلك ألبان الأبقار.

وتوجد مزارع أخرى تشترى تلك العجول الصغيرة، بهدف تربيتها لتصل إلى أوزان كبيرة، ويربحون من وراء بيع لحومها.

وعلف الأبقار مصنوع من مواد بروتينية، وأملاح معدنية وفيتامينات، وبذور نباتية.

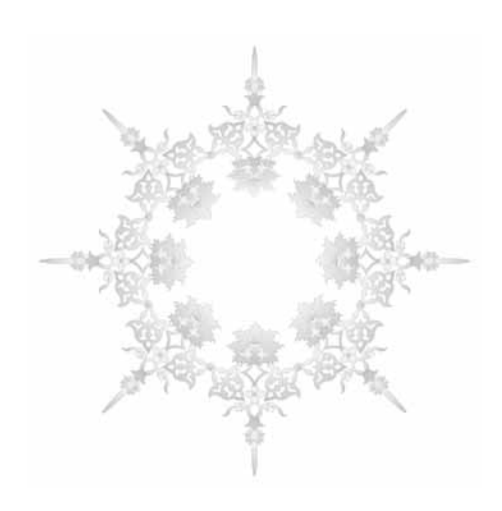
وفى المذبح يقوم مفتشو الطب البيطرى، بالكشف على لحوم الأبقار بعد ذبحها خوفًا من وجود بعض الطفيليات بها. وإذا تأكدوا من خلوها من الطفيليات تختم بأختام خاصة تدل على صلاحيتها للاستهلاك، ويصرح بإرسالها إلى الأسواق.

وتعتبر اللحوم أهم أنواع الطعام للإنسان. أما أجزاء الحيوان التى لا يأكلها الإنسان، فتستخدم فى صناعات كثيرة:

فجلود الحيوان، ترسل لمصانع الجلود، لدبغها، ولصناعة الكثير من المنتجات كالأحذية والحقائب والمعاطف.. وغيرها. أما عظام الحيوان، فتستعمل فى صناعة الجيلاتين، والغراء.

ومن هرمونات الأبقار وغيرها من الدواب، تُصنع بعض الهرمونات التى تستعمل فى علاج بعض أمراض الإنسان.

ومن نفايات اللحوم، تصنع الأسمدة الزراعية، وبعض أنواع الطعام للقطط والكلاب.





الأغـــنـــام

١ ـ صفاتها وطرق حياتها وجهازها الهضمى .

٢ ـ الصـــوف .

٣ـ الجلـــود .

صفحة ٥٢ بيضاء



الباب الثالث الأغنـــــــــام

١ صفاتها وطرق حياتها وجهازها الهضمى

■ روى الإمام مسلم عن مالك، عن أبى الزناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة أن رسول **الله** ﷺ قال: «**الفخر والخيلاء فى أهل الخيل والإبل، الفدَّادين أهل الوبر، والسكينة فى أهل الغنم**».

الفخر: هو الافتخار وعد المآثر.

الخيلاء: الكبر والتعالى على الناس.

السكينة: الطمأنينة والسكون. على خلاف ما ذكره من صفة الفدادين.

■ روى مسلم عن يونس، عن ابن شهاب، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: سمعت رسول **الله** ﷺ يقول: «**الفخر والخيلاء فى الفدادين أهل الوبر، والسكينة فى أهل الغنم**».

■ روى الإمام البخارى عن يونس بن شهاب، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر بن عبدالله رضى **الله** عنهما قال: سئل رسول **الله** ﷺ: أكنت ترعى الغنم؟! قال: «**وهل من نبى إلا وقد رعاها**؟!».

■ روى الإمام البخارى عن أحمد بن محمد المكى، عن عمرو بن يحيى عن جده، عن أبى هريرة رضى **الله** عنه أن النبى ﷺ قال: «**ما بَعَثَ الله نبيًا إلا رعى الغنم**». فقال أصحابه: وأنت؟ قال: «**نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة**».

القراريط: جزء من الدرهم.

وروى ابن ماجه هذا الحديث بإسناد آخر.

وفى رواية الإمام النسائى قال: افتخر أهل الإبل وأهل الغنم. فقال النبى ﷺ: «**بعث موسى وهو راعى غنم، وبعث داود وهو راعى غنم، وبعثت وأنا أرعى غنم أهلى بجياد**».

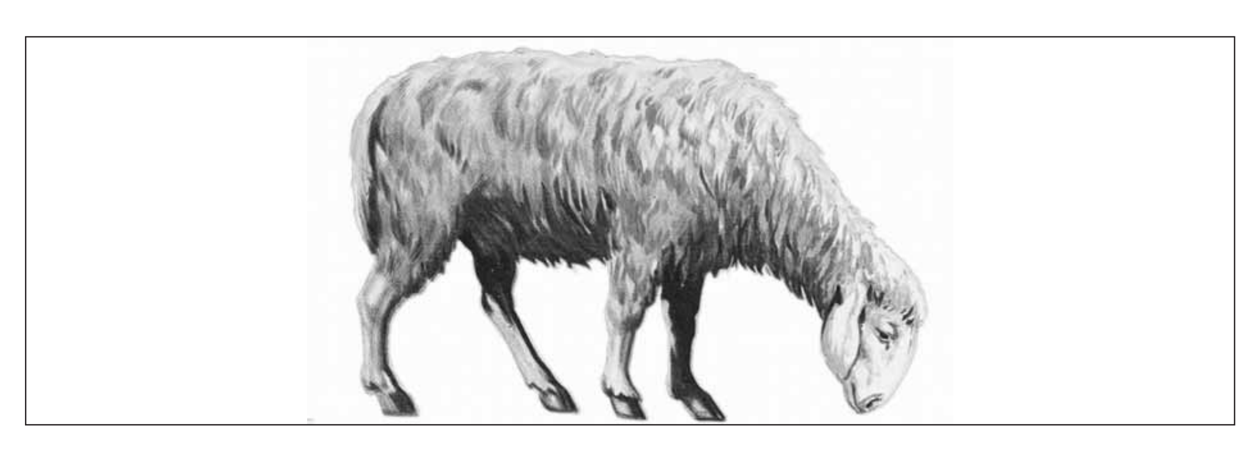
قال أهل العلم: قال رسول **الله** ﷺ ذلك بعد أن علم كونه أكرم الخلق على **الله**، وكان ﷺ عظيم التواضع لربه والتصريح بمنته عليه وعلى إخوانه الأنبياء.

■ روى الإمام أحمد عن شعبة، عن سماك، عن أبى ثور بن عكرمة بن جابر بن سمرة، عن جده، أن النبى ﷺ سئل عن الصلاة فى مبات الغنم، فرخص. وسئل عن الصلاة فى مبات الإبل فنهى عنه.

■ روى الإمام ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة، عن وكيع، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن أم هانئ أن النبى ﷺ قال لها: «**اتخذى غنمًا فإن فيها بركة**».

■ وروى الإمام ابن ماجه عن عبد **الله** بن نمير، عن عبد **الله** بن إدريس، عن حصين، عن عامر، عن عروة البارقى، يرفعه (الإبل عز لأهلها، والغنم بركة، والخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة).

الأغنام وطرق معيشتها:



الأغنام حيوانات ثديية، من مشقوقات الحافر (عدد زوجي من الأصابع) وهي من الحيوانات المجترة، ومن مجوفات القرون (لأن لها قرونًا مجوفة). ومن آكلات الأعشاب (لأنها تعيش على الحشائش). طولها نحو ٧٥سم. تزن في المتوسط ١٦٠ رطلاً. وتنتج نحو خمسة أرطال من الصوف في كل جزة.

والأغنام من فصيلة الأبقار، وتوجد نحو مائتي سلالة من الأغنام في أنحاء العالم.. ومع اختلاف سلالاتها إلا أنها تنتمي جميعًا إلى نوع واحد.

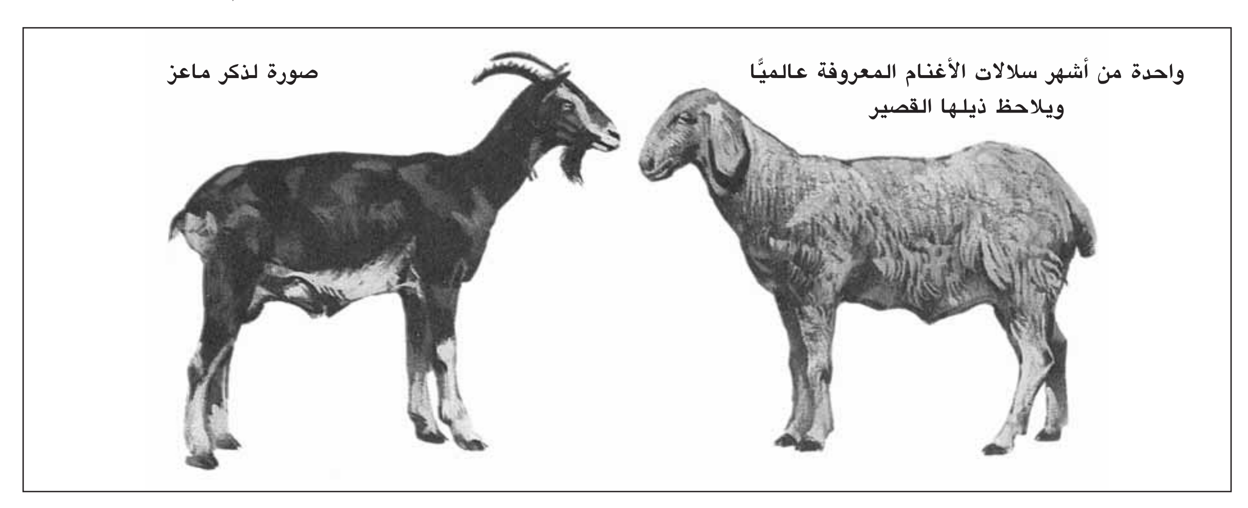
أما الماعز فهي أكثر تباينًا، وتنتمي إلى عدة أنواع. والأغنام من الأنعام التي قال الله تعالى عنها: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥]، فتؤكل لحومها، وينتفع بصوفها في صناعة النسيج والملابس، وبجلودها في المصنوعات الجلدية. ويشرب لبن الغنم؛ لذلك تربى الأغنام بأعداد كبيرة.

وتعيش الأغنام في بيئات مختلفة، وتتحمل الحرارة والبرودة. فتعيش في المراعي الخضراء، كما تعيش في الأرض الجدباء على ما تجود به من حشائش قليلة.

والماعز مصدر للحم واللبن والشعر. وفي المناطق الصحراوية الحارة تكون الماعز هي المصدر الرئيسي للألبان، وتنحدر الماعز الأُول من إيران.

وتختلف الماعز عن الأغنام بعدد من الصفات، منها: التواء ذيل الماعز إلى أعلى، كما أن ذكور الماعز لها ذقون.

ولاشك أن مناطق الرعي المرتفعة المكشوفة المكان الأصلح لتربية قطعان الأغنام والماعز.



واحدة من أشهر سلالات الأغنام المعروفة عالميًا ويلاحظ ذيلها القصير

صورة لذكر ماعز

يستفيد مربو الأغنام من لحومها وجلودها وألبانها وأصوافها، وفى بعض البلدان يعتمد جانب من اقتصادها على تربية الأغنام مثل أستراليا ونيوزيلندا ويعمل المربون للأغنام هناك على زيادة الإنتاج؛ حتى يزداد الدخل القومى.

إن تربية الأغنام لا تحتاج إلى أرض خصبة؛ فهى ترعى على الحشائش القصيرة، كما يمكنها أن تعيش على المراعى الفقيرة. ولكنها تحتاج إلى كميات كبيرة من ملح الطعام، فهى تشتهيه، ويزيد من شهيتها للطعام وبذلك تزداد وزنًا.

والرعاة لهم خبرة كافية بالغنم وطرق تغذيتها، والمحافظة عليها، وعلاجها من بعض الأمراض.. ويزداد مستوى النسل فى القطيع إلى الضعف إذا أحسن الرعاة الاهتمام برعايتهم للأغنام وتغذيتها والمحافظة عليها.

ويجز الصوف فى شهر الربيع؛ لتخفيف الحرارة عن الغنم وهى مقبلة على شهر الصيف، ولا يجز الصوف فى الشتاء لتدفئتها. وتحتل الأغنام مركزًا هامًّا فى الثروة الحيوانية فى كثير من بقاع العالم، بالنظر إلى قلة تكاليف تربيتها، وكثرة ما تنتج من فوائد للناس من لحوم وجلود وأصواف وألبان.

ولعل الأغنام هى أولى الدواب التى استأنسها الإنسان من ٨٠٠٠ سنة ق.م.

وتعتبر أغنام المارينو المصدر الوحيد للصوف الناعم، وقد لعبت دورًا أساسيًّا فى جعل أستراليا أهم دولة منتجة ومصدرة لهذا الصوف الفاخر فى العالم.

أما الأغنام الموجودة فى الشرق الأوسط فهى تختلف عن الأغنام فى البلدان الأخرى بغلظ ذيلها وتجمع كمية من الدهن فيه. كما تجمع الإبل معظم دهنها فى سنامها، فكذلك الأغنام فى الشرق الأوسط تجمع معظم دهنها فى ذيلها.

ويبلغ عدد الأغنام فى العالم نحو ألف مليون رأس، وهى على أنواع مختلفة:

١ـ أغنام منتجة للصوف المتوسط.

٢ـ أغنام منتجة للصوف الطويل.

٣ـ أغنام الشرق الأوسط وهى أغنام منتجة للحم والدهن ولصوف السجاد.

٤ـ وهناك أنواع أخرى من الأغنام لإنتاج الحليب، ويكثر وجودها فى بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط، أما صوفها فيستعمل فى صناعة السجاد، والخيام، والملابس الصوفية الخشنة.

ويجب تطعيم قطيع الأغنام ضد الأمراض الشائعة فى الأغنام، والتطعيم يعمل على وقاية الأغنام من كثير من الأمراض المهلكة لها.

ويصاحب قطيع الأغنام كلاب الحراسة، يأخذها الراعى معه؛ للدفاع عن القطيع ضد الذئاب والثعالب. ولا بأس من تربية كلاب للحراسة؛ لأنها ضرورية بعكس الكلاب التى تُمسَك بالمنازل، فضررها أكثر من نفعها(*)؛ لذلك نهى رسول **الله** ﷺ عن ذلك. وقال فى حديث صحيح: «**من أمسك كلبًا فإنه ينقص كل يوم من عمله قيراط إلا كلب حرث أو ماشية**».

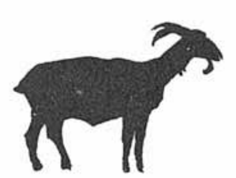
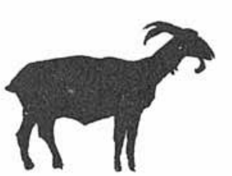
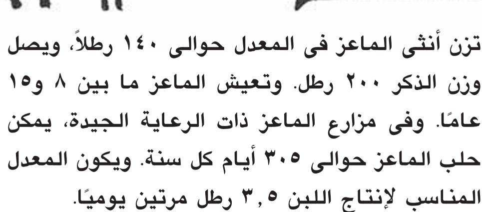
وعلى الراعى أن يعرف جيدًا كيف يولّد النعاج. وأول ما يظهر عند الولادة جيب الماء، وله وظيفة هامة، فهو يوسع المجرى أمام المولود الصغير الذى يوشك على الخروج من بطن أمه، وأول ما يظهر من

(*) انظر باب (الكلاب) فى هذا الكتاب.

المولود الرأس ومعه اليدان الأماميتان، وبعد الولادة يبدأ الصغير فى التنفس، وتدفع الغريزة النعجة الأم إلى الإقبال على مولودها والاطمئنان عليه. وهذا المولود الصغير فى حاجة إلى رعاية خاصة وإلا نفق؛ بسبب الجوع والتعرض لحرارة الشمس.

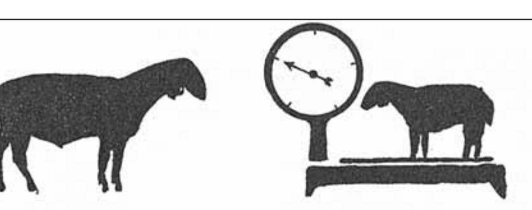
وتزن النعجة المتوسطة الحجم ما بين ٤٠ و٦٠ كيلوجرامًا، وتعيش من ٨ إلى ١٥ سنة وتنتج نحو أربعة أرطال من اللبن يوميًّا (رطلين مرتين فى اليوم).

أما أنثى الماعز فهى أكثر إدرارًا للبن من النعجة، وتنتج أكثر من ثلاثة أرطال من اللبن كل يوم، إلا أن البقرة تنتج لبنًا أكثر مما تنتج أنثى الماعز.

تزن أنثى الماعز فى المعدل حوالى ١٤٠ رطلاً، ويصل وزن الذكر ٢٠٠ رطل. وتعيش الماعز ما بين ٨ و١٥ عامًا. وفى مزارع الماعز ذات الرعاية الجيدة، يمكن حلب الماعز حوالى ٣٠٥ أيام كل سنة. ويكون المعدل المناسب لإنتاج اللبن ٣,٥ رطل مرتين يوميًا.

لا يمكن التمييز عادة بين لبن الماعز والبقرة. ويستخدم لبن الماعز أحيانًا لصنع نوع ممتاز من الجبن يعرف بالكولمبير. ولكن فى المناطق من العالم التى يمكن فيها إنتاج اللبن البقرى بنجاح، تكون تربية الماعز لإنتاج اللبن عديمة القيمة الاقتصادية.



تتباين أوزان الأغنام كثيرًا تبعًا لسلالتها. وتزن النعجة المتوسطة الحجم حوالى ١٦٠ رطلاً. وتعيش الأغنام أيضًا ما بين ٨ و١٥ سنة. ولا تعطى أحسن النعاج نتاجًا من اللبن يفوق ما تعطيه الماعز ذات الرعاية الجيدة. ويعتبر نتاج النعجة معقولاً، إذا أعطت رطلين من اللبن مرتين يوميًّا.

تربى الأغنام أساسًا فى البلاد الأكثر تقدمًا، لما تنتجه من صوف ولحم. كما تربى الأغنام عادة فى جنوب شرق أوروبا وآسيا، لما تنتجه من ألبان. وتصنع جبن الروكفور من ألبان الأغنام.

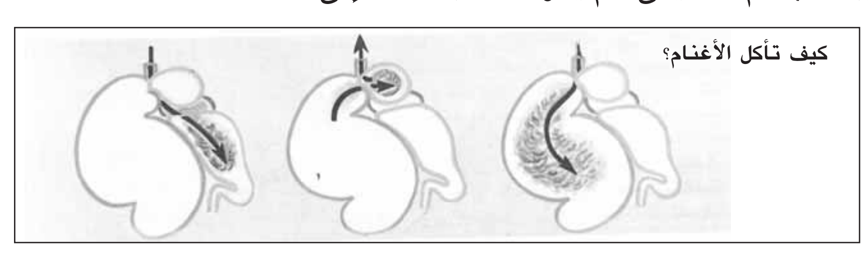
الجهاز الهضمى فى الغنم:

ترعى الأغنام على الحشائش القصيرة، حتى فى الأراضى القاحلة، وتحتاج إلى كمية كبيرة من الماء كل يوم.. وتقبل بشراهة على ملح الطعام، وتتناول أكثر من ٢٠ جرامًا من الملح يوميًّا، ويمكنها أن تتناول المزيد من الملح بشراهة عجيبة، وكلما تناولت المزيد من الملح زادت شهيتها للطعام.

عملية الاجترار:

كل الأنعام (البقر والغنم والإبل) حيوانات مجترة، وكذلك تفعل الغزلان والزراف؛ لأنها من فصيلة الأبقار، وهذه الدواب لا تمضغ طعامها فى الحال، بل تبتلعه صحيحًا وتختزنه فى (الكرش الأولى)، وهى واحدة من الغرف الأربع المكونة لمعدة الغنم، ولكل الحيوانات المجترة.

وعند الاسترخاء يمر الطعام من الكرش الأولى إلى (المعدة الثانية)، حيث يتحول إلى كرات من الطعام تعود إلى فم الحيوان ثانية لمعاودة مضغه. وبعد مضغه يبتلعه، حيث يمر إلى (المعدة الثالثة) و(المعدة الرابعة) حيث يبدأ الهضم الحقيقى، ثم يمر الغذاء بعد ذلك إلى الأمعاء.



٢ الصـــــــــــــــــــوف

■ روى الإمام مسلم عن أحمد بن حنبل وسريح بن يونس، عن هُشَيْم، عن داود بن أبى هند، عن أبى العالية، عن ابن عباس قال: مر رسول الله ﷺ بوادى الأزرق فقال: «**أى واد هذا؟**»، فقالوا: هذا وادى الأزرق. قال: «**كأنى أنظر إلى موسى عليه السلام هابطًا من الثنية وله جُؤَار**[1] **إلى الله بالتلبية. ثم أتى على ثنية هَرْشَى**[2]»، فقال: «**أى ثنية هذه؟**» قالوا: ثنية هرشى. قال: «**كأنى أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام، على ناقة حمراء جَعْدة**[3]**، عليه جُبّة من صوف خطام ناقته خُلْبة**[4] **وهو يُلَبّى**».

■ روى ابن ماجه عن بقية بن الوليد، عن يونس بن أبى كثير، عن نوح بن ذكوان، عن الحسن، عن أنس قال: لبس رسول الله ﷺ الصوف، واحتذى المخصوف، ولبس ثوبًا خشنًا.

ـ المخصوف: أى المخروز المرقع.

■ روى الإمام ابن ماجه عن محمد بن عثمان بن كرامة، عن أبى أسامة، عن الأحوص بن حكيم، عن خالد بن معدان، عن عبادة بن الصامت قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم وعليه جُبّة رومية من صوف، فصلى بنا وليس عليه شىء غيرها.

■ روى الإمام أحمد عن سعيد عن قتادة، عن أبى بردة بن عبد الله بن قيس عن أبيه، قال: شهدنا ونحن مع رسول الله ﷺ إذا أصابتنا السماء، حسبت أن ريحنا ريح الضأن، إنما لباسنا الصوف.

ـ أصابتنا السماء: أى أمطرت.

أى إن الرسول ﷺ كان لا يلبس إلا الملابس الخشنة، والمصنوعة من الصوف، ولم يلبس قط ملابس من حرير أو أى ملابس ناعمة، وكان ينام على حصير أو فراش محشو بالليف.

يحصل الناس على الصوف من الغنم، ويجزونه مرة واحدة فى السنة، خلال فصل الربيع؛ حتى يمكن للفروة الجديدة أن تنمو من جديد قبل حلول شهر الشتاء. ويُزال الصوف بواسطة مقصات يدوية، إلا أن المقصات الكهربائية تستخدم الآن فى كثير من مزارع الأغنام ـ ويقول المختصون إن فروة خروف واحد فيها أكثر من ٢٥ مليون شعرة صوف.

وأستراليا أكثر المناطق اهتمامًا بالصوف فى العالم، وفيها أعلى نسبة لتربية الأغنام حتى أن مقابل كل شخص فى أستراليا توجد أكثر من ١٥ رأسًا من الغنم.

تركيب الصوف:

شعرة الصوف فى غاية الدقة فلا يزيد قطرها على $\frac{١}{١٠٠٠}$ من السنتيمتر، إلا أن بعض أنواع الصوف يصل قطر الشعرة إلى $\frac{١}{٢٠٠}$ من السنتيمتر. وإذا وضعنا شعرة من الصوف تحت المجهر فسوف نشاهد منظرًا عجيبًا. إنها مغطاة بحراشيف متراكبة. وإذا نظرنا إلى قطاع رأسى لشعرة الصوف، فسنجد لها غشاء خارجيًّا يغطى اللحاء الداخلى والجزء المركزى فيه. وتتميز شعرة الصوف بالمرونة والتمدد إذا تعرضت للشد. فشعرة صوف طولها ١٠ سنتيمترات مثلاً، يمكن أن تشد فتصل إلى ١٢ سنتيمترًا ولا تنقطع. وشعيرات الصوف ليست مستقيمة، ولكنها لولبية، وهذا هو سر تأثير الصوف فى تدفئة جسم من يلبس ملابس صوفية.

(١) جؤار: رفع الصوت.
(٢) هرشى: جبل قرب الجحفة.
(٣) جعدة: مكتنزة اللحم.
(٤) خلبة: هو الليف.



شعرة الصوف مغطاة بحراشيف (قشور متراكبة) والصورة مكبرة ألف مرة

وتوجد أنواع من الأغنام تنتج أنواعًا جيدة من الصوف وبكميات كبيرة، وتوجد سلالات من الأغنام تربى للحصول على صوفها وسلالات أخرى تربى للحصول على لحومها.

ومحصول الصوف العالمى مليونا طن كل عام. وتتصدر أستراليا وحدها ثلث المحصول العالمى من الصوف.

سلالات الأغنام الشهيرة

لقد تسببت الحواجز الجغرافية، إلى حد ما، فى وجود أكثر من ٢٠٠ سلالة مختلفة من الأغنام؛ نتيجة لتعثر حدوث التهجين بين قطعان المناطق المختلفة. ومن أسباب هذا أيضًا: القدرة الفائقة للقائمين بالتهجين الذين قاموا بالعديد من عمليات التهجين، بغرض الحصول على قطعان ذات صفات خاصة مطلوبة. وتبعًا لهذا، توجد سلالات لكل الأغراض: إنتاج الصوف. وإنتاج اللحوم، وللمعيشة فى أراضى المراعى المنخفضة المحمية، أو للحياة الخشنة على تلال المناطق الشمالية.



أغنام كاراكول: هذه سلالة الشرق الأوسط، وتنتج اللحوم، واللبن، والصوف، والجلود. وجلود أغنام كاراكول الحديثة المولد، معروفة لكثير من الأوروبيين باسم الحمل الفارسى الذى تصنع منه المعاطف.

المرينو: إن الموطن الأصلى لخراف المرينو هو إسبانيا. ويبلغ وزن صوف الخروف البالغ، ١٢ رطلاً، وهو أثقل من صوف أية سلالة أخرى. وتربى أغنام المرينو بأعداد كبيرة فى أستراليا.

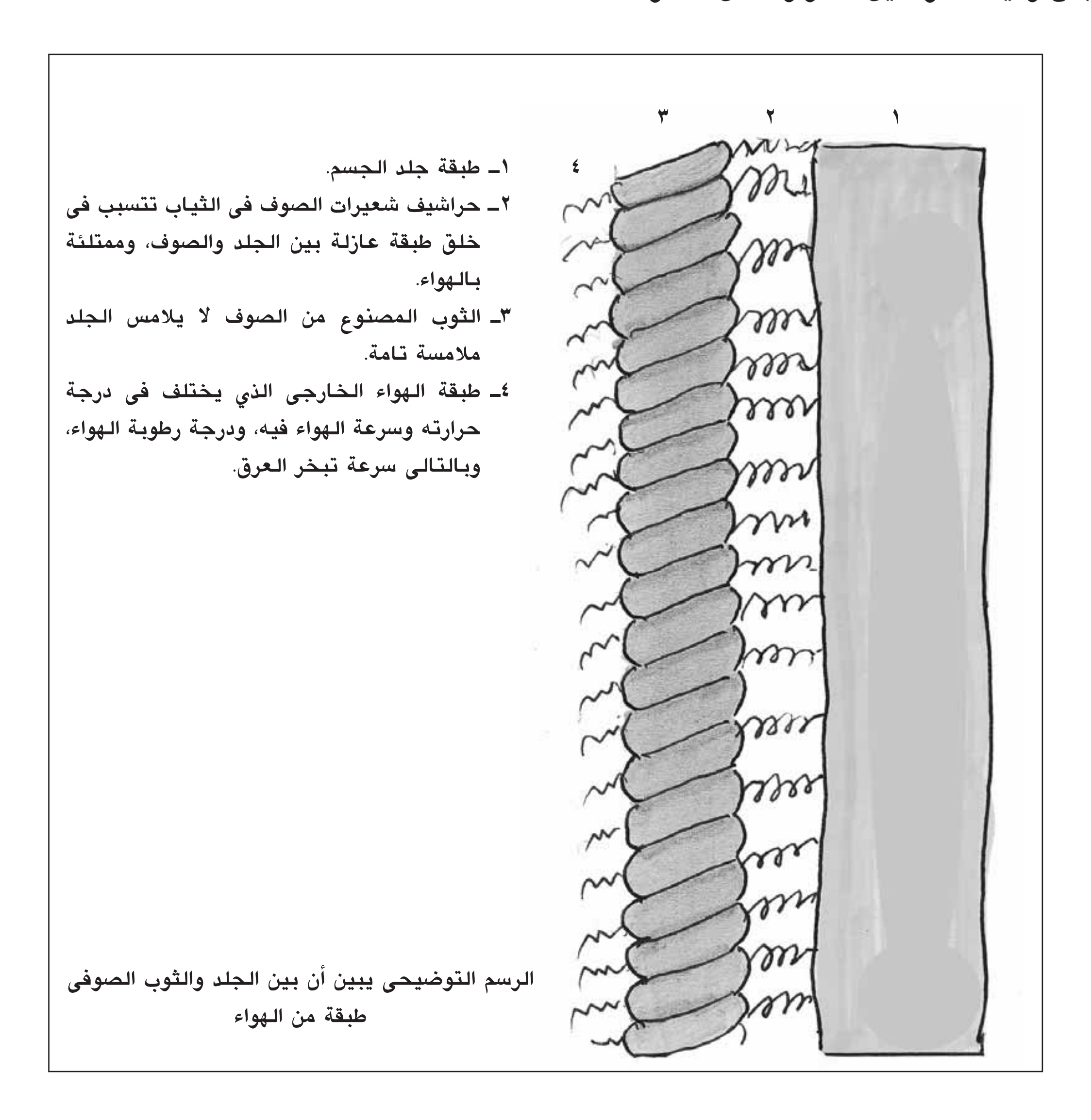
لماذا يُسبب الصوف الدفء؟

إن الذى يلبس ملابس صوفية يشعر بالدفء.. وهذا سر إقبال الناس على ارتداء ملابس صوفية فى فصل الشتاء؛ وذلك لثلاثة أسباب رئيسية فى تركيب شعيرات الصوف وخواصها:

السبب الأول:

أننا نشعر بالحرارة إذا كانت حرارة الجو المحيط بنا مثل حرارة الجسم أو أعلى منه، وأجسامنا تنتج حرارة بسبب عمليات الأيض، فترتفع حرارة الجسم درجة مئوية كل ساعة، ولابد للجسم من أن يتخلص من حرارته المتزايدة، ويتم ذلك بواسطة تبخر العرق. وتيار الهواء المحيط بالجسم يساعد على تبخر العرق، وخصوصًا لو لم يكن الجو رطبًا، وذلك يخلص الجسم من حرارته؛ فإن رطوبة الهواء تقلل من تخليص الجسم من حرارته المتزايدة باستمرار، وتشعر الإنسان بزيادة وطأة حرارة الجو من حوله.

أما فى فصل الشتاء، فالمطلوب المحافظة على حرارة الجسم وليس فقدانها، وهذا يتحقق بلبس ملابس رديئة التوصيل للحرارة مثل الصوف.



الرسم التوضيحى يبين أن بين الجلد والثوب الصوفى طبقة من الهواء

السبب الثانى:

الصوف موصل ردىء للحرارة؛ لأن الصوف يحتوى على قدر كبير من الهواء المحصور بين الحراشيف الملتوية التى تغطى شعيرات الصوف. والهواء أردأ توصيلاً للحرارة من الصوف ذاته.

إن ما لا يقل عن ٨٠ فى المائة من الأقمشة الصوفية يحتوى فراغات مملوءة بالهواء الحبيس، وهو يعمل كطبقة عازلة تمنع تسرب حرارة الجسم إلى خارج الجلد. كما أن الملابس الصوفية لا تلامس الجلد ملامسة حقيقية، فإن حراشف شعيرات الصوف تنتشر على سطح القماش، وتسبب طبقة من الهواء عازلة بين الجلد والقماش المصنوع من الصوف. وبالتالى احتجاز حرارة الجسم ومنعها من التسرب إلى الخارج.

السبب الثالث:

الصوف يمتص الماء ويحتفظ به (الكيلوجرام من الصوف يمتص ١٧٠ جرامًا من الماء). كما أنه يمتص الرطوبة من الجو المحيط به. ومع ذلك نشعر ونحن نلمسه أنه جاف تمامًا، ولا يمكن استخراج ذلك الماء من الصوف!

وللملابس الصوفية خواص أخرى تميزها عن باقى الملابس غير الصوفية، فهى تمتص بسرعة بخار الماء المتصاعد من الجلد، ومع ذلك نشعر أنها جافة، والصوف أسرع الملابس امتصاصًا للعرق. ولو كانت من قطن أو تيل أو حرير مثلاً لأحسسنا بها مبتلة بالماء. ومن العجيب أن الصوف أثناء امتصاصه العرق أو الرطوبة يولد كمية معينة من الحرارة! وهذا ما يزيد من مقدرة الملابس الصوفية على التدفئة.

وكل ما ذكرناه من حقائق علمية عن الصوف يفسر قول **الله** عز وجل: ﴿**وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ**﴾ [النحل: ٥].

أى أن من أصوافها وأوبارها وأشعارها يصنع الإنسان ملابس يستدفئ بها.

وقال تعالى: ﴿**وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ**﴾ [النحل: ٨٠] الأصواف من الغنم والوبر من الإبل والشعر من الماعز. وبدأ بالأصواف؛ لأن لها الأهمية الأولى فى صناعة الملابس التى تحدث دفئًا للإنسان.

(أثاثًا) أى متاع البيت والفرش والملابس.

وقال ابن عباس فى كلمة (أثاث): هى الطنافس والبسط والثياب والكسوة.

وفى السنة عن أبى بردة عن أبيه قال: شهدنا ونحن مع رسول **الله** ﷺ إذا أصابتنا السماء حسبت أن ريحنا ريح الضأن. إنما لباسنا الصوف.

وتفسير ذلك أن المطر كان إذا نزل تشربه الصوف الذى يلبسونه فيسبب انبعاث رائحة الضأن. وتكلم عن رائحته هو وجماعته، ولم يتحدث عن رسول **الله** ﷺ. ذلك أن رائحة رسول **الله** ﷺ كانت دائمًا كريح المسك.. وجاء فى الأثر أنه ﷺ كان إذا سار فى طريق عطّر هواء الطريق كله. وكان الواحد من الناس إذا سار فى طريق وشم رائحة العطر يقول:

لابد أن رسول **الله** ﷺ قد مر فى هذا الطريق!

٣ الجلـــــود

■ روى البخارى ومسلم عن عُفير، عن ابن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب، عن عبيد **الله** بن عبد **الله**، عن ابن عباس رضى **الله** عنهما قال: وجد النبى ﷺ شاة ميتة. فقال النبى ﷺ: «**هلا انتفعتم بجلدها**» **قالوا: إنها ميتة. قال:** «**إنما حَرُمَ أكلها**».

■ روى مسلم عن يحيى بن يحيى، عن أبى بكر بن أبى شيبة وابن أبى عمر، عن ابن عُيينة. قال يحيى: أخبرنا سفيان بن عيينة، عن الزهرى، عن عبيد **الله** بن عبد **الله** عن ابن عباس قال: تُصُدِّقَ على مولاةٍ لميمونة بشاة، فماتت. فمر بها رسول **الله** ﷺ فقال: «**هلا أخذتم إهابها**[1] **فدبغتموه فانتفعتم به؟**» فقالوا: إنها ميتة قال: «**إنما حَرُمَ أكلها**[2]».

ـ وفى رواية عمرو بن دينار عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «**ألا أخذتم إهابها فاستمتعتم به؟**».

■ روى مسلم عن سليمان بن بلال، عن زيد بن أسلم، عن عبد الرحمن بن وَعْلة، عن ابن عباس قال: سمعت رسول **الله** ﷺ يقول: «**إذا دُبغ الإهاب فقد طَهُر**».

■ روى الإمام أحمد عن حماد بن سلمة، عن زيد بن أسلم، عن عبد الرحمن بن وَعْلة قال: سألت ابن عباس قلت: إننا نغزو هذا المغرب وأكثر أسقيتهم جلود الميتة فقال ابن عباس: سمعت رسول **الله** ﷺ يقول: «**دباغها طهورها**».

■ روى ابن ماجه بنفس الإسناد أن رسول **الله** ﷺ: «**أيّما إهاب دُبغ، فقد طَهُرَ**».

ظهر الإنسان على هذه الأرض، ولم يجد له ملابس إلا من جلود وفراء الدواب. وحتى فى عصرنا الحاضر يعتمد الإسكيمو (سكان المناطق الجليدية) فى ملابسهم على جلود الحيوان وفرائها الثقيل، ويقدم حيوان الرنة ـ وهو من فصيلة الأبقار ما يحتاج إليه الإسكيمو من لحوم ودهن وجلود وفراء.

وعثر رجال الآثار على رسوم على جدران أحد الكهوف القديمة، ترجع إلى العصر الجليدى، أى قبل عشرين ألف سنة، لحيوانات، وتدل تلك الرسوم على اهتمام الناس البالغ بصيد الحيوانات، واعتمادهم على لحومها فى طعامهم، وعلى ألبانها فى غذائهم وشرابهم، وعلى أصوافها وجلودها فى ملابسهم وبيوتهم. ومن عظامها آلات كانوا يستعملونها فى الدفاع بها عن أنفسهم، وفى الحصول على ثمرات الأشجار.

وابتدأت صناعة ملابس للنساء من جلود الدواب منذ العصور الأولى. وكان لكل عصر من العصور زى خاص، وله صفات خاصة. وحتى الأحذية الأولى صنعها الإنسان من جلد الحيوان، ولا يزال يصنعها منها حتى اليوم.

ومنذ نحو مائة عام عرف الإسكيمو صناعة دبغ الجلود، وصنعوا منها ملابس للزينة وملابس تقى من البرد أيضًا. وفى شمال آسيا صنع الساموريون لنسائهم ملابس من فراء الدببة، ومعاطف من الجلود.

وشيئًا فشيئًا تحولت دباغة الجلود إلى مصانع، حيث يتم دبغها. وتستغرق دباغة الجلود حاليًّا أيامًا قليلة؛ وذلك لأن صناعة الدباغة تستخدم فيها آلات خاصة.

وتوضع الجلود فى براميل لدباغتها بمواد كيميائية.. وبعد يوم أو يومين تنقل الجلود بعد ذلك إلى حجرة التجفيف. وبعد ذلك تقص الجلود؛ تمهيدًا لاستعمالها لصناعة الأحذية والحقائب والملابس الجلدية.

---

(١) إهابها: قبل الدباغ. أما بعد الدباغ فيسمى جلدًا.

(٢) حَرُمَ أكلها: له روايتان: حَرُمَ وحُرِّم. وهما بمعنى واحد.

صفحة ٦٢ بيضاء

صفحة ٦٢ بيضاء



العائلة الخيلية

١ ـ الخيل.

٢ ـ البغال.

٣ ـ الحمير.

صفحة ٦٤ بيضاء

الباب الرابع العائلة الخيلية

١ الخيل

■ روى الإمام أحمد والإمام ابن ماجه. عن حسن بن موسى، عن ابن لهيعة، ويحيى بن إسحق، عن يزيد بن أبى حبيب، عن على بن رباح، عن أبى قتادة الأنصارى قال رسول الله ﷺ: «**خير الخيل الأَدْهم الأَقْرح الأرثم مُحَجّل الثلاث، مطلق اليمين، فإن لم يكن أدهم فكُمَيْت على هذه الشِّيَةِ**».

ـ وفى رواية أخرى: «**خير الخيل الأدهم الأقرح الأرثم. ثم الأقرح المحجل طَلْق اليمين**».

الأدهم: الأسود.

الأقرح: ما كان فى جبهته بياض يسير.

المحجل: أى فى قوائمه بياض.

كميت: الأسود يميل إلى الحمرة.

على هذه الشية: الشية، كل لون يخالف معظم لون الفرس.

■ روى الإمام أحمد والإمام أبو داود عن عبدالرزاق، عن سفيان بن زيد، عن نفير، عن عتبة بن عبدالسلمى قال: نهى رسول الله ﷺ عن نتف أذناب الخيل، وأعرافها، ونواصيها، وقال: «**أذنابها مذابّها. وأعرافها أدفاؤها. ونواصيها معقود بها الخير إلى يوم القيامة**».

مذابّها: أى تدفع الذباب والحشرات بذيلها.

أدفاؤها: أى بمنزلة الكساء تتدفأ به.

النواصى: مقدم شعر الرأس.

■ روى الإمام أبو داود عن هارون بن عبدالله، عن هشام بن سعيد الطالقانى، عن محمد بن المهاجر الأنصارى، عن عقيل بن شبيب، عن أبى وهب الجشمى قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بكل كُميت أغر مُحَجّل. أو أشقر أغر محجّل. أو أدهم أغر محجّل**».

الكُميت: الفرس فى لونه حمرة.

الأغر: الذى فى جبهته بياض.

المحجل: الذى فى قوائمه كلها أو ثلاثة منها بياض.

الأدهم: الأسود اللون.

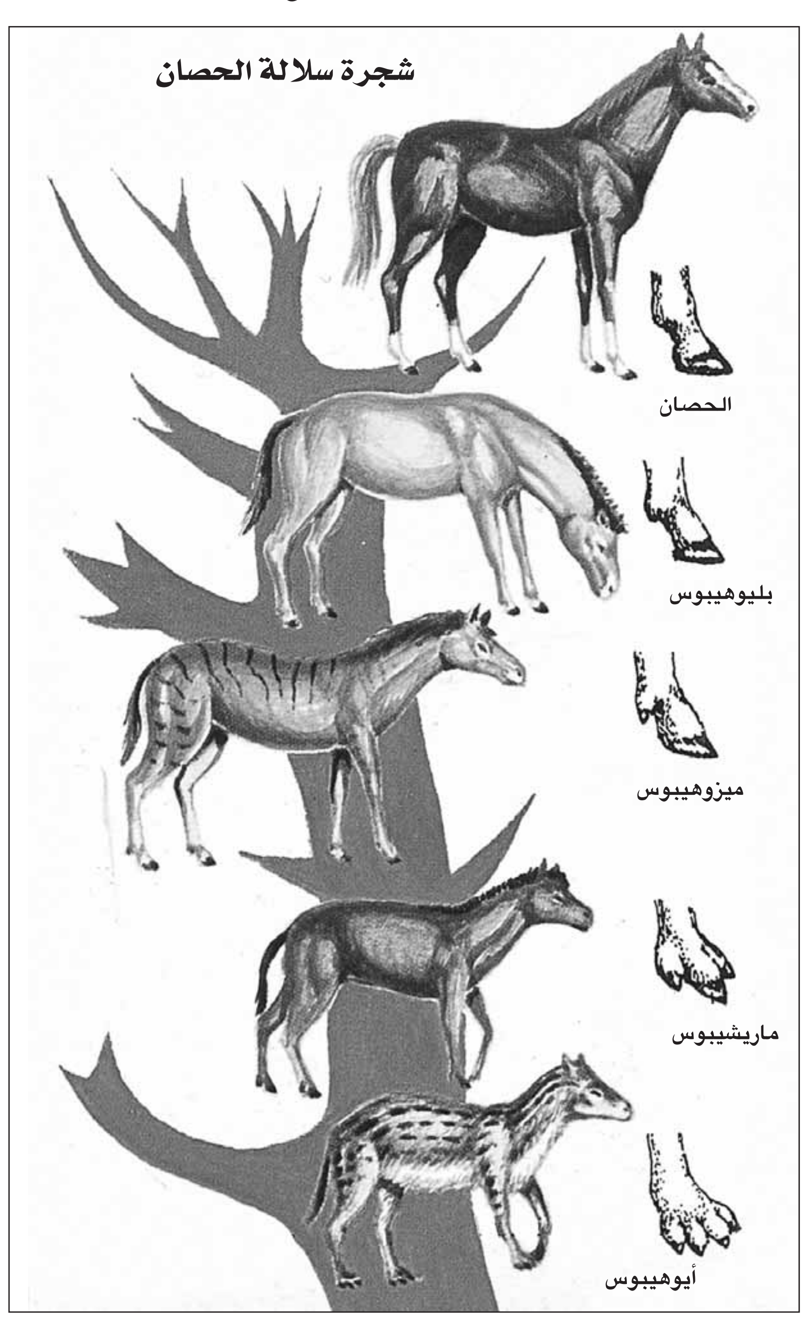
■ روى الأئمة مسلم، وابن ماجه، وأبو داود عن أبى بكر بن أبى شيبة، عن وكيع، عن سفيان، عن مسلم ابن عبدالرحمن النخعى، عن أبى زرعة بن عمرو بن جرير، عن أبى هريرة قال: كان النبى ﷺ يكره الشِكّال من الخيل.

والشِكّال: يكون الفرس فى رجله اليمنى بياض، وفى يده اليسرى بياض، أو يده اليمنى ورجله اليسرى.

تاريخ حياة الحصان:

يقول علماء التطور إن الحصان القديم كان فى حجم الثعلب، وأطلقوا عليه اسم: أيوهيبوس ولم تكن له حوافر، وإنما كانت قوائمه تنتهى بأصابع وأظافر. وقالوا إن القوائم الأمامية كانت تنتهى بأربعة أصابع، والقوائم الخلفية كانت تنتهى بثلاثة أصابع. وقالوا إن الحصان الأول تطور خلقه إلى شكل أكبر أطلقوا عليه اسم ريشيبوس، وهو قريب الشبه من الحصان الذى نعرفه اليوم، ولكنه أقل حجمًا بكثير.

ثم تطور خلق الحصان إلى صورة أقرب شبهًا من الحصان اليوم. وأطلقوا عليه اسم ميزوهيبوس وصارت له حوافر صغيرة، ثم تطور إلى شكل أقرب وأقرب من الحصان الحالى، وأطلقوا عليه اسم بيلوهيبوس، وكان بحافر واحد، وكان الحصان البدائى يسرح فى البرارى.



وأخيرًا ظهر الحصان الحالى.. وقد لا تتوقف عجلة التطور، فيتطور الحصان الحالى إلى شكل آخر بحجم آخر مستقبلاً، وكان الحصان يعيش حياة برية أشبه بالحياة المتوحشة.. وكان يعيش فى قطعان كبيرة العدد، شأنها شأن قطعان الحمر الوحشية اليوم، وحاول رعاة البقر فى أمريكا الشمالية اصطياد الخيول البرية على أمل ترويضها، وحاولوا تدجين تلك الخيول وترويضها، فيتقبل الحصان وضع السرج على ظهره، ويقبل أن يمتطيه الإنسان.. ولم يكن الأمر سهلاً، فإن ترويض الخيول البرية كان فى حاجة إلى كثير من المثابرة والصبر من قبل المروّض.. وكان الحصان يرفض ـ فى أول الأمر ـ أن يمتطيه أى إنسان، فيعمل على أن يوقعه من فوق ظهره ـ كما تفعل الثيران اليوم مع مصارعيها ـ ونحن لا نعترض على عمليات التطور فى الشكل والحجم للحصان ـ ولغيره من المخلوقات ـ لأننا نعلم من علم الوراثة الحديث أن الطفرات الوراثية تسبب تغيرات فى الصفات الوراثية فى الجسم، ولكنها لا تغير نوع المخلوق أبدًا.



النوع الباقى من الأحصنة المتوحشة

عرض براعة لراعى بقر يحاول أن يمتطى حصانًا غير مروّض

فالحصان كان فى يوم ما منذ عشرات الملايين من السنين فى حجم الثعلب أو الكلب الذى نعرفه اليوم، ولكنه كان حصانًا، وكان الكلب كلبًا، والثعلب ثعلبًا. فكل نوع من الخلق ثابت على أصله. وشفرته الوراثية مميزة لنوعه، وتختلف عن الشفرات الوراثية للمخلوقات والدواب الأخرى.

ولكننا نعترض على نظريات التطور على أساس النشوء والارتقاء، ونظرية أصل الأنواع لداروين التى تقول إن نوع المخلوق يتطور إلى نوع آخر من الخلق. وتلك النظريات التى لم تثبت صحتها.

الموطن الأول للحصان:

استقر رأى العلماء على أن أمريكا الشمالية هى الموطن الأول للحصان. وكان الحصان يحيا حياة برية، ومن أمريكا الشمالية بدأت هجرة الخيول إلى آسيا عن طريق ألاسكا، فى أقصى الشمال غرب أمريكا الشمالية، وعبرت مضيق بهرنج إلى شبه جزيرة كاما شتكا فى أقصى شمال شرق آسيا، ومنها وصل الحصان إلى منغوليا والصين، ومنها إلى الجزيرة العربية والشرق الأدنى.. ووصل بعد ذلك إلى إسبانيا عن طريق الفتح العربى، ومنها إلى أوروبا.

الحصان والإنسان:

منذ فجر التاريخ فى الجزيرة العربية والخيل تحتل جانبًا كبيرًا من تفكير الإنسان العربى، فكانت الكثير من قصائد الشعراء العرب قديمًا تبدأ عادة بالشاعر يحاور جواده شاكيًا له غربته وهمومه.

ويضيف امرؤ القيس فى معلقته قدرة حصانه على الكر والفر أثناء القتال يقول:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معًا
كجلمود صخر حطَّه السيلُ من عَلِ

ويقول أيضًا:

له أيطلا ظبى وساقا نعامة
وإرخاء سرحان وتقريب تتفل
كأن دماء الهاديات بنحره
عصارة حناء بشيب مرجل

ولكثير من الشعراء قصائد فى مدح خيولهم، وفى وصفها فى السلم والحرب والجهاد فى سبيل **الله**.

ويقول العلماء إن الحصان العربى استقر أولاً فى اليمن، وعاش فيها أحقابًا، إلى أن هربت الخيول من اليمن بعد انهيار سد مأرب، ووصلت إلى نجد، ومن نجد انتشرت إلى باقى المناطق فى الشرق الأدنى.

وعرف المصريون القدماء الخيول العربية، بعد أن جلبها الهكسوس معهم إلى مصر.. ومنذ القرن السابع عشر ظهرت أهمية الحصان العربى لسكان أوروبا، فبدأت عملية التهجين المنظمة من الحصان العربى. ولعل إسبانيا أكثر البلاد الأوروبية غنى بالخيول العربية؛ وذلك بسبب الفتح الإسلامى العربى لها. وظهرت بعد ذلك سلالات الخيول الأندلسية، وتسمى (الأنجلو أراب الإسبانية)، وتتمتع بجمال ورشاقة تشبه إلى حد بعيد جمال ورشاقة الخيول العربية الأصيلة.

سلالات الخيول:

توجد فى العالم ٢٨ سلالة من الخيول، وهذه السلالات تشترك فى صفات فسيولوجية وتشريحية، إلا أنها تختلف فى الحجم، وطرائق الحياة؛ فهناك خيول للسباق، وخيول للجر، وخيول للزينة، وخيول للقفز.

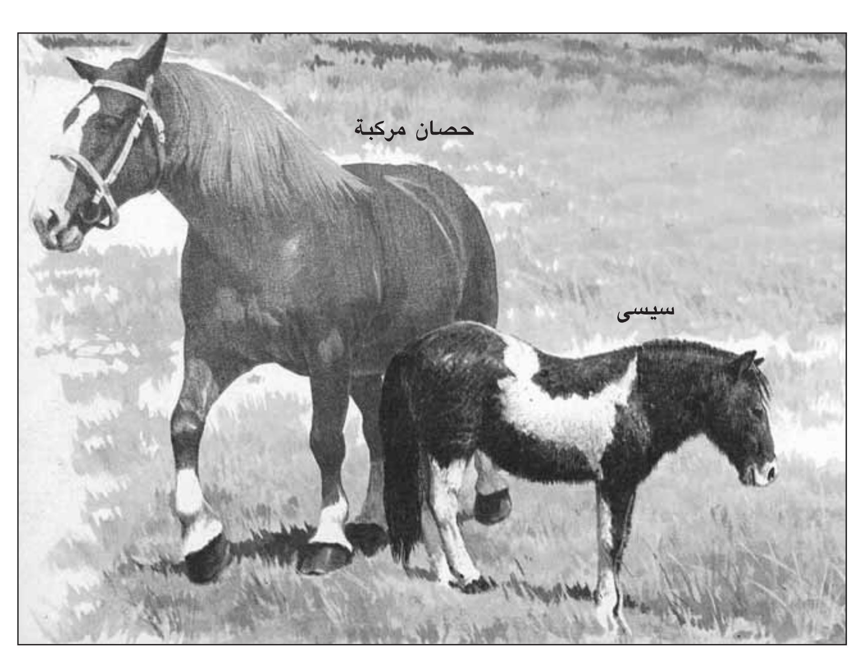


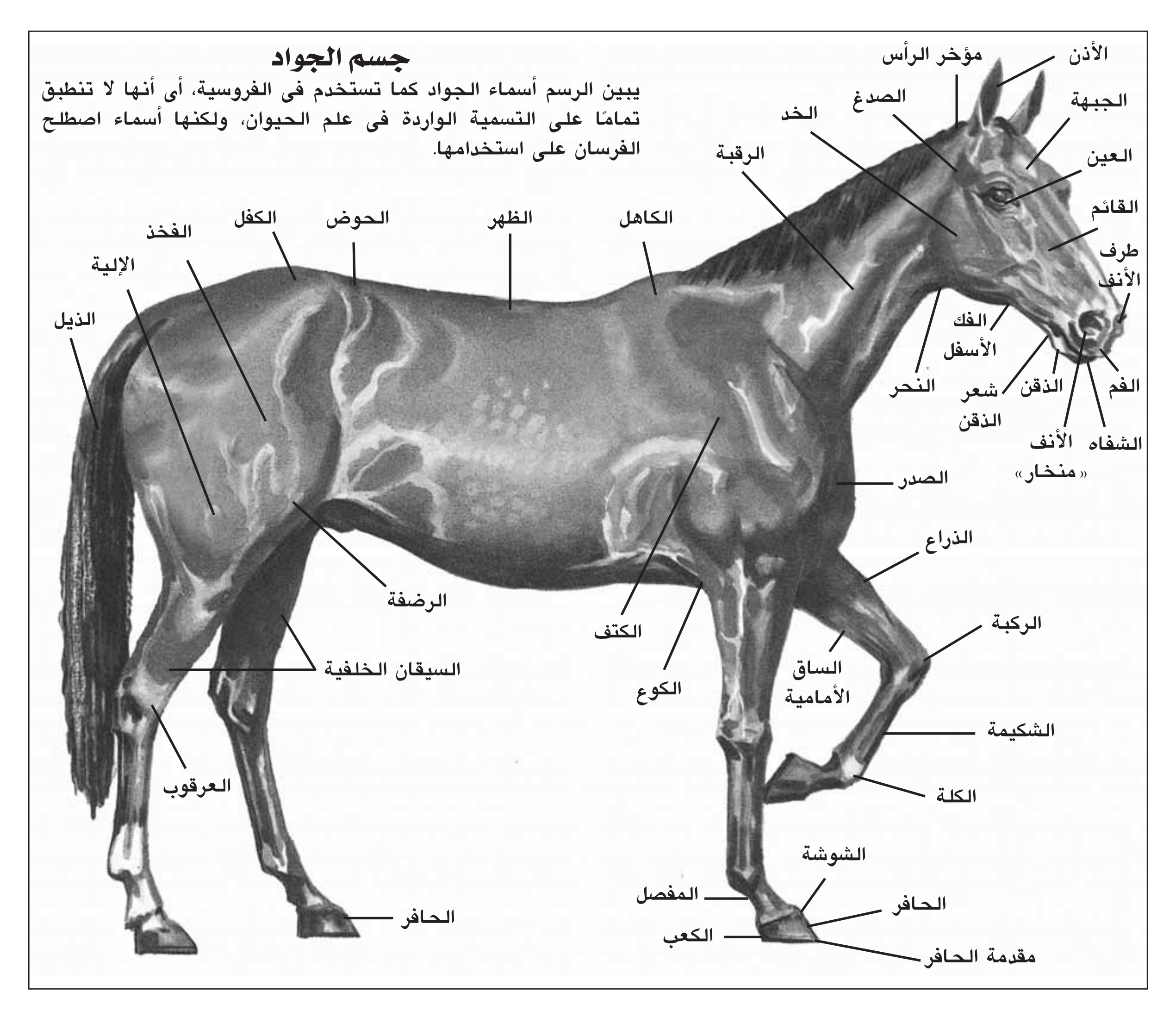
الخيول المفضلة فى السباق: الجواد الإنجليزى الأصيل (إلى الشمال) والجواد العربى (إلى اليمين). الجواد الإنجليزى يعود بأصله للخيول العربية.

ومنذ نحو خمسة آلاف سنة، اكتشفت شعوب آسيا الصغرى أن بإمكانها أن تستخدم الحصان ـ ذلك الحيوان القوى والسريع ـ فى جر المركبات وحمل الأثقال والركوب. ومنذ تلك العصور، صار الحصان ضروريًّا لحياة القبائل الرحل التى كانت تنتقل فى قوافلها عبر الأراضى الشاسعة.

وخيول الجر خيول ضخمة الحجم، ثقيلة الوزن وقد يزن حصان الجر نحو ألف كيلوجرام وله رقبة قصيرة.

أما أصغر الخيول حجمًا فهو ما يسمى السيسى Pony، ونشأ فى المروج الجبلية البريطانية، وهى من أقدم السلالات، ولا يزيد ارتفاعه على متر، وهو من أفضل دواب الحمل؛ لقوة احتماله. ويعيش الحصان عادة نحو عشرين عامًا.





جسم الجواد

يبين الرسم أسماء الجواد كما تستخدم فى الفروسية، أى أنها لا تنطبق تمامًا على التسمية الواردة فى علم الحيوان، ولكنها أسماء اصطلح الفرسان على استخدامها.

الحصان العربى:

هو أجمل الخيول، ويعتبر من أقدم سلالات الخيول الخفيفة، والحصان العربى له رأس صغير، وعنق طويل، وظهر قصير. وقصر ظهر الحصان العربى يعطيه منظرًا جميلاً؛ وذلك بسبب نقص فقرتين من فقرات الظهر عنها فى فقرات ظهر الخيول الأخرى؛ لذلك نجد أن ظهر الخيول الأخرى أطول من ظهر الحصان العربى.

وأكتاف الحصان العربى منحدرة؛ مما يساعده على قوة الاندفاع فى الجرى. وكل أعضاء جسم الحصان العربى متناسقة تمامًا، وذلك سر جماله؛ لأن الجمال أساسه تناسق الأعضاء.

وقد استعمل مربو الخيول فى تحسين السلالات الخيول الأخرى فى العالم؛ لذلك نجد أن معظم خيول السباق تجرى فى دمائها دماء الخيول العربية، أو تحمل جينات الخيول العربية. فالخيول الإنجليزية مثلاً، مهجنة بخيول عربية؛ لذلك اكتسبت صفات الجمال منها، وصفات السرعة، وصفات الذكاء.

وتضفى الألوان جمالاً للحصان العربى فوق جماله، فالعلامات البيضاء فى الوجه وأغلب القوائم، أو اللون الأسود الذى يضرب إلى الحمرة من علامات الجمال فى الحصان، وهذا ما تعارف عليه مربو الخيول فى كل العصور.

وقد ذكر الحديث النبوى الشريف هذه الصفات الجمالية فى الخيل وزاد عليها.

وللخيل الأصيلة أنساب محفوظة. ويحرص مربو الخيول على حفظ أنساب الخيل، حرصهم على نسبهم. فكما كان هناك من النسّابة من ينقلون شفاهة نسب كل إنسان، كان منهم من يحفظون أنساب الخيل فى مصنفات لضبط أنساب الخيل، مثل ما فعله ابن الكلبى فى كتابه (أنساب الخيل). والغندجى فى كتابه (أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها).

وترجع أنساب الخيول العربية الأصيلة إلى عهد قديم، يوصله بعض المؤرخين إلى عهد النبى داود عليه السلام الذى كان يهتم بتربية الخيل ويمتطيها. وورث النبى سليمان عليه السلام عن أبيه هذه العناية بالخيل، حتى أن خيله الصافنات (وهى التى تقف على ثلاثة قوائم) قد شغلته عن صلاة العصر، فناجى ربه مستغفرًا كما قال **الله** تعالى يحكى عنه: ﴿**إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ**﴾ [ص: ٣١، ٣٢].

(الخير): أى الخيل.

الصافنات: الصافن الذى يصفن قدميه. والصفون صفة دالة على فضيلة الفرس.

الجياد: جمع جواد وهو الحصان شديد الجرى.

والجواد من الناس: الرجل الكريم سريع البذل والعطاء.

والمقصود وصف الخيل بالصفات الجميلة فى حالتى وقوفها وحركاتها.

ففى حال وقوفها وصفها بالصفون. وفى حال حركتها وصفها بالجودة.

فهى إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى مواقفها على أحسن الأشكال، وإذا جرت كانت سراعًا فى جريها، فإذا طَلَبَتْ لَحِقَتْ، وإذا طُلبت لم تُلْحق.

(قال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى): أى ألزمت نفسى بحب الخيل فى سبيل **الله**.

(حتى توارت بالحجاب): فيه أقوال كثيرة:

القول الأول: أن النبى سليمان شغلته الخيل، حتى فاتته صلاة العصر وغربت الشمس وراء الحجاب (أى غابت وراء الأفق). فسأل ربه أن يرد الشمس حتى يصلى العصر حاضرًا.. وهذا قول ضعيف.

القول الثانى: (الصافنات الجياد) مذكورة تصريحًا، والشمس غير مذكورة، وعودة الضمير إلى المذكور أولى من عودته إلى المُقَدَّر.

والآية الكريمة تشير إلى أن النبى سليمان ظل ينظر إلى الخيل حال جريها حتى توارت عن نظره.

القول الثالث: وهو الأرجح، أن النبى سليمان كان الخيل محببًا إليه. وكان استعمال الخيل محببًا إليه فى شريعته. فقد كان للنبى سليمان دولة وسلطان وجيش. فأمر بإحضار الخيل ليبدى رأيه فيها. وهو لا يحب الخيل لذاتها، وإنما يحبها لأمر **الله**، وتقوية دينه، وتثبيت دعائم ملكه وتقوية شريعته. ولما مرت الخيل أمامه، وتم عرضها، وتوارت عنه، وغابت عن بصره، أمر قواده أن يردوها إليه، فلما عادت إليه طفق يمسح مسحًا بسيقانها وأعناقها، محبة منه لها، وتشريفًا وتكريمًا.

فذلك قوله تعالى: ﴿**فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ**﴾ [ص: ٣٢، ٣٣].

وكل الأمم ترغب فى اقتناء الخيل العربية. ولعل الفتوحات الإسلامية كانت السبب فى انتقال الحصان العربى إلى خارج الجزيرة العربية، كما أن الصليبيين قاموا بنقل الحصان العربى إلى أوروبا

أثناء حروبهم مع العرب المسلمين، وقاموا بتربيتها وتهجينها لما وجدوا فيها من صفات الجمال ومزايا القوة والرشاقة وسرعة الجرى.

وجعل **الله** تعالى فى جسم الحصان ما يتوافق مع البيئة التى يعيش فيها. فقد عاش فى العصور السابقة مع غيره من سائر الحيوان، فى كر وفر، فجعل **الله** تعالى فى الخيول ما يعينها على المحافظة والدفاع عن نفسها:



الرأس متوسط الطول، والوجه واضح النمو بالنسبة للجزء المحتوى على المخ الذى يتميز بصغره

فالرأس: محمول على عنق طويل. وفى الرأس ثلاثة أعضاء هامة؛ العينان والأذنان والأنف.

العينان: على جانبى الجبهة، وهو وضع يمكّن الحصان من أن يرى فى مجال دائرى واسع، كل عين ترى منظرًا يختلف عن المنظر الذى تراه العين الأخرى. فالحصان يرى كل ما حوله. فى كل اتجاه. وهذا يساعده على التوافق مع البيئة التى يعيش فيها.

والأذنان: على شكل قمعى، وتتحركان حركة دائرية كالرادار، ليسمع الحصان الأصوات من كل اتجاه.

والأنف: له فتحتان واسعتان، وحاسة الشم قوية لديه.

ومن صفاته الأخرى: أنه يكتفى بالقليل من الطعام، ذلك لأن أمعاءه أقصر منها فى الخيول الأخرى. ومن مميزاته أنه يتأقلم بسهولة وبسرعة على تقلبات الطقس، ولا يمرض إلا نادرًا.

وجهازه التنفسى يساعده فى التزود بكمية كبيرة من الأوكسيجين، فقصبته الهوائية طويلة.

القلب: قلب الحصان فيه أربع حجرات ـ مثل قلب الإنسان ـ وذو كفاءة عالية جدًّا. بل إن كفاءته تفوق كفاءة قلب الإنسان! فالحصان وهو ساكن، ينبض قلبه نحو أربعين نبضة فى الدقيقة، ولكنه إذا أسرع فى الجرى فجأة بعد ثوان معدودات، هربًا من أعدائه، أو لأى سبب من الأسباب، فإن قلبه ينبض فجأة أكثر من مائتى نبضة فى الدقيقة!! وهذا يدل على الكفاءة العالية لقلب الحصان؛ مما جعله يتوافق تمامًا مع البيئة التى يعيش فيها.

مشية الحصان:

طريقة المشى فى العائلة الخيلية كلها واحدة فهى تمشى بثلاث حركات مختلفة تبعًا لسرعة الحركة:

الحركة الأولى: تبادل القدم اليمنى الأمامية مع القدم اليسرى الخلفية وبالعكس، وبذلك يمشى الحصان متزنًا، لا يتمايل يمينًا أو يسارًا.

الحركة الثانية: ينقل الحصان القائمة الأمامية مع الخلفية فى الجانب الأيمن، ثم ينقل الأمامية والخلفية فى الجانب الأيسر، وفى هذه المشية يتمايل الحصان يمينًا ويسارًا.

الحركة الثالثة: يحرك الحصان القائمتين الأماميتين معًا، والخلفيتين معًا. والحصان فى هذه الحركة يرتفع جسمه وينخفض (وهى حركة الجرى السريع).

وما أصوات حوافر الحصان أثناء حركاته المختلفة؟

١ـ فى حركة المشى:

يتحرك الحصان بقائمتيه الأماميتين والخلفيتن، بمعنى أنه إذا حرك قائمته الأمامية اليمنى، حرك فى نفس الوقت قائمته الخلفية اليسرى. فكل حافرين يضربان الأرض فى وقت واحد؛ لذلك نسمع صوتين فقط لوقع حوافر الحصان أثناء حركة المشى.

٢ـ أثناء حركة الخبب:

نسمع ثلاثة أصوات لوقع حوافر الحصان تسمى gallop ولا يحدث ذلك من أى حيوان آخر!

٣ـ أثناء حركة الركض أو الخبب السريع:

كل قائمة تتحرك وحدها، وتضرب الأرض بقوة هائلة؛ لذلك نسمع لوقع حوافر الحصان أربعة أصوات، فحوافر الحصان لها إيقاع مختلف فى كل حركة من حركات الحصان، مما لا يقدر عليه حيوان آخر، الأمر الذى يدل على أن الجهاز الحركى، والمراكز العصبية المتحكمة فيه، فى أعلى درجات الكفاءة.

المشى: ٣٠ مترًا فى الدقيقة

الركض: ٧٣ مترًا فى الدقيقة

الجرى عدوًا: يصل إلى ٦٤ كيلومترًا فى الساعة

٤ـ أثناء السباق (حركة الجرى السريع):

تتحرك كل قوائم الحصان حركات مستقلة عن بعضها البعض؛ لذلك نسمع أربع ضربات لحوافر الحصان.

والقوائم الخلفية للحصان هى التى تدفعه إلى الأمام، أما القوائم الأمامية فهى التى توجه الحصان إلى أى اتجاه يريد أثناء سيره وعدْوه.

والأمر نفسه فى جميع أنواع الحيوان سريعة العدْو، كالغزال والفهد والأسد وغيرها. فضلاً عن أنواع العائلة الخيلية. فالجهاز الحركى فى تلك الدواب يعمل بدفع خلفى، وليس بدفع أمامى. ولو كانت بدفع أمامى لتكرر سقوطها أثناء عدوها السريع، ولفقدت قدرتها على تغيير اتجاهها أثناء العدْو؛ لأن القوائم الخلفية لا تصلح لتغيير الاتجاه، وقلد رجال صناعة السيارات فطرة خلق الحصان، فجعلوا تغيير اتجاه السيارة بواسطة العجلتين الأماميتين، ولا تصلح العجلتان الخلفيتان لذلك.

سبـــاق الخيل

■ روى الأئمة البخارى ومسلم وأبو داود، وابن ماجه والترمذى: عن عبدالله بن مسلمة القعنى، عن مالك، عن نافع، عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ سابق بين الخيل التى قد ضمّرت من الحفياء، وكان أمدها ثنية الوداع. وسابق بين الخيل التى لم تُضمّر من الثنية إلى مسجد زُريق. وإن عبدالله بن عمر ممن سابق بها.

الحَفْياء: موضع خارج المدينة، بينها وبين ثنية الوداع خمسة أو ستة أميال، وبين الثنية وبين مسجد بنى زريق ميل واحد.

تضمير: أن تعلف حتى تسمن وتقوى، ثم تترك حتى تضمر وتذهب سمنتها. (ثنية الوداع) مكان قرب المدينة، سميت بذلك لأن الخارج من المدينة يمشى مع المودعين إليها.

■ وأخرج الأئمة أبو داود، وابن ماجه ومالك وأحمد، عن يزيد بن هارون، عن سفيان بن حسين، عن الزهرى، عن سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة قال: قال رسول **الله** ﷺ: «**من أدخل فرسًا بين فرسين، وهو لا يأمن أن يَسْبق، فليس بقمار. ومن أدخل فرسًا بين فرسين وهو يَأْمَنُ أن يسبق، فهو قِمار**».

لسباق الخيل تاريخ طويل مع الإنسان، وكان الرومان يقومون بحفلات سباق الخيل. ولا يزال طائفة من الناس يهتمون بسباق الخيل.. وروى فى السنة النبوية المشرفة أن رسول **الله** ﷺ سابق بين الخيل التى قد أضمرت من الحفياء، وكان أمدُها ثنية الوداع.

وهل تدخل أى خيول أى مسافة للسباق، أم أن لكل مسافة معينة للسباق خيولاً؟ وكيف تتم معرفة أنواع الخيول بالنسبة لمسافات السباق؟

لقد سابق رسول **الله** ﷺ بين الخيل مسافات مختلفة، واختار لكل مسافة فى السباق خيولاً معينة، خيولاً أُضمرت فى سباق، وخيولاً لم تُضمر فى سباق آخر. فلماذا فعل رسول **الله** ﷺ ذلك؟

يقول علماء الخيول إن هناك خيولاً للسباق فى المسافات الطويلة، وخيولاً للسباق فى المسافات القصيرة. وتعتمد قدرة الحصان على السباق لمسافات معينة على تركيب خِلْقى معين. فشكل العظام وحجم العضلات ووزن الجسم مواصفات هامة لحصان السباق، ولمسافات السباق التى سيؤديها.

والمتخصص فى الخيول، عندما يتفحص حصانه، يدرك بخبرته إنْ كان الحصان الذى أمامه يصلح للسباق لمسافات طويلة، أو لمسافات قصيرة.

صفات خيول السباق للمسافات الطويلة:

طول القوائم، طول الظهر، قوة العضلات مع عدم اكتنازها، وكلما كانت العضلات خفيفة وقوية، كان الحصان قادرًا على السباق لمسافات طويلة؛ لذلك نقرأ فى السنة النبوية المشرفة أن رسول **الله** ﷺ سابق على خيل قد أضمرت ـ يعنى مُنع عنها الأكل حتى نقص وزنها ـ وسابق بها بين الحفياء إلى ثنية الوداع، وهو سباق طويل طوله ستة أميال.

ومن صفات خيول السباق للمسافات القصيرة:

أن تكون عضلاتها مكتنزة، والعضلات المكتنزة فيها قوة عضلية كبيرة، وفيها من الطاقة كمية كبيرة ولكنها تستنفد بسرعة؛ لذلك فهى تسرع فى العدو، وتسبق غيرها من الخيل، ولكن لمسافة قصيرة فقط. لذلك سابق رسول **الله** ﷺ بين الخيل التى لم تضمر من ثنية الوداع إلى مسجد رزيق، وهى مسافة قصيرة.

ونجد فى سباق الخيل فى عصرنا هذا أن الحصان العربى بطل سباق المسافات الطويلة، أما الحصان الإنجليزى الضخم فهو يصلح لسباق المسافات القصيرة فقط.

خيول السباق:

كان الحصان يستخدم للركوب والسفر وحمل الأثقال، وقد قل استعماله فى هذه الاستخدامات فى العصر الحالى، وحلت مكانه وسائل النقل الأخرى مثل السيارات والقطارات وغيرهما. إلا أن قوة أى موتور، أو محرّك ما زالت تُقدّر بقوة الحصان. فيقال مثلاً: موتور السيارة، قوته كذا حصان، ومحرك الطائرة قوته كذا حصان.

وتختلف الخيول فيما بينها فى صفات معينة. فهناك ثلاث صفات ممتازة إذا اجتمعت فى أحد الخيول، تفضله على غيره، وتجعله من أعلى الخيل ثمنًا. وهذه الصفات الممتازة هى:

١ـ السرعة.

٢ـ التركيب الخِلْقى.

٣ـ الرغبة لدى الحصان فى سباق غيره.

فالسرعة صفة هامة فى الحصان، ولكنه لو اقتصر على هذه الصفة فقط، ولم يكن لديه تركيب خِلْقى جيد، ورغبة للسَبْق، فلن يكون حصانًا ممتازًا فى السباق، وستكون سلالته كذلك. والقليل من الخيل يجمع الصفات الثلاث الممتازة.

ويهتم المربون وأصحاب الخيول بتاريخ الحصان منذ لحظة ولادته. ويعتقد العلماء أن حالة الحصان لحظة ولادته تعطى مؤشرًا هامًّا للصفات التى سيكون عليها الحصان مستقبلاً، ومدى قدرته فى الجرى والسَبْق.

فالمهر الذى يولد ويقف على قوائمه خلال ربع ساعة فقط من لحظة ولادته، ويبدأ عملية الرضاع فى غضون نصف ساعة فقط من ولادته، يدل على أنه سيكون حصانًا ممتازًا فى المستقبل. أما إذا تأخر عن الوقوف على قوائمه بعد ولادته أكثر من ربع ساعة، أو لم يبدأ بالرضاع من أمه فى غضون نصف ساعة، فهذه علامة على أنه لن يكون حصانًا ممتازًا فى المستقبل، ولن يكون صالحًا للسباق.

من القصص القديم عن الخيل:

١ـ من القصص العربى القديم عن سباق الخيل:

يحكى لنا التاريخ عن حرب طاحنة دارت بين قبيلتى عَبْس وذُبيان استمرت أربعين عامًا. وابتدأت بسبب لم يكن يستدعى حربًا قط، وهو سباق بين جواد قيس بن زهير، وكان يطلق عليه اسم (داحس)، وبين فرسة لحمْل بن بدر، كان يطلق عليها اسم (الغبراء).

واتفقا على رهان للسباق مقداره مائة ناقة. إلا أن حَمْل بن بدر تآمر مع فتيان، جعلهم فى شعاب الجبال، واتفق معهم. إن رأوا جواد قيس بن زهير سابقًا لفرسه أن يضللوه عن طريق السباق، ففعلوا ذلك.

وكانت النتيجة أن سبقت فرسة حمل بن بدر جواد قيس بن زهير.

وعلم قيس بما فعله حَمْل من تضليل جواده عن طريق السباق. فقامت الحرب بين القبيلتين بسبب ذلك الغدر فى مباراة السباق.

٢ـ زاد الركب:

يعتبر كتاب أنساب العرب فى الجاهلية لابن هشام الكلبى المرجع الرئيسى لكل الكتب التى تناولت أنساب الخيول العربية. وجاء فى ذلك الكتاب أن النبى سليمان عليه السلام ورث أباه النبى داود وقال النبى سليمان: «ما ورثنى أبى داود مالاً أحب إلىّ من الخيل».

وحدث أن جاء قوم من عمان، وقصدوا النبى سليمان عليه السلام بعد زواجه من بلقيس ملكة سبأ، ليقدموا له التهانى، ويسألوه عما يريدونه من أمر دينهم ودنياهم. ولما انتهت الزيارة وهموا بالانصراف، طلبوا من النبى سليمان أن يأمر لهم بزاد يكفيهم فى سفرهم حتى يصلوا إلى ديارهم. فدفع إليهم فرسًا وقال لهم: هذا زادكم، فإن نزلتم فاحملوا عليه رجلاً وأعطوه رمحًا، وأوقدوا ناركم، فإنكم لن تجمعوا حطبكم حتى يأتيكم بالصيد. ففعلوا، فكان معهم فى سفرهم بسبب ذلك الفرس، ما كان يكفيهم ويشبعهم من الصيد؛ لذلك سموا فرس النبى سليمان (زاد الركب).

ومن زاد الركب نشأت سلسلة من أشهر الخيول العربية، وكل منها له اسم يُعرف به، وذكرته كتب أنساب الخيول.

العائلـــة الخيليـــة

■ أخرج الإمام ابن ماجه. عن محمد بن المُصفّى عن بقيّة، عن ثور بن يزيد، عن صالح بن يحيى، عن المقداد بن معديكرب، عن أبيه، عن جده، عن خالد بن الوليد قال: نهى رسول **الله** ﷺ عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير.

■ أخرج الإمام أحمد عن عفان، عن حماد بن سلمة، عن أبى الزبير، عن جابر رضى **الله** عنه قال: ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير. فنهانا رسول **الله** ﷺ عن أكل لحم البغال والحمير، ولم ينه عن الخيل.

العائلة الخيلية (الحصان والبغل والحمار) لها نفس التركيب الوظيفى؛ لذلك جمعتها الآية الكريمة: ﴿**وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً**﴾ على أساس علمى، فالثلاثة من عائلة واحدة، وتشترك جميعًا فى صفات واحدة وخصائص متشابهة. وهذا إعجاز علمى.

وهى جميعًا تتحرك بقوائمها الأربعة الحركات التى ذكرناها، من شأنها أن يتوزع وزن الجسم بالتساوى على قوائمها الأربعة. وأثناء وقوفها لا تبذل جهدًا عضليًّا يذكر؛ لذلك تقضى الخيول فترة نومها واقفة على قوائمها الأربعة، وكذلك تفعل البغال والحمير.

ويقف الحصان وكل العائلة الخيلية على قوائمه، يقف على ثلاثة منها، ويريح الرابعة بالتبادل مع القوائم الأخرى؛ وذلك لأن فى مفاصل أرجله أربطة حافظة تحول دون ثنى المفصل أثناء الوقوف والسكون.

والدواب الثلاث تتناول العشب، ولا تتناول النباتات الشوكية كما يفعل الجمل، والدواب الثلاث تتحمل المشاق، ولها جميعًا صفات تشريحية متشابهة، وصفات فسيولوجية متشابهة كذلك، فهى جميعًا تعتمد على حاستى السمع والشم أكثر من اعتمادها على الحواس الأخرى؛ لأنها ليست حادة البصر. والثلاث نهى رسول **الله** ﷺ عن أكل لحمها؛ لذلك ذكرت الآية الكريمة ﴿**وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً**﴾ على أساس علمى: تشريحى وفسيولوجى.

أما ترتيب ذكر الدواب الثلاث فى الآية الكريمة والحديث الشريف الخيل أولاً ثم البغال ثم الحمير، فله أسباب أخرى وهى:

١ـ **على أساس الحجم**: فالخيل أكبر من البغال حجمًا، والبغال أكبر حجمًا من الحمير.

٢ـ **على أساس القوة البدنية**: فالخيل أقوى من البغال، والبغال أقوى من الحمير.

٣ـ **على أساس تمييز الألوان**: فالحصان يميز أربعة ألوان، والبغل يميز ثلاثة ألوان والحمار يميز لونين فقط: الأصفر والأخضر، وبه عمى للألوان الأخرى.

ومما سبق ندرك مدى الإعجاز العلمى الكبير فى الآية الكريمة، والإعجاز العلمى فى الحديث النبوى الشريف أيضًا.

دراسة عن تاريخ الحصان وسلالاته القديمة والحديثة:

من الدراسات الموثقة، تأكد للعلماء أن الحصان فى صورته الحالية كان موجودًا من موطنه الأصلى فى أمريكا ثم انتشر إلى آسيا وأوروبا منذ زمن بعيد عبر الجسور الجليدية التى ربطت القارات فى العصر الجليدى.

ومع انحسار الجليد انعزلت جماعات الخيل فى أوروبا وآسيا عن الجماعات التى بقيت فى أمريكا الشمالية.

وقبل استئناس الخيول، كانت مكونة من أربع سلالات قديمة:

سلالتين من الخيول، وسلالتين من البونى.

وسلالتا الخيول، كانت واحدة تعيش فى سهول أواسط آسيا، والأخرى كانت تعيش فى صحراوات غرب آسيا، وهى السلالات التى نشأ منها الحصان العربى. أما سلالتا البونى، فإحداهما استوطنت إنجلترا، والأخرى استوطنت شمال أوروبا وشمال آسيا.

وتمكن الإنسان من استئناس الحصان منذ أكثر من خمسة آلاف سنة قبل الميلاد فى السهول القريبة من بحر قزوين..

ومنذ قرون عديدة، قسم علماء تصنيف الخيول إلى مجموعات مختلفة على أساس الأصل والمنشأ والسلوك وقدرتها على العدْو والوزن، وفى العصر الحالى اتفق المتخصصون على تقسيم الخيول إلى سلالات من أهمها:

١ـ سلالة الحصان العربى الأصيل.

٢ـ سلالات الخيول المنغولية.

٣ـ سلالات الخيول البريطانية.

٤ـ سلالات الخيول الأمريكية.

٥ـ سلالات الخيول الألمانية.

٦ـ سلالات الخيول الروسية.

٧ـ سلالات خيول أوروبا الشرقية مثل كونيك البولندى.

٨ـ سلالات خيول أوروبا الغربية مثل فجورد النرويجى.

٩ـ سلالات خيول جنوب أوروبا، مثل الأندلسى بإسبانيا، وكمرجو الفرنسى.

١٠ـ سلالات الخيول الأسترالية.

١١ـ سلالات خيول أمريكا الجنوبية.

استخدام الخيول فى الجهاد فى سبيل الله

■ أخرج الإمام البخارى والإمام مالك، عن عبد الله بن مسلمة، عن مالك بن زيد بن أسلم، عن أبى صالح السمان، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر. فأما الذى له أجر فرجل ربطها فى سبيل الله، فأطال فى مَرْج أو روضة، فما أصابت من طِيَلها ذلك من المرج أو الروضة، كانت له حسنات. ولو أنها قطعت طيلها فاستنت شرفًا أو شرفين، كانت أرواثها وآثارها حسنات له. ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يُرِدْ أن يسقيها كان ذلك حسنات له. فأما الرجل الذى هى عليه وزر، فهو رجل ربطها فخرًا ورئاءً ونِواءً لأهل الإسلام فهى وزر على ذلك**»، ووقع فى رواية سهيل عن أبيه: «**وأما الذى هى له ستر، فالرجل يتخذها تعففًا وتكرمًا وتجملاً ولم ينس حق الله فى رقابها**».

المرج: موضع الكلأ.

الروضة: المكان المرتفع.

طيلها: الحبل الذى تربط فيه.

نواء لأهل الإسلام: أى مناوأة لهم ومعاداة.

فهم بعض الشراح من هذا الحديث الشريف الحصر. فقال: اتخاذ الخيل لا يخرج عن أن يكون مطلوبًا أو مباحًا أو ممنوعًا، فيدخل فى المطلوب الواجب والمندوب، ويدخل فى الممنوع المكروه والحرام بحسب اختلاف المقاصد.

وقول الله عز وجل: ﴿**وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً**﴾ أى إن الله خلقها للركوب والزينة، فمن استعملها فى ذلك فعل ما أُبيح له. فإن قصد طاعة، ارتقى إلى الندب. أو قصد معصية حصل له الإثم.

وفى رواية الإمام مسلم بنفس الإسناد:

فزاد: «**وأما التى هى له ستر، فرجل ربطها فى سبيل الله، ثم لم ينس حق الله فى ظهورها ولا رقابها، فهى له ستر. وأما التى هى له أجر، فرجل ربطها فى سبيل الله لأهل الإسلام، فى مرج وروضة. فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شىء إلا كُتب له عدد ما أكلت حسنات. وكُتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات. ولا تقطع طِوَلَها، فاستنت شرفًا أو شرفين، إلا كتب الله له عدد آثارها وأرواثها حسنات**»... إلخ الحديث الشريف.

طوله: الحبل الطويل الذى شد أحد طرفيه فى يد الفرس، والآخر فى وتد أو غيره، لتدور فيه، وترعى من جوانبها.

فاستنت شرفًا أو شرفين: أى جرت، والشرف العالى من الأرض.

■ وأخرج الإمام ابن ماجه عن محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب، عن عبد العزيز بن المختار، عن سهيل، عن أبيه، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**الخيل فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة. الخيل ثلاثة: فهى لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر. فأما الذى هو له أجر، فالرجل يتخذها فى سبيل الله ويُعدّها، فلا تُغيب شيئا فى بطونها إلا كُتب له أجر. ولو رعاها فى مرج، ما أكلت شيئا إلا كتب له بها أجر، ولو سقاها من نهر جار، كان له بكل قطرة تغيبها فى بطونها أجر. (حتى ذكر الأجر فى أبوالها وأرواثها). ولو استنت شرفًا أو شرفين، كتب له بكل خطوة تخطوها أجر،**

أما الذى هى له ستر، فالرجل يتخذها تكرُمًا وتجملاً، ولا ينسى حق ظهورها وبطونها، فى عسرها ويسرها. وأما الذى هى عليه وزر. فالذى يتخذها أشرًا وبطرًا وبذخًا ورياءً للناس. فذلك الذى هى عليه وزر».

■ وأخرج الإمام ابن ماجه، عن أبى عمير عيسى بن محمد الرملى، عن أحمد بن يزيد بن روح الدارمى، عن محمد بن عقبة القاضى، عن أبيه، عن جده، عن تميم الدارى قال: قال رسول **الله** ﷺ: «**من ارتبط فرسًا فى سبيل الله، ثم عالج علفه بيده، كان له بكل حبة حسنة**».

■ أخرج الإمام ابن ماجه، عن أبى بكر بن أبى شيبة، عن يعلى بن عبيد، عن حجاج بن دينار، عن محمد بن ذكوان. عن شهر بن حوشب، عن عمرو بن عَبَسَةَ قال: سألت رسول **الله** ﷺ: يا رسول **الله** أى الجهاد أفضل؟ قال: «**من أُهريق دمه، وعقر جواده**».

■ وأخرج الإمامان البخارى ومسلم عن محمد بن عبد **الله** بن نمير، عن أبيه، عن زكرياء، عن عامر، عن عروة البارقى، قال: قال رسول **الله** ﷺ: «**الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة؛ الأجر والمغنم**».

وفى رواية ابن فضيل وابن إدريس عن حصين، عن الشعبى، عن عروة البارقى. قال: قال رسول **الله** ﷺ: «**الخير معقوص بنواصى الخيل**»، قال فقيل له: يا رسول **الله**، بم ذاك؟ قال: «**الأجر والمغنم إلى يوم القيامة**».

وفى رواية أخرى: «**البركة فى نواصى الخيل**».

المعقود والمعقوص: بمعنى واحد.

والمراد بالناصية: الشعر فى مقدم شعر الرأس المسترسل على الجبهة. وكنى بالناصية على جميع ذات الفرس. فهو تعبير بالجزء عن الكل.

وفى الحديث استحباب رباط الخيل واقتنائها للغزو والقتال. وأن فضلها وخيرها والجهاد باق إلى يوم القيامة.

والحديث الشريف يفسر وجهًا من وجوه العلم فى قوله تعالى: ﴿**وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا**﴾ [العاديات: ١ ـ ٥].

أشرف استخدام للخيول

■ أخرج الإمام أحمد عن يزيد، عن ابن أبى ذئب، عن سعيد بن خالد، عن إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذؤيب، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس، أن رسول **الله** ﷺ خرج عليهم وهم جلوس فقال: «**ألا أحدثكم بخير الناس منزلة؟**»، قالوا: بلى يا رسول **الله**. قال: «**رجل ممسك برأس فرسه فى سبيل الله حتى يموت أو يقتل. أفأخبركم بالذى يليه؟**» قالوا: نعم يا رسول **الله**. قال: «**امرؤ معتزل فى شعب، يقيم الصلاة، ويؤتى الزكاة، ويعتزل شرور الناس**».

فأشرف استخدام للخيل هو فى الجهاد فى سبيل **الله**. فى الدفاع والحرب والقتال. كما قال تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾ [الأنفال: ٦٠] ذكر هذه الآية

الكريمة بعد ظهور الخيانة ونقض العهد من قبل المشركين، فإذا كانوا كذلك ﴿**فَشَرِّدْ بِهِمْ**﴾ أى اجعلهم عبرة لغيرهم فى الإذلال، وأمر **الله** تعالى رسوله بالإعداد لهؤلاء الكفار.

ومن معانى الآية:

أعدوا لهم: من كل أنواع القوة.

ومن رباط الخيل: أى الخيل تربط فى سبيل **الله** ويُغزى عليها.

ومعنى الآية: الخيل المربوط فى سبيل **الله**.

ومن أساليب القتال بسلاح الفرسان أن تدخل الخيل ساحة الحرب فى أربطة أو مجموعات تزيد على الخمس. والأمر نفسه بالنسبة للدبابات والمصفحات.

والحصان هو الحيوان الوحيد الذى يستعمل فى ساحة القتال قديمًا وحديثًا.

وفى الآية أمر من **الله** تعالى للمؤمنين بإعداد القوة للأعداء ما استطاعوا. و(القوة) هى السلاح المتاح للناس فى كل عصر من العصور.

وروى الإمام مسلم عن عتبة بن عامر قال: قال رسول **الله** ﷺ: «**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمى، ألا إن القوة الرمى، ألا إن القوة الرمى**» كرر الرمى ثلاث مرات تأكيدًا على أن القوة عمادها الرمى. وهذا صحيح فى كل عصر وزمان ومكان. ولكن هذا لا ينفى كون غير الرمى معتبرًا.

ففى العصور القديمة: كان الرمى بالسهام والنبال أكبر عوامل القوة فى الجيش، وعماد حماية ظهر المقاتلين. وقد حدث فى معركة أحد أن رسول **الله** ﷺ أمر الرماة أن يبقوا على الجبل (جبل الرماة) وألا ينزلوا عنه مهما كانت الأحوال، وأكد عليهم ذلك، فانتصر المسلمون فى المعركة، وانسحب جيش المشركين من ساحة المعركة.. وظن الرماة أن المعركة انتهت بنصر المسلمين، فنزلوا عن الجبل لجمع الغنائم فانكشف ظهر جيش المسلمين، ولما رأى المشركون نزول الرماة من فوق الجبل عادوا مسرعين وطوقوا جيش المسلمين، وقتلوا منهم سبعين شهيدًا!

وكانت معركة أحد وما جاء فيها، مثلاً على أهمية الرمى والرماة فى الحروب[*].

فى العصور الوسطى: لا يزال الرمى من أكبر عوامل القوة فى الحروب، وإنما تغير الرمى بالنبال والرماح، إلى الرمى بالبنادق والمدافع.

فى العصر الحاضر: صار الرمى بالصواريخ والمدافع والقنابل. وهى القوة التي تحسم المعركة، فالرمى هو القوة الضاربة فى الدفاع والحرب، بوسيلة الضرب المتاحة للمقاتلين فى كل العصور.

والحديث الشريف: «**ألا إن القوة الرمى**» صالح لكل زمان ومكان. شأنه شأن أغلب الأحاديث النبوية. فليست العبرة فى خصوص السبب، ولكن العبرة بعموم النص.

وأشرف استخدام للخيول، استعمالها فى الدفاع والقتال فى سبيل **الله**. وفى غير وقت الحروب يكون أشرف استخدام للخيول تربيتها والعناية بها، وتوفير أفضل غذاء لها، وإعدادها للدفاع عن الدين، والقتال فى سبيل نصرة العقيدة.

وقد صورت سورة العاديات استخدام الخيل فى القتال فى سبيل **الله** تصويرًا رائعًا.

(*) انظر كتاب (الجبال ورسالات الأنبياء) موقعة أحد، للمؤلف.

قال **الله** عز وجل: ﴿**وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا**﴾ [العاديات: ١ ـ ٥].

والعاديات ضبحًا: هى الخيول تضبح ضبحًا بأنفاسها، وهى تجرى فى ساحة القتال. والضبح هو صوت الحصان أثناء عدوه السريع. (والصهيل هو صوت الحصان وهو واقف).

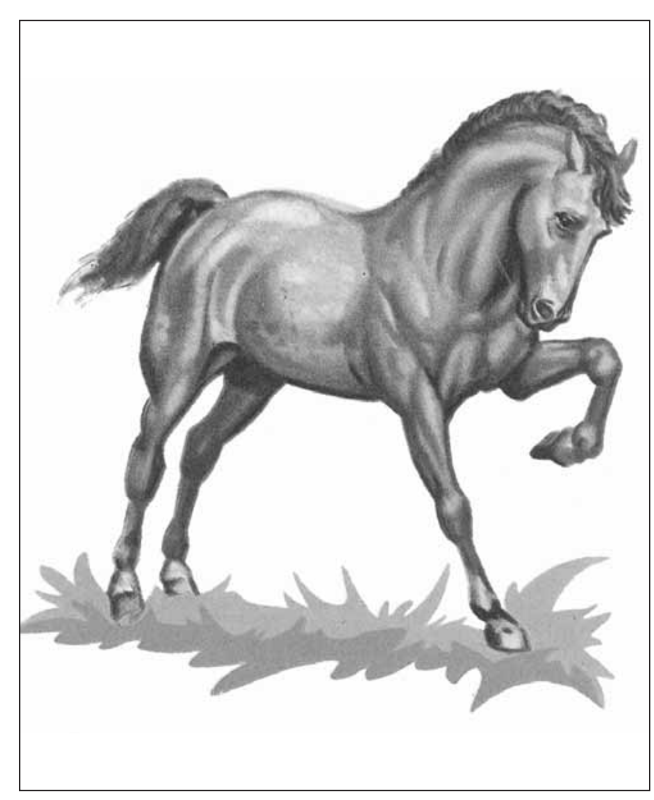
فالموريات قدحًا: أى الخيل فى عدوها تورى الشرر فى صخور الأرض بسنابكها.

وقد درس العلماء المتخصصون ميكانيكية أقدام الحصان أثناء عدوه السريع وما يحدث منها، وما يحدث فيها. فتوصلوا إلى أسرار علمية مدهشة عن قوائم الحصان وسنابكه. وجدوا أن قوة الشد التى تتحملها أوتار قدم الحصان أثناء العدو السريع، قوة هائلة، فإن كل ملليمتر مربع من قدم الحصان يقع عليه كيلوجرام واحد!! وأن الحصان يضرب الأرض بسنابكه بقوة هائلة جدًّا. وتقع على أوتار قدم الحصان قوة تعادل عشرين طنًّا!

وإذا تصورنا ميزانًا ضخمًا تحت قدم حصان، وهو يعدو فى ساحة الحرب، ليقيس قوة ارتطام قدم الحصان بالأرض، لتحطم الميزان تحت قوة ضرب قدم الحصان. فكيف تتحمل أقدام الحصان كل هذه القوة الهائلة ولا تتحطم؟!

ونحن نعلم أن لكل قوة رد فعل يتساوى معها، وعلى عكس اتجاهها، بمعنى أن قوة ارتطام قدم الحصان إذا كان يعادل عشرين طنًّا، فإن رد الفعل للقدم يكون بنفس القوة، الأمر الذى يسبب حتمًا تحطيم قدم الحصان. ولكن لا يحدث لقدم الحصان شىء، فما هو السر العلمى فى ذلك؟

السر أن **الله** تعالى خلق أوتار القدم بتصميم هندسى عجيب من شأنه أن ترتفع قدم الحصان فور ارتطامها بالأرض، وبذلك تتفادى القدم التعرض لرد فعل الضربة! ولولا ذلك التركيب الهندسى المعجز فى قدم الحصان، لتعرضت القدم لرد فعل ارتطامها بالأرض، الذى يبلغ عشرين طنًّا، ولتحطمت القدم.



والحصان إذ يعدو عدوًا سريعًا فوق أرض صخرية، تُحدث سنابكه شررًا يخرج من صخور الأرض، يقدح قدحًا. وإذا كانت الأرض ترابية، فإن أقدام الحصان الخلفية تثير الغبار فى الجو كما قال **الله** تعالى: ﴿**فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا**﴾.

(فالموريات قدحًا): أى إخراج الشرر قدحا أى حكًّا. قال ابن عباس رضى **الله** عنهما: «المعنى الخيل تضرب صخور الأرض بحوافرها، فأورت النار منها. مثل الزند إذا قدح».

(فوسطن به جمعًا) أى الفرسان تعدو فتشق تجمعات العدو، وتشتت شملها. ولقد أقسم **الله** تعالى بالخيل واستخدامها في القتال فى سبيل **الله**.

مسألة أكل لحــوم الخيل

■ أخرج الأئمة البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه، عن سفيان، عن هشام بن عروة، عن فاطمة بنت المنذر، عن أسماء بنت أبى بكر رضى **الله** عنهما قالت: نحرنا فى عهد رسول **الله** ﷺ فرسًا وأكلناه.

ـ وفى رواية إسحق ـ بنفس الإسناد ـ قالت السيدة أسماء: ذبحنا على عهد رسول **الله** ﷺ فرسًا ـ ونحن بالمدينة ـ فأكلناه.

ـ ذكر فى رواية (نحرنا)، وذكرت الرواية الأخرى (ذبحنا) واللفظان بمعنى واحد.

ـ وفى رواية ابن ماجه: (نحرنا فرسًا فأكلنا من لحمه على عهد رسول **الله** ﷺ).

■ وروى الإمامان البخارى ومسلم عن عبد **الله** بن أبى أوفى رضى **الله** عنه قال: أصابتنا مجاعة ليالى خيبر، فلما كان يوم خيبر وقعنا فى الحمر الأهلية فنحرناها، فلما غلت بها القدور، نادى منادى رسول **الله** ﷺ أن اكفئوا القدور، ولا تأكلوا من لحم الحمير شيئًا.

ولحم البغال محرم عند الشافعية والحنابلة؛ لأنها مستولدة من أحد أصلين، الحمار وهو محرم.

قال رسول **الله** ﷺ: «**الخيل لثلاثة لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر**»... إلخ الحديث.

وبالقياس، فإن البغال والحمير تلحق بالخيل فى الاستخدام فى الأجر والستر والوزر؛ لأن **الله** جمع الثلاثة فى آية واحدة فقال: ﴿**وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً**﴾.

حددت الآية الكريمة أوجه استخدام العائلة الخيلية وهى الركوب والزينة، فمن استخدمها فى هذين القصدين، فقد استخدمها فيما هو مباح، أما خلاف ذلك فهو غير مباح.

ولا توجد دواب يركبها الإنسان، ويتزين بها، إلا هذه الثلاثة الخيل والبغال والحمير، فالخيل المسومة، والبغال المطهمة، والحمير المزينة، نجدها فى كل العصور، وفى مناسبات كثيرة.

و(الخيل) اسم منصوب بإضمار فعل، أى وخلق الخيل.

و(زينة) اسم منصوب بإضمار فعل أيضًا، وتقدير المعنى: وجعلها زينة.

والخيل تحس بجمالها، لذلك فهى تختال فى مشيتها. من أجل ذلك سُميت (خَيْلا) ومفردها (خائل).

ولماذا قدم الركوب على الزينة؟ فقال: ﴿**لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً**﴾. ولماذا أُلحقت لام التعليل بالركوب، ولم تُلحق بالزينة؟ ذلك لأن الركوب هو المنفعة الأصيلة من الخيل والبغال والحمير للإنسان. أما التزين بها فليس هو المنفعة الأولى من خلقها. لذلك قدم الركوب، وأُلحق بلام التعليل تنبيهًا على أنه أهم الغرضين، وأقوى السببين. ولم يجعلها للأكل والشرب. كما قال عن الأنعام: ﴿**وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾ [النحل: ٥].

وهناك خلاف فى أكل لحوم الخيل. فالبعض يجيزه، والبعض الآخر يُحرّمه. وعن جابر رضى **الله** عنه قال: كنا نأكل لحوم الخيل فى عهد رسول **الله** ﷺ. ونقول: ربما كان ذلك لضرورة، ولا يُحتج بقضايا الأحوال. وقد ثبت أن رسول **الله** ﷺ حرّمها فى خيبر.

وروى مسلم فى صحيحه عن أسماء رضى **الله** عنها قالت: نحرنا فرسًا فى عهد رسول **الله** ﷺ ونحن بالمدينة، وأكلناها. والإمام الشافعى يحلله والإمام أبو حنيفة يحرمه.

الشافعى يحلله وعمدته فى ذلك حديث جابر رضى **الله** عنه، وأبو حنيفة يحرمه؛ لأن نص الآية: ﴿**وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل: ٨] فالخيل والبغال والحمير خصصت

للركوب والزينة، ولم تخصص لأكل لحومها وشرب ألبانها، كما أخبرنا **الله** تعالى عن الأنعام فى سورة النحل (الآية: ٥).

وعقبت الآية بالقول: ﴿**وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ إشارة إلى وسائل أخرى سيجعلها **الله** تعالى للركوب والزينة لا يعلمها الناس فى عصر نزول القرآن الكريم، بالإضافة إلى الخيل والبغال والحمير ـ وهى وسائل النقل المختلفة التى نجدها بين أيدينا اليوم من السيارات والقطارات والطائرات ـ ونَصُّ الآية على ذلك يجعل استخدام وسائل النقل والركوب والزينة ـ بخلاف الخيل والبغال والحمير ـ حلالاً ومباحًا. ولولا أن نصت الآية على ذلك لقام من الناس من حرّم استخدام وسائل النقل والركوب الحديثة.

فــرس سراقـــة

■ أخرج الإمام البخارى عن النضر، عن شعبة، عن أبى إسحق، قال: سمعت البراء رضى **الله** عنه قال: قدم رسول **الله** ﷺ من مكة وأبو بكر معه. قال أبو بكر: مررنا براعٍ ـ وقد عطش رسول **الله** ﷺ ـ قال أبو بكر رضى **الله** عنه: فحلبت كثبة من لبن فى قدح، فشرب حتى رضيت. وأتانا سراقة بن جُعْشم على فرس، فدعا عليه. فطلب إليه سراقة أن لا يدعو عليه وأن يرجع. ففعل النبى ﷺ.

■ قال ابن شهاب بسنده، عن عبد الرحمن بن مالك المدلجى، وهو ابن أخى سراقة أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن مالك بن جعشم يقول:

جاءنا رسل كفار قريش، وقد جعلوا فى رسول **الله** ﷺ وأبى بكر دية، كل واحد منهما لمن قتله وأسره. وبينما أنا جالس فى قومى قال رجل منهم: يا سراقة إنى رأيت آنفًا أشخاصًا بالساحل، أراها محمدًا وصاحبه. قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا هم، ولكنك رأيت فلانًا وفلانًا.

ثم لبثت فى قومى ساعة، ثم قمت وأخذت رمحى وركبت فرسى فدفعتها، حتى دنوت منهما. فعثرت بى فرسى فوقعت من فوقها. وقمت فركبت فرسى. فجعل فرسى يقترب بى، حتى سمعت قراءة رسول **الله** ﷺ وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر فى الالتفات، ساخت يدا فرسى فى الأرض، حتى بلغتا الركبتين، فسقطت عنها فأهويت. ثم زجرتها فنهضت. فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأَثَر يديها غبار ساطع فى السماء مثل الدخان[*]. فناديتهم بالأمان، فوقفوا فركبت فرسى حتى جئتهم، ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم، أن سيظهر أمر رسول **الله** ﷺ ـ أى سينتصر عليهم ـ فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية. وأخبرتهم أخبار ما يريد القوم بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يردانى، ولم يسألانى، إلا أن قالا: أخف عنا (أى لا تقل للقوم أين نحن). فسألته أن يكتب بكتاب أمن، فأمر عامر ابن فهيرة، فكتب لى رقعة من أَدَم. ثم مضى رسول **الله** ﷺ وصاحبه.

ولما رجع سراقة جعل لا يلقى أحدًا من القوم الذين يطلبون النبى وصاحبه، إلا رده فرجعوا. فلما علم سراقة أن النبى ﷺ وصل إلى المدينة جعل يقص على الناس ما رأى وما شاهده من أمر النبى ﷺ، وما كان من قصة جواده الذى عثر به أربع مرات. فكانت قريش تتحاشاه، حتى لا يدخل الناس الإسلام.

---

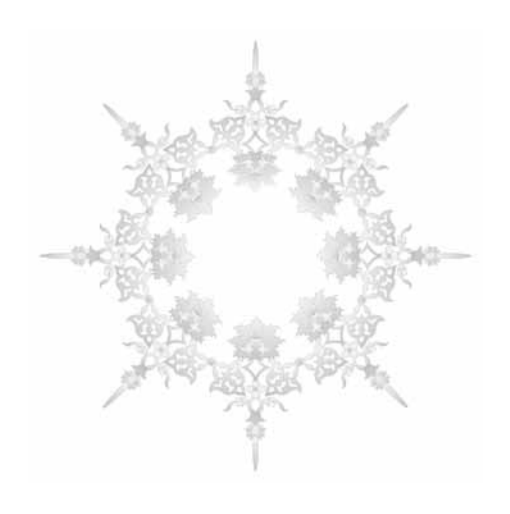
(١) (إذا لأثر يديها): أى أن الفرسة عندما أخرجت يديها أثارت الغبار الذى ثار كالدخان.

وجاء فى السيرة لابن هشام:

قال ابن إسحق، عن عبد الرحمن بن مالك بن جُعشم، عن أبيه، عن عمه سراقة ابن مالك بن جعشم قال: لما خرج رسول **الله** ﷺ من مكة مهاجرًا إلى المدينة، جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن ردّه عليهم. قال: فبينا أنا جالس فى نادى قومى إذ أقبل رجل منا، حتى وقف علينا. فقال: و**الله** لقد رأيت رَكَبة ثلاثة مروا علىّ آنفًا، إنى لأراهم محمدًا وأصحابه. قال: فأومأت بعينى: أن اسكت، ثم قلت: إنما هم بنو فلان، يبتغون ضالة لهم. قال: لعله، ثم سكت. قال سراقة: ثم مكثت قليلاً، ثم قمت فدخلت بيتى، ثم أمرت بفرسى، فقيد لى إلى بطن الوادى، وأمرت بسلاحى، فأخرج لى من حجرتى، ثم أخذت قداحى التى أستقسم بها. ثم انطلقت، فلبست لامتى (الدرع والسلاح) ثم أخرجت قداحى، فاستقسمت بها، فخرج السهم المكتوب عليه (لا يضره). قال: فأبيت إلا أن أتبعه. قال: فركبت فى أثره، فبينا فرسى يشتد بى، عثر بى فسقطت عنه. قال: فقلت: ما هذا؟! فأخرجت قداحى فاستقسمت بها، فخرج نفس السهم. قال: فأبيت إلا أن أتبعه، فركبت فى أثره. فلما بدا لى القوم ورأيتهم، عثر بى فرسى، فذهبت يداه فى الأرض. وسقطت عنه، ثم انتزع يديه من الأرض، وتبعهما دخان كالإعصار. قال: فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد مُنع منى. فناديت القوم فقلت: أنا سراقة بن جعشم أنظرونى أكلمكم، فو**الله** لا أريكم ولا يأتيكم منى شىء تكرهونه.

قال: فقال رسول **الله** ﷺ لأبى بكر: «**قل له: وما تبغى منا؟**» قال: فقلت: تكتب لى كتابًا يكون آية بينى وبينك. قال ﷺ: «**اكتب له يا أبا بكر**». قال: فكتب لى كتابًا على عظم أو فى رقعة، أو فى خزفة، ثم ألقاه إلى، فأخذته، فجعلته فى كنانتى ثم رجعت، فسكت فلم أذكر شيئًا مما كان.

حتى إذا كان فتح مكة، خرجت ومعى الكتاب لألقاه، فلقيته بالجعرانة ـ بين الطائف ومكة ـ فدخلت فى كتيبة من خيل الأنصار، فجعلوا يقرعون بالرماح ويقولون: إليك.. إليك! ماذا تريد؟.. فدنوت من رسول **الله** ﷺ وهو على ناقته، فرفعت يدى بالكتاب، ثم قلت: يا رسول **الله**.. هذا كتابك لى.. أنا سراقة بن جعشم، فقال رسول **الله** ﷺ: «**يوم وفاء وبر.. ادنه..**» فدنوت منه فأسلمت.



٢ البـغـــــــــال

■ روى ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة، عن على بن مُسْهِر، عن يزيد بن أبى زياد، عن ابن الأحوص، عن أمه، قالت: رأيت رسول **الله** ﷺ يوم النحر، عند جمرة العقبة. وهو راكب على بغلة. فقال: «**يا أيها الناس. إذا رميتم الجمرة، فارموا بمثل حصى الخَذْف**».

■ روى البخارى عن قتيبة، عن سهل بن يوسف، عن شعبة، عن أبى إسحق، عن البراء بن عازب، أن رجلاً قال له: **أفررتم** عن رسول **الله** ﷺ يوم حنين؟. ولكن رسول **الله** ﷺ لم يفر، إن هوازن كانوا قومًا رماة. وإنا لما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا. فأقبل المسلمون على الغنائم، فاستقبلونا بالسهام. فأما رسول **الله** ﷺ فلم يفر، فلقد رأيته وإنه لعلى بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان آخذ بلجامها والنبى ﷺ يقول: «**أنا النبى لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**».

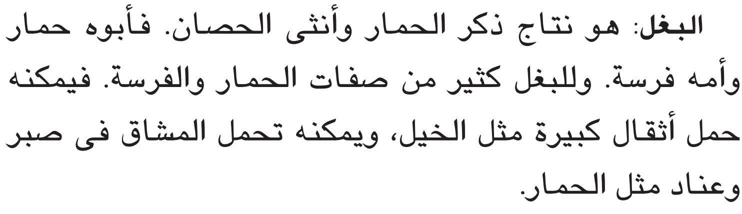
■ وروى البخارى عن سهل بن بكار، عن وهيب، عن عمرو بن يحيى، عن عباس الساعدى عن أبى حُميد الساعدى أن ملك أَيْلَة أهدى للنبى ﷺ بغلة بيضاء.

ـ وفى رواية مسلم: وجاء صاحب أَيْلَة إلى رسول **الله** ﷺ بكتاب، وأهدى له بغلة بيضاء. (وأيلة بلدة على ساحل البحر).

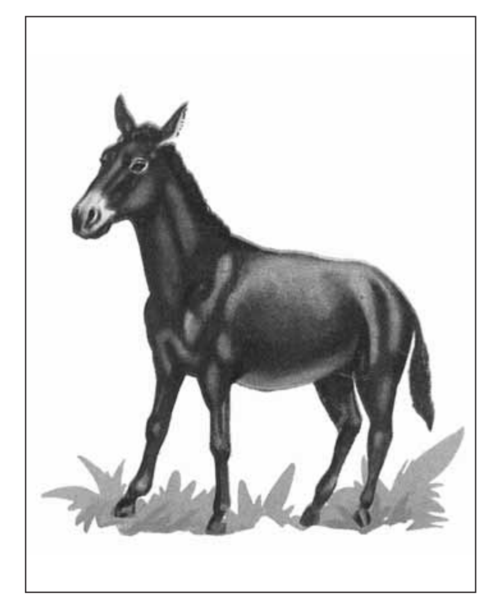
ـ وأخرج الحاكم فى المستدرك عن ابن عباس قال: إن كسرى أهدى للنبى ﷺ بغلة فركبها ثم أردفنى خلفه.
ويقال إن النجاشى أهدى لرسول **الله** ﷺ بغلة. وأن صاحب دومة الجندل أهدى له بغلة.

ـ ومن ذلك نفهم أن البغلة البيضاء كانت أعز ما يُهدى فى تلك العصور وقد يكون ذلك لندرة الحصول عليها.
وكانت البغال من أنسب الدواب للركوب في الرحلات القصيرة.

■ وأخرج أبو داود والنسائى والدارقُطْنى عن صالح بن يحيى بن المقدام بن مَعْدِ يكرب عن أبيه عن جده عن خالد بن الوليد أن النبى ﷺ قال: «**لا يحل أكل لحوم الخيل والبغال والحمير**».



البغل: هو نتاج ذكر الحمار وأنثى الحصان. فأبوه حمار وأمه فرسة. وللبغل كثير من صفات الحمار والفرسة. فيمكنه حمل أثقال كبيرة مثل الخيل، ويمكنه تحمل المشاق فى صبر وعناد مثل الحمار.



والبغل شديد النفع فى القرى الجبلية، حيث لا توجد طرق ممهدة.

وذكرت البغال فى كثير من الأحاديث النبوية المشرفة.

وذكرت فى آية واحدة فى القرآن الكريم فى سورة النحل، قال تعالى: ﴿**وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً**﴾ [النحل: ٨].

وأفردت الآية الكريمة: الخيل والبغال والحمير بالذكر للتنبيه على أن هذه الدواب الثلاث ليست من الأنعام. وإنها تتعلق بالركوب وحمل الأثقال والزينة. وما عدا ذلك فليس حلالاً.. فلا تؤكل لحومها.



٣ الحمير

■ أخرج الإمامان أحمد ومسلم عن عفان بن سلمة، عن عمرو بن يحيى، عن سعيد بن يسار، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلى على حمار أو حمارة وهو متوجه إلى خيبر.

■ أخرج الأئمة البخارى ومسلم ومالك وأصحاب السنن عن إسماعيل بن أبى أويس، عن مالك، عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: أقبلت راكبًا على حمار أتان ـ وأنا يومئذ ناهزت الاحتلام ـ ورسول الله ﷺ يصلى بمنى إلى غير جدار. فمررت بين يدى بعض الصف، وأرسلت الأتان ترتع فدخلت فى الصف، فلم يُنكر ذلك على.

الأتان: الأنثى من الحمير.

المراد بالاحتلام: البلوغ الشرعى.

فلم يُنكر ذلك علىّ: أى لم ينكر ذلك على أحد، وقيل: فيه جواز تقديم المصلحة الراجحة على المفسدة الخفيفة.

■ أخرج الإمام البخارى عن عبد الله بن محمد، عن سفيان، عن الزهرى، عن أبى إدريس الخولانى، عن أبى ثعلبة الخشنى قال: نهى النبى ﷺ عن أكل كل ذى ناب من السَّبُع.

وزاد الليث: عن يونس، عن شهاب قال: أما ألبان الأتن فقد بلغنا أن رسول الله ﷺ نهى عن أكل لحومها، ولم يبلغنا عن شرب ألبانها أمرٌ ولا نهى.

■ روى الإمامان البخارى ومسلم عن إسحق بن إبراهيم وأبى كريب، عن يحيى وإسحق، عن أبى معاوية، عن الأعمش عن شقيق عن أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيُلقى فى النار، فتندلق أقتاب بطنه**(*)**. فيدور كما يدور الحمار بالرَّحى. فيجتمع إليه أهل النار. فيقولون: يا فلان، ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى. قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه**».

الحمار كدابة من الدواب:

الحمار من العائلة الخيلية، والحمار حيوان قوى وصبور، ولديه القدرة على العمل الشاق فى الطواحين، وفى الركوب، والقدرة على حمل الأثقال والانتقال بها مسافات طويلة. ويتميز الحمار بالعناد، ويعيش الحمار عشرين عامًا وأكثر. وهو آكل للنباتات الجافة والخضراء، ويكفيه القليل من الغذاء البسيط. وتدر أنثى الحمار لبنًا تشربه بعض القبائل من سكان الجبال ولبن أنثى الحمار أقرب إلى ألبان الدواب بلبن المرأة فى التركيب والخصائص والفوائد الغذائية، وقد استخدم الحمار فى مصر منذ ما يزيد على ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، ولم يدخل أوروبا إلا بحلول القرن التاسع عشر واستعمل فى الأناضول وجنوب البلقان فى إدارة الطواحين. ولا يزال الحمار يستعمل فى الطواحين فى بلدان الشرق الأدنى وجنوب البلقان.

(*) أى تخرج أمعاؤه من بطنه.



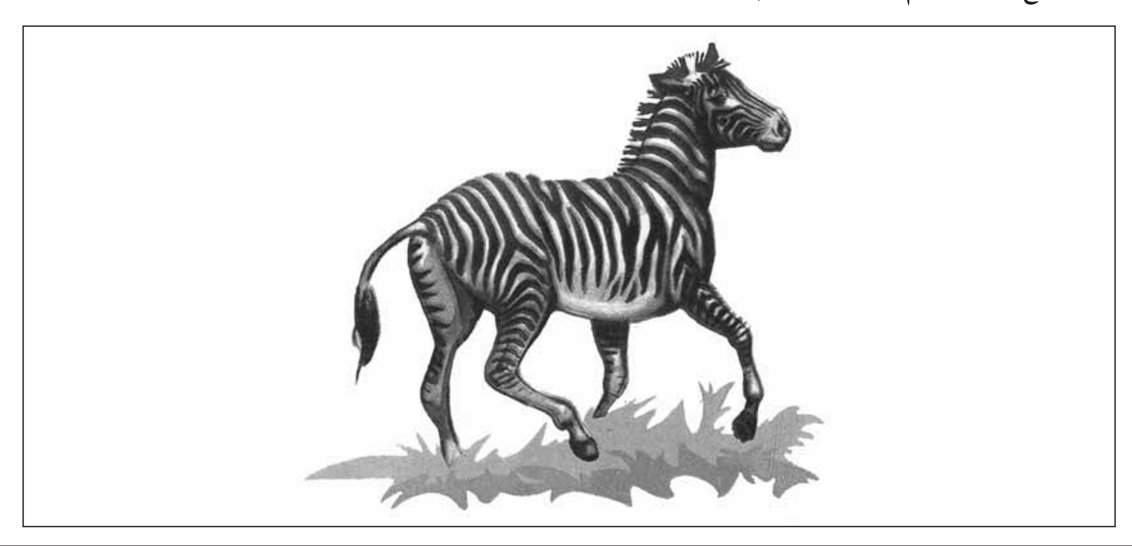
حمير محملة فى مسيرة فوق أرض وعرة، فهى تمتلك قوة واحتمالاً مذهلين



حمار سريدينى يدير طاحونة، تعصب أعين الحمير عند قيامها بعمل من هذا النوع

الحمار الوحشى:

هو حيوان برى، يعيش فى أحراش المراعى فى شرق وجنوب إفريقيا ويسمى الحمار المخطط. ويعيش فى جماعات خوفًا من هجوم الحيوانات المفترسة عليه كالأسد والنمر وافتراسه. والحمار الوحشى قوى البنية، سريع العدو ولم يستأنسه الإنسان بعد.



أعجب حمـار فى التـاريخ
حمــار عزيــر

■ عن إسحق بن بشر، عن ابن عباس رضى **الله** عنهما قال: إن عزير بن شرخيا ـ وكان من أنبياء بنى إسرائيل كما جاء فى التوراة ـ خرج ذات يوم إلى دير هرقل على شاطئ دجلة فى بابل. وطاف بالقرية فلم يجد فيها أحدًا، ووجد الكثير من بيوتها مهدمًا. فقال: ﴿**أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾. وكان معه سلة فيها تين، وسلة فيها عنب، وأخرج خبزًا يابسًا وأكله مع التين والعنب، ولم يكن عزير شاكًا فى قدرة **الله** تعالى على إحياء الموتى، ولكنه سأل عن إحياء القرية تعجبًا. فأراد **الله** تعالى أن يعطيه درسًا ويريه آية بعينيه، تجيبه عن سؤاله. فأنامه **الله** مائة عام، وأمات حماره كذلك، وبعد مائة عام أيقظه **الله** من نومه الطويل، وأحيا حماره بعد موته، بعد أن صار ترابًا وعظامًا.

والنوم موت أصغر، لأن الإنسان عندما ينام تغادر روحُهُ جسده؛ لذلك يقال عن الذى ينام، أنه دخل فى حالة موت. أنام **الله** تعالى عزيرًا وضرب على أذنيه مائة عام، وعبّر عن ذلك بقوله: ﴿**فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ**﴾ [البقرة: ٢٥٩] كما أنام **الله** تعالى وضرب على آذان أصحاب الكهف ثلاثمائة عام ثم بعثهم. كما قال **الله** تعالى عنهم: ﴿**فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ**﴾ [الكهف: ١٩]، هم لم يتحولوا إلى تراب أثناء نومهم، فهم كانوا فى نوم وليسوا فى وفاة. وكذلك كان عزير فى نوم وليس فى وفاة.

ولما أيقظ **الله** تعالى عزيرًا من نومه الطويل، لم يتغير جسده أى تغيير، ولو كان ذلك للفت نظره، ولتساءل عنه. ولكنه لم يحدث.

■ ورُوِى أن الإمام عليًّا كرم **الله** وجهه ورضى **الله** عنه قال: إن عزيرًا خرج من أهله وخلف امرأته حاملاً، وله خمسون سنة. فأماته **الله** مائة عام ثم بعثه، ورجع إلى أهله فكان ابنه أكبر منه سنًّا. هو ابن خمسين عامًا، وابنه ابن مائة عام!! قال **الله** تعالى لعزير: ﴿**فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ**﴾ يعنى لم يتغير منذ مائة عام. ﴿**وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ وهكذا أجاب بنفسه عن السؤال الذى سأله عندما دخل دير هرقل فى بابل على شاطئ دجلة ووجد القرية خربة فقال: ﴿**أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾.

أمره **الله** تعالى أن ينظر إلى حماره كيف تحول إلى تراب، ثم ينظر كيف يحييه **الله** مرة أخرى عظامًا، ثم يكسوها لحمًا، تمامًا كما يحدث للإنسان فى بطن أمه!! وهكذا كان حمار عزير أعجب حمار فى التاريخ. أماته **الله** تعالى فى الحياة الدنيا وصار ترابًا، وبعد مائة عام بعثه **الله** تعالى وأقام عظامه وكساها لحمًا وأحياه أمام عينى عزير. قال: أعلم أن **الله** على كل شىء قدير.

وبذلك كان حمار عزير أعجب حمار فى التاريخ، فهو الحمار الوحيد الذى مات وتحول إلى تراب، ثم أحياه **الله** بعد ذلك، وهو الحمار الوحيد الذى عاش مرتين ومات مرتين فى الحياة الدنيا!!



دواب الغابات والمراعى

١ ـ القردة.

٢ ـ الذئب.

٣ـ الثعابين.

٤ـ الفيل.

صفحة ٩٠ بيضاء



دواب الـغـابـات والـمـراعـى

١ الــقـــــــــــــــــردة

■ روى مسلم وأحمد عن وكيع عن مِسْعر، عن علقمة بن مرثد، عن المغيرة بن عبد **الله** اليشكرى، عن المعرور بن سويد قال: ذكرت القردة عند رسول **الله** ﷺ، فسئل هل الخنازير من مَسْخ؟ فقال: «**إن الله لم يجعل لمسخ نسلاً ولا عقبًا، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك**».

أى قبل مسخ بنى إسرائيل. فدل هذا على أن القردة والخنازير ليست من مسخ. بل هى من الدواب التى خلقها **الله** تعالى فى هذه الأرض.

وفى رواية أخرى بنفس الإسناد:

قال رجل: يا رسول **الله**. هل القردة والخنازير مما مُسِخ؟ فقال ﷺ: «**إن الله عز وجل لم يهلك قومًا، أو يعذب قومًا، فيجعل لهم نسلاً، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك**».

■ روى الإمام أحمد عن عبد **الله** بن يزيد ويونس قالا: حدثنا داود عن محمد بن زيد عن أبى الأعين العبدى، عن أبى الأحوص الجشمى، عن ابن مسعود رضى **الله** عنه قال: سألنا رسول **الله** ﷺ عن القردة والخنازير أهى من نسل اليهود؟

فقال: «**لم يلعن الله قومًا قط فمسخهم، فكان لهم نسل حين يهلكهم. ولكن هذا خلق كان كلما غضب على اليهود مسخهم وجعلهم مثلهم**».

الأحاديث النبوية الشريفة تفسير للآيات الكريمة التى ذكرت اعتداء اليهود على ميثاقهم مع **الله**.. فقد روى ابن عباس أن طائفة من اليهود فى زمن النبى داود عليه السلام، كانوا يسكنون قرية إيلة على ساحل البحر بين فلسطين والشام. وكان مهنتهم صيد دواب البحر ومنها الحيتان الصغيرة. ولما طلبوا من **الله** تعالى أن يجعل لهم يومًا يتعبدون فيه، ولا يعملون فيه أى عمل من أعمال الدنيا وينقطعون فيه للعبادة، جعل **الله** تعالى لهم يوم السبت، لا يعملون فيه أى عمل سوى العبادة. فأراد **الله** تعالى أن يكشفهم أمام أنفسهم، ويروا بأنفسهم ضحالة إيمانهم بالله، وكذبهم وخداعهم فى تعاملهم مع ربهم. فأوحى **الله** تعالى إلى الحيتان أن تمتنع عن الظهور فى البحر طوال أيام الأسبوع ما عدا يوم السبت، وهو اليوم الذى يجب على اليهود الامتناع عن أى عمل فيه، ومن ذلك صيد الحيتان من البحر. فأرادوا الاحتيال على **الله** تعالى فماذا فعلوا؟ إنهم حفروا حياضًا على شاطئ البحر وصاروا يسوقون الحيتان إليها يوم الجمعة، ويحبسونها فيها طوال يوم الجمعة والسبت، حتى إذا جاء يوم الأحد اصطادوها من الحياض!.. وكان الحبس فى الحياض هو اعتداءهم فى يوم السبت.

فذهبت إلى أولئك القوم طوائف من أهل القرية، ونهوهم عن احتيالهم هذا، واعتدائهم على ميثاقهم مع **الله**، فلم ينتهوا، وقالوا إننا لا نصيد حيتانًا يوم السبت، ولا نعمل أى عمل فيه. فما الخطأ فى ذلك؟!

لذلك أنزل **الله** تعالى عذابه بهم فجعلهم قردة وخنازير! وفى ذلك يقول **الله** عز وجل يخاطب اليهود الذين كانوا فى عهد النبى محمد ﷺ:

﴿**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾ [البقرة: ٦٥]، ويقول تعالى أيضًا: ﴿**وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾ [الأعراف: ١٦٣].

والخطاب فى الآية الكريمة إلى النبى محمد ﷺ يقول له: واسأل اليهود عن إخوانهم من اليهود الذين كانوا يسكنون على شاطئ البحر وما حدث منهم من احتيالهم على **الله** ونكثهم العهد مع ربهم، فأنزل بهم العذاب. وكأن **الله** ينذر اليهود فى عهد النبى محمد ﷺ بأنهم إن نكثوا العهد مع **الله** تعالى فسيكون مصيرهم مثل مصير تلك الفئة من اليهود فى عصر النبى داود من قبل.

وفى ذلك أيضًا إعجاز علمى فى السنة المشرفة؛ لأن هذا الحادث لا يعلمه إلا اليهود فقط، فمن أين علمه رسول **الله** ﷺ؟ لا يكون علمه بذلك إلا وحيًا من **الله** تعالى له.

وقول **الله** عز وجل لليهود فى عهد النبى داود: ﴿**فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾ ليس أمرًا لهم؛ لأنهم ما كانوا قادرين على أن يغيروا أنفسهم إلى صورة القردة، بل المراد سرعة حلول العذاب بهم بأمر **الله** تعالى. وكان أمر **الله** مفعولاً.

لقد نكثوا العهد مع **الله**، فانتكسوا بهذا إلى عالم البهائم. فكان أن مسخهم **الله** إلى أسوأ صور البهائم وهى القردة والخنازير.

ولماذا لا يفعل **الله** تعالى ذلك بهم فى عصرنا الحالى وقد نكثوا العهد مع **الله**، واعتدوا على حرمات **الله** وأفسدوا فى الأرض وعاثوا فى الأرض ظلمًا وتقتيلاً؟.. نقول: لأن اليهود اليوم ارتكبوا ذنوبًا وإفسادًا أكثر كثيرًا مما فعل أسلافهم الذين مسخهم **الله** قردة وخنازير، وسيعد **الله** لهم عذابًا شديدًا يهلكهم عن بكرة أبيهم.. وإنما جعل **الله** تعالى لذلك أجلاً مسمى، وهو أجل آت لا ريب فيه.

وعن أبى حاتم بسنده عن مجاهد قال: المعنى: مسخت قلوبهم، ولم تمسخ أجسادهم قردة وخنازير وينبغى أن نفسر الآيات الكريمة على المجاز.. وهذا قول عجيب لا نوافق عليه. فليس فى الآية ما يدل على المجاز.. أم أنهم استكثروا ذلك على **الله**؟!.. وليعودوا إلى الحديث النبوى الشريف الذى ذكر صراحة أن **الله** تعالى مسخ أولئك اليهود قردة وخنازير!

وقد سئل النبى محمد ﷺ عن القردة والخنازير. هل فيها اليوم شىء من ذرية اليهود الذين مسخهم **الله** قردة وخنازير فى عهد النبى داود؟

فقال ﷺ: «**إن الله لم يجعل لمسخ نسلاً ولا عقبًا. وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك**» أى إن القردة والخنازير التى نراها اليوم هى من ذرية القردة التى خلقها **الله** تعالى منذ ملايين السنين قبل خلق آدم.

فالتفسير الذى نسبوه إلى مجاهد ليس صحيحًا، والتفسير الصحيح هو تفسير ابن عباس رضى **الله** عنهما، وهو تفسير لما جاء بالحديث النبوى الشريف وهو الحق والصدق واليقين.

وقال ابن عباس: إن القوم مسخهم **الله** قردة وخنازير ومكثوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا. وقال: جعل الشباب منهم قردة، وجعل الشيخة منهم خنازير.

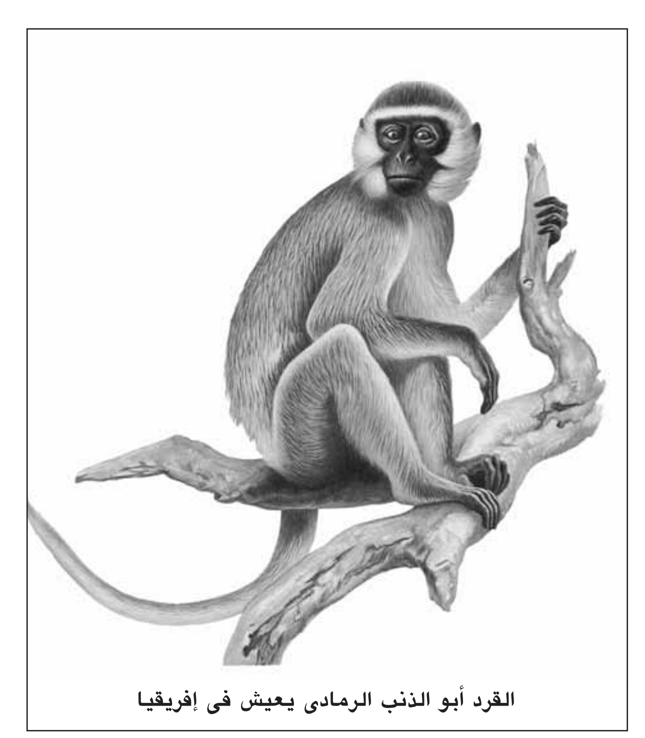
وصار الذين نهوهم عن نكثهم العهد مع **الله**، والاعتداء فى يوم السبت، يدخلون عليهم فيقولون: يا فلان.. ويا فلان.. ويا فلان.. ألم ننهكم عن الاحتيال على **الله** تعالى؟! فكانوا يهزون رءوسهم؛ أى: بلى.

وقال ابن عباس رضى **الله** عنهما: مسخهم **الله** قردة وخنازير بمعصيتهم ولم يعيشوا إلا ثلاثة أيام. ولم يأكلوا ولم يشربوا، ولم ينسلوا.

القردة:

القردة جمع قِرْد. والجمع: قردة وقرود.

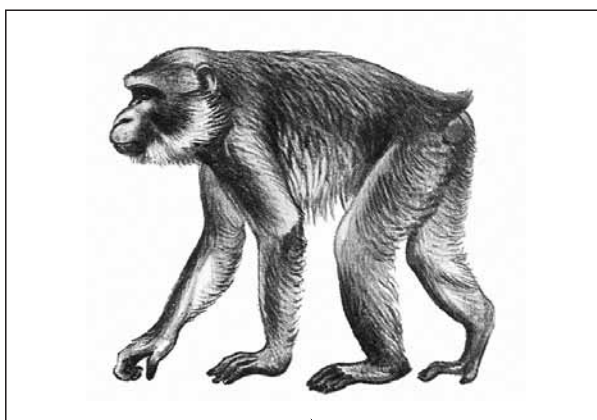
توجد أنواع عديدة من القردة فى العالم. فالقردة الأمريكية تختلف كثيرًا عن قرود العالم القديم، فالقردة الأمريكية ذوات الأنوف المفلطحة؛ لأن أنوفها مسطحة وعريضة جدًّا. وهى قردة صغيرة، أصغر بكثير من القردة الإفريقية والأسيوية الكبيرة، وتعيش على الأشجار فى الغابات.



القرد أبو الذنب الرمادى يعيش فى إفريقيا

والقردة فى الأمريكتين ذوات ذنب. بعكس قردة العالم القديم فى إفريقيا وأسيا فليس لها ذنب. إلا أن بعض سلالاتها لها ذنب طويل أيضًا.

ويرجع خلق القردة إلى سبعين مليون سنة مضت.. وكانت قردة بدائية، قليلة الشبه بالقردة الحالية، فقد كانت لا تزيد فى طولها على ثلاثين سنتيمترًا. وعند تباعد القارات وانفصال الأمريكتين عن قارتى إفريقيا وأسيا، انعزلت الحيوانات التى تقطنها. وهذا ما جعل قردة كل من المنطقتين، تنشأ بصفات تختلف عن بعضها فقردة العالم القديم (أسيا وإفريقيا) تختلف فى صفاتها عن صفات قردة العالم الجديد.



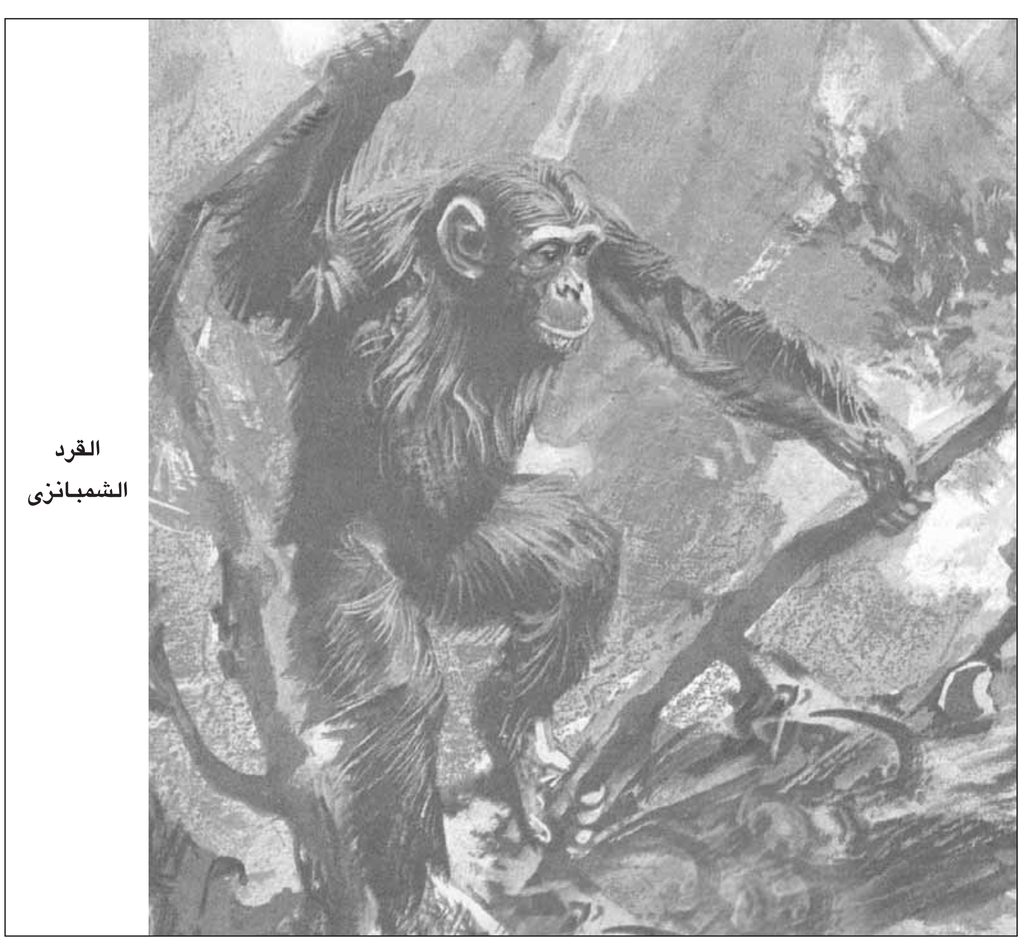
إنه الماكاك الإفريقى الوحيد (يعيش فى تلال وجبال المغرب والجزائر). وهنالك عدد صغير من هذا النوع لا يزال يعيش فى أوروبا (جبل طارق). وهو قرد بدون ذنب

أما الغوريلا والشمبانزى فهما إفريقيان.

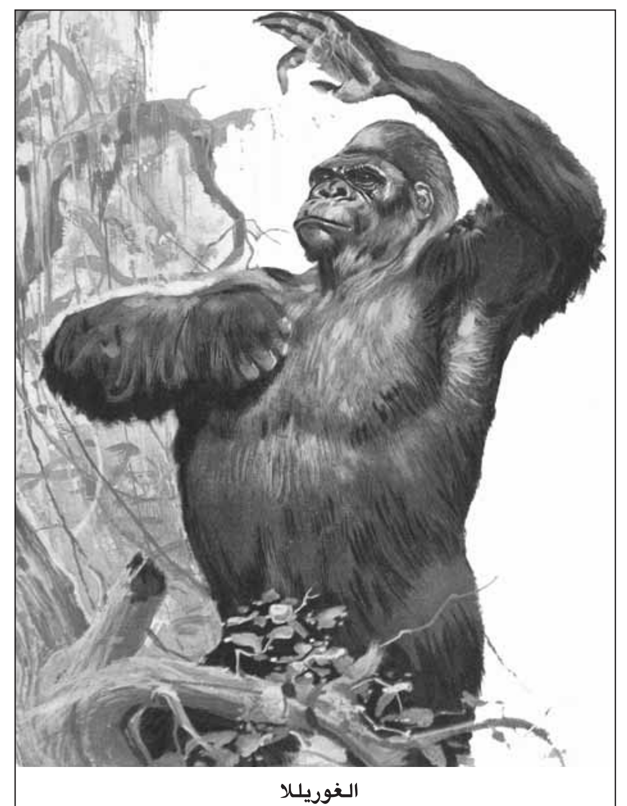
القرود الشبيهة بالإنسان:

الغوريلا هى أضخم القرود الشبيهة بالإنسان. وهناك قرود أصغر تشبه الإنسان ومنها القرد الشمبانزى. والقرد الشمبانزى موطنه إفريقيا وهو يتمتع بذكاء فطرى أقوى مما يتمتع به غيره من القرود. وهو من القرود غير المذنبة، أى لا ذيل له.

والحياة العائلية للقرود غير المذنبة تشبه الإنسان فى صفات كثيرة، فى طريقة الطعام، وفى طريقة العناية بالصغار، وطريقة تعاملها مع البيئة التى تعيش فيها. وتعيش معظم القرود غير المذنبة فوق الأشجار. وأطرافها طويلة، ومفاصلها مرنة. ويتصل بكل من الأيدى والأرجل خمس أصابع، واحدة منها إبهام مثل أصابع الإنسان، لتمكنها من الإمساك بالأغصان.



القرد
الشمبانزى

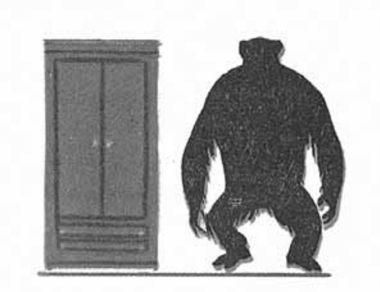


الغوريللا

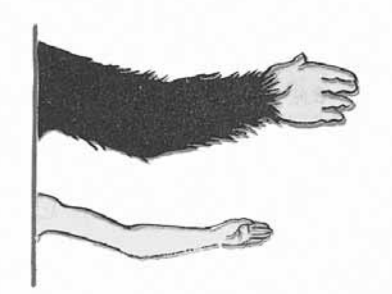
الغوريللا:

تشبه الإنسان إلا أنها أضخم منه حجمًا. وتعيش فى الغابات الكثيفة فى غرب إفريقيا، ويغطى جسدها فرو سميك وخاصة فى الغوريللا التى تقطن الغابات فى أعالى الجبال حيث تكون درجة الحرارة منخفضة جدًّا.

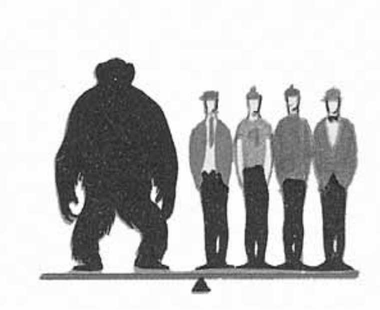
وتعيش الغوريللا فى حياة عائلية فى مجموعات يبلغ عدد أفرادها عشرين إلى ثلاثين فردًا. وتنام الغوريللا فى عش بين الأشجار. والغوريللا ليست متوحشة بطبيعتها. ولكن ذكر الغوريللا إذا غضب، يقف على أقدامه، ويضرب صدره بقبضته، محدثًا صوتًا يشبه قرع الطبول. ويكشف عن أسنانه مزمجرًا بصورة مرعبة، ولكنه نادرًا ما يسبب أذًى لأحد، مع أنه يستطيع أن يقتل إنسانًا بضربة واحدة من قبضته إلا أنه قلما يهاجم أحدًا.



الارتفاع: أكثر من إنسان طويل القامة، والجزء الأكبر من هذا للبدن، وليس للأرجل.



ذراع غوريللا ضخمة بالمقارنة بذراع إنسان مكتمل النمو.



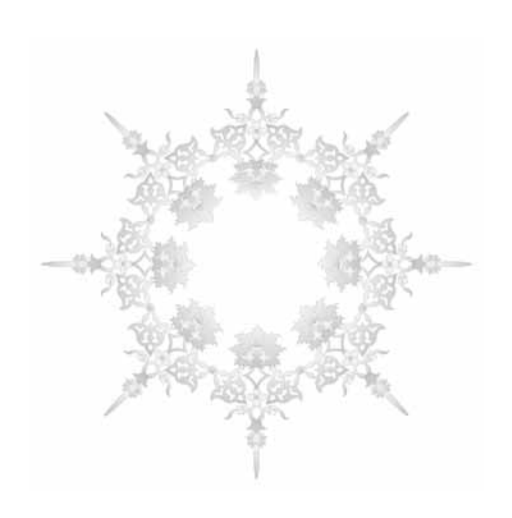
قد يصل وزن الغوريللا إلى ٧٠٠ رطل وهو ما يعادل وزن أربعة من الرجال مكتملى النمو.

أهمية دراسة القردة والغوريللا:

عاشت القردة والغوريللا قبل الإنسان على هذه الأرض بعشرات الملايين من السنين، وكثير من تلك الدواب تحولت أجسادها إلى أحافير حجرية.. ومن الطبيعى أن هناك شبهًا كبيرًا بينها وبين الإنسان، إلا أن الغوريللا أكبر حجمًا من الإنسان، بل إن الغوريللا إذا كانت صغيرة السن فإنها تشبه الإنسان فى الحجم أيضًا.

ونشأت مشكلة علمية بسبب هذا التشابه بينها وبين الإنسان. فلقد اعتقد بعض الباحثين خطأ أن أحافير تلك القردة والغوريللات هى أحافير لأناسى!! وهو اعتقاد مبنى على سبب ظنى وليس قطعيًّا، فإن جنس الأحفورة لا يمكن معرفته يقينًا. فمعرفة جنس أى مخلوق على وجه اليقين، لا تتم إلا بفحص الحامض النووى ولا يتسنى للباحث ذلك من دراسته للأحافير.

ونشأ عن الاعتقاد المخطئ بأن أحافير القردة والغوريللات هى لأناسى من أجداد قدامى لآدم عليه السلام.. وهكذا ضللت تلك الأحافير كثيرًا من علماء أصل الأنواع كما ضللت الكثير من الباحثين فى خلق آدم عليه السلام فقالوا إنه قبل آدم عليه السلام كان هناك أوادم كثيرون، وهذا خطأ؛ فآدم عليه السلام هو أول إنسان ظهر على هذه الأرض ولم يكن قبله إنسان.



٢ الـــــــــــــــــذئب

■ روى الإمام البخارى عن سليمان بن بلال المدينى، عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن، عن يزيد مولى المُنبعث، عن زيد بن خالد الجُهنى أن النبى ﷺ سأله رجل عن اللُّقَطةِ فقال: «**اعرف وِكاءها وعِفاصها، ثم عَرِّفها سنةً، ثم استمتع بها، فإذا جاء ربُّها فأدّها إليه**» (أى: فإذا جاء صاحبها فردها إليه). قال: فضالة الإبل؟ قال: «**ومالك ولها؟ معها سقاؤها وحذاؤها، ترد الماء وترعى الشجر، فذرها حتى يلقاها ربها**» (أى حتى يلقاها صاحبها)، قال: فضالة الغنم؟ قال: «**لك أو لأخيك أو للذئب**».

اللُّقطة: الشىء الذى تجده مُلقًى فتأخذه، ويحتاج الأمر إلى تعريفه.

سقاؤها: المراد أجوافها لأنها تشرب فتكتفى أيامًا.

حذاؤها: المراد خُفّها.

ضالة الغنم: لا يقع اسم الضالة إلا على الحيوان. أما اللُّقَطة فلا يقال إلا للأمتعة.

لك أو لأخيك أو للذئب: لك أن تأخذ ضالة الغنم بخلاف الإبل. فضالة الإبل فى غنى عن أى إنسان يحفظها من الذئاب، وتستطيع أن ترد الماء وتأكل الشجر، ولا يقربها ذئب من الذئاب. والغنم بخلاف ذلك، فهى إذا ضلت صارت عرضة للذئاب، وتحتاج إلى من يسقيها ويطعمها ويؤويها.

وعرّفها سنة: أى عرّف الناس بها فى الأسواق والمساجد، بالموضع الذى وجدت فيه.

معها سقاؤها وحذاؤها: أى إنها تقوى على ورود الماء ومعها خفها الذى يعينها على السير فى الصحراء.

حتى يلقاها ربها: أى حتى يلقاها صاحبها؛ لأن أى ناقة تضل فى الصحراء لا يمل صاحبها من البحث عنها.

وفى رواية أخرى:

سئل رسول **الله** ﷺ عن اللُّقَطة: الذهب أو الوَرِق. فقال ﷺ له: «**اعرف وكاءها وعفاصها ثم عرّفها سنة. فإن لم نُعْرف فاستنفقها** (أى أنفق منها على نفسك). **ولتكن وديعة عندك. فإن جاء طالبها يومًا من الدهر فأدِّها إليه**». وسأله عن ضالة الإبل قال: «**مالك ومالها؟ دعها فإن معها حذاءها وسقاءها: ترد الماء، وتأكل الشجر حتى يجدها ربها**» (أى صاحبها)، وسأله عن ضالة الشاة فقال: «**خذها فإنما هى لك ولأخيك أو للذئب**».

والمعنى: إن لم تأخذها وتحافظ عليها، فسيأكلها الذئب.

■ روى الأئمة البخارى وأحمد وأصحاب السنن، عن أبى اليمان، عن شعيب عن أبى الزناد، عن عبدالرحمن، عن أبى هريرة رضى **الله** عنه أن رسول **الله** ﷺ قال: «**كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت لصاحبتها إنما ذهب بابنك. وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك. فتحاكما إلى داود عليه السلام فقضى به للكبرى. فخرجتا إلى سليمان بن داود عليه السلام، فأخبرتاه، فقال ائتونى بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله هو ابنها، فقضى به للصغرى**».

وفى رواية مسكين بن بكير، عن شعيب أن سليمان عليه السلام قال: «**اقطعوه نصفين، لهذه نصف ولهذه نصف، فقالت الكبرى: نعم اقطعوه. فقالت الصغرى: لا تقطعوه هو لها، فقضى به للصغرى مع إقرارها بأنه لصاحبتها. وقال سليمان للكبرى: لو كان ابنك لم ترضَىْ أن يقطع**».

■ روى الإمام أحمد عن عمر بن إبراهيم، عن قتادة عن العلاء بن زياد، عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية والناحية، وإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة والعامة**».

شبه رسول الله ﷺ الشيطان ذئبًا يتحين الفرصة للانقضاض على الإنسان، كما يفعل الذئب بالغنم. وكما يسهل على الذئب افتراس الشاة التى ابتعدت عن القطيع وصارت وحيدة فكذلك الشيطان يجد الإنسان الذى ابتعد عن الجماعة المسلمة فريسة سهلة له.

■ روى الإمام أحمد عن أبى خيثمة، عن جرير، عن الأعمش، عن سلمة بن كهيل عن سويد بن غفلة قال: كنا حجاجًا فوجدت سمطًا فأخذته. فقال القوم: تأخذه!! فلعله لرجل مسلم. قال: فقلت: أوليس لى أخذه فأنتفع به خيرًا من أن يأكله الذئب؟ فلقيت أبىَّ بن كعب فذكرت ذلك له فقال: أحسنت... إلخ الرواية.

■ روى الإمام أحمد حدثنا عبد الله، عن أبىٍّ عن ابن نمير، عن حجاج عن وبرة، عن ابن عمر قال: أمر رسول الله ﷺ بقتل الفأرة والغراب والذئب. فقيل لابن عمر: والحية والعقرب؟ قال: قد كان يقال ذلك.

ـ نلاحظ أن رسول الله ﷺ أمر بقتل ما لا يأتى للإنسان منه إلا الضرر.

الذئب يشبه كلبًا كبيرًا، ويبلغ ارتفاعه نحو المتر عند الكتفين، وطوله أكثر من متر ونصف المتر. وفرو الذئب رمادى مشرب بصفرة خفيفة، وتكثر الذئاب فى شمال أوروبا وأسيا والهند والصين وشمال كندا وأمريكا الوسطى.

إلا أن الذئاب موجودة فى جميع أنحاء العالم. وللذئب رأس كبير، وله أنف مدبب وطويل، وله أذنان صغيرتان. وحدقة عينه مائلة مثل القطط والكلاب، وتتميز الرقبة والفكوك بقوتها، إذ يستطيع الذئب أن يرفع خروفًا ويحمله إلى مسافات طويلة، وتعدو الذئاب دون أن تشعر بالتعب، وتستطيع إذا جاعت أن تتغلب على غزال وتفترسه.

وإذا لم تجد الذئاب غذاء، تذهب للبحث عنه فى كل مكان، وينشط الذئب ليلاً، وينام نهارًا، ومن الصعب التعرف على عدد أفراد قطيع الذئاب؛ لأنها تسير فى صف طولى. وبذلك تخفى أقدام الذئاب آثار أقدام الذئاب التى سبقتها، والذئاب مكروهة من الإنسان، لذلك يحاول الإنسان قتل أى ذئب يقابله بواسطة الهراوات أو الحراب أو البنادق. وقد استخدمت سلالات خاصة من الكلاب لقتل الذئاب، يساعدها فى ذلك رجال مسلحون بالحراب والسهام والبنادق.



الذئب من الحيوانات المفترسة، يتغذى على الدواب التى فى حجم الخراف والماعز، ولذلك فالذئب من أعدى

أعداء رعاة الأغنام. ومن هنا كان حرص الرعاة على اقتناء كلاب حراسة قوية تدفع عنهم خطورة الذئب.

وفى شتاء سنة ١٨١٢ هاجم قطيع من الذئاب الجائعة، قوامه أكثر من ستمائة ذئب، فرقة من الجيش الفرنسى قوامها ثمانون جنديًا مسلحًا فى أثناء سيرهم فوق الجليد فى طريقهم إلى مخيمهم. وقامت معركة بين الجنود والذئاب، ونظرًا لكثرة عدد الذئاب واختلاطها بالجنود، لم يتمكن الجنود من إطلاق النار عليهم فحاربوا تلك الذئاب المتوحشة بكعوب بنادقهم وحرابها، واستطاعوا أن يقتلوا ذئابًا كثيرة، ورغمًا من شجاعة الجنود، واستماتتهم فى الدفاع عن أنفسهم، فقد تساقطوا واحدًا تلو الآخر، يعلو كل جندى ثلاثة أو أربعة ذئاب! وأسفرت المعركة عن قتل ثلاثمائة ذئب، ومصرع كل جنود الفرقة الثمانين.


ذئب الخشب

إن ذئب الخشب، ويعيش فى المناطق الشمالية لأمريكا الشمالية، هو نفس النوع المعروف فى أوروبا وشمال أسيا، ويصنف هذا أحيانًا كنوع منفصل. ويوجد بالمناطق الجنوبية للولايات المتحدة الأمريكية نوع آخر قائم بذاته، هو الذئب الأسود


الذئب الهندى

الذئب الهندى: ويعيش فى الهند جنوب جبال الهملايا، وهو صغير الحجم، ذو فروة بنية، والأطراف قاتمة اللون

وذكر الذئب فى القرآن والحديث النبوى.

وذكرنا ما جاء عنها فى الحديث النبوى. أما ما جاء عنها فى القرآن الكريم فهو قصة يوسف وإخوته فى آيات ثلاث: قال تعالى يحكى عما قاله النبى يعقوب لأولاده: ﴿**قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ**﴾ [يوسف: ١٣].

﴿**قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ**﴾ [يوسف: ١٤].

وقال تعالى يحكى عن إخوة يوسف بعد أن ألقوه فى غيابة الجب:

﴿**قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ**﴾ [يوسف: ٦٧].

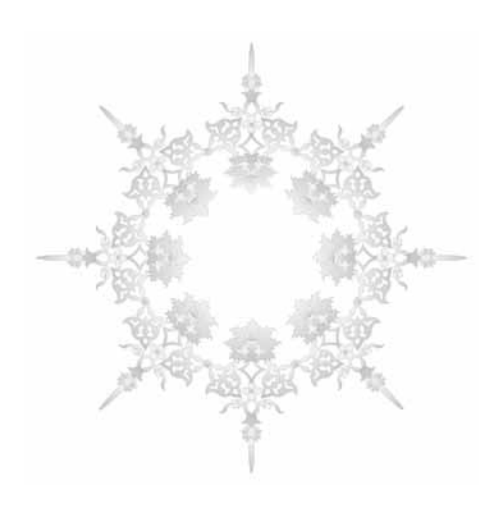
ولما أراد إخوة يوسف الكيد له قالوا لأبيهم:

﴿**قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ**﴾ [يوسف: ١١ ـ ١٤].

ذلك أن النبى يعقوب رأى فى المنام أن الذئب شد على يوسف، فلذلك خاف عليه. وقيل إنه رأى فى منامه كأنه على قمة جبل، ونظر أسفل الوادى فوجد يوسف، وإذا عشرة ذئاب قد احتوشته تريد أكله. وتأويل الرؤيا أن عشرة الذئاب هم إخوته العشرة الذين تآمروا يريدون القضاء عليه..

قال **الله** تعالى يحكى عن يوسف وإخوته: ﴿**وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾ [يوسف: ١٦ ـ ١٨].

ولما تأمل النبى يعقوب القميص لم يجد به خرقًا ولا أثرًا على افتراس الذئب له، فاستدل بذلك على كذبهم. وقال لهم: متى كان هذا الذئب حكيمًا يأكل يوسف ولا يخرق القميص!.. وقال **الله** تعالى يحكى عنه: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾، والصبر الجميل هو الصبر الذى لا شكوى معه.



٣ الثعابين

■ روى ابن ماجه عن عبد الله بن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب، عن سالم، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «**اقتلوا الحيّات، واقتلوا ذات الطُّفْيتين**[١] **والأبتر**[٢]. **فإنهما يلتمسان البصر**[٣]، **ويُسقطان الحَبَلَ**».

■ روى مسلم عن محمد بن المُثنّى، عن الثّقفى، عن يحيى بن سعيد، عن نافع أن أبا لُبابة الأنصارى، وكان فى مسكنه بقُباء، فانتقل إلى المدينة، فبينما عبد الله بن عمر جالسًا معه يفتح خَوْخَة له[٤]، إذ هم بحية من عوامر البيوت، فأراد قتلها. فقال أبو لُبابة: إن رسول الله ﷺ نهى عن قتل عوامر البيوت، وأمر بقتل الأبتر، وذى الطفيتين. وقيل: هما اللذان يلتمعان البصر، ويطرحان أولاد النساء.

وفى رواية أخرى عن أبى لبابة الأنصارى أن رسول الله ﷺ نهى عن قتل الجِنّان[٥] التى فى البيوت.

■ روى مسلم عن أبى معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى غار إذ خرجت علينا حيّة. فقال: «**اقتلوها**». فابتدرناها لنقتلها. فسبقتنا. فقال رسول الله ﷺ: «**وقاها الله شرّكم، كما وقاكم شرّها**».

وروى هذا الحديث الإمام أحمد بسند آخر.

■ روى ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة ومحمد بن بشار ومحمد بن المثنى عن قتادة، عن سعيد ابن المسيب، عن السيدة عائشة أن النبى ﷺ قال: «**خمسٌ فواسق يُقتلن فى الحلِّ والحَرَم: الحيّة والغراب الأبقع والفأرة والكلب العقور والحدأة**».

وفى رواية أبى سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «**يقتلُ المحرمُ الحيةَ والعقرب والسبع العادى والكلب العقور والفأرة الفويسقة**»؛ أى الفأرة الصغيرة لأنها قد تأخذ الفتيلة فتحرق البيت. وإن لم يكن ذلك فإنها تسبب أضرارًا أخرى فى البيت.

■ روى الإمام أحمد عن موسى بن داود وحسن بن موسى، عن ابن لهيعة، عن دراج عن موسى، عن عبد الله بن الحرث الزبيدى قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن فى النار حيات كأمثال أعناق البخت، تلسع إحداهن اللسعة، فيجد حموتها أربعين خريفًا. وإن فى النار عقارب كأمثال البغال الموكفة، تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين سنة**».

أعناق البخت: أى أعناق الإبل.

وحيات النار وعقاربها ليست مثل الحيات والعقارب التى نعهدها فى الدنيا، ولا تشترك معها إلا فى الاسم فقط. وإنما ذكر الحديث الشريف أن الله تعالى جعل من الحيات والعقارب فى النار أداة لعذاب الكفار فى النار.

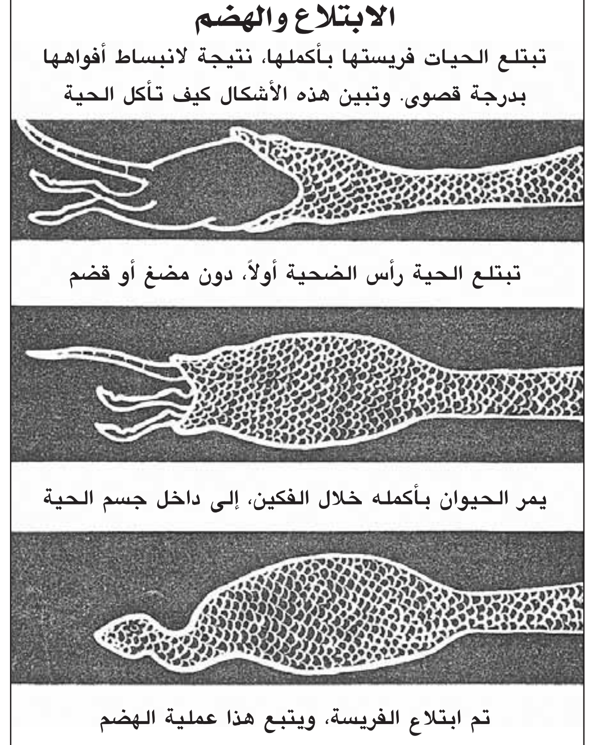
■ روى الإمام أحمد عن ابن لهيعة، عن عبد الله بن أبى جعفر، عن ابن أبى قتادة، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**من قعد على فراش مغيبة، قيض الله له يوم القيامة ثعبانًا**».

المغيبة هى المرأة التى غاب عنها زوجها.

---

(١) الطفيتان: الخيطان الأبيضان على ظهر الحية.
(٢) الأبتر: قصير الذنب.
(٣) يلتمسان البصر: أى يذهبان البصر بالسم.
(٤) خوخة: هى كوة بين دارين أو بيتين.
(٥) الجِنّان: الثعابين الصغيرة.

تعيش أغلب الثعابين على سطح الأرض.. ولكن منها أنواعًا تعيش على الأشجار.. وأنواعًا تعيش فى البحار.. والثعابين نحو ١٧٠٠ نوع منها ٤٠٠ نوع سام. وباقى الأنواع غير سام. وتختلف الأنواع شكلاً ولونًا وطباعًا وموطنًا وحجمًا. والثعابين البرية منها ما يعيش فى المراعى أو الحقول، ومنها ما يعيش فى الصحارى، ومنها ما يعيش فى الغابات، ومعظمها فى المناطق الحارة والمعتدلة، ونادرًا ما تعيش فى المناطق الباردة.



وبعض الثعابين صغير الحجم جدًّا عدة سنتيمترات، وبعضها الآخر ضخم جدًّا يزن نحو ٩٠ كيلوجرامًا وطوله عشرة أمتار مثل ثعبان البيثون ويقطن أسيا ويسمى أحيانًا «الحية الرقطاء»، وثعبان «الأناكوندا» ويقطن أمريكا الجنوبية وهو من الثعابين العاصرة التى تعصر فريستها حتى الموت.

والحية الضاغطة ليست كبيرة جدًّا، فهى تنمو غالبًا إلى أربعة أمتار ويعتبر هذا من الأحجام العادية.

ومن الثعابين ما ينفث سمه، كأنه يبصقه فى دفعة شديدة يصل إلى عشرة أمتار، تصيب الفريسة بالعمى وجاء ذكرها فى الحديث النبوى الشريف قال: «**فإنهما يلتمسان البصر**»، ويبتلع الثعبان فريسته ابتلاعًا، ويمكنه أن يبتلع فريسة تبلغ فى الحجم أكثر من عشرة أضعاف حجم رأسه!

ويتنفس الثعبان برئة واحدة بطول جسمه وتنتهى بقصبة هوائية صلبة فى الفم مما يسمح للثعبان بالتنفس أثناء عملية بلع فريسته، والثعبان حاد البصر إلا أنه أصم لا يسمع، ويستعمل لسانه فى الشم والتذوق واللمس وتحسس الأشياء التى حوله، فاللسان فى الثعبان يعمل عمل اللسان والأنف واليد فى الإنسان، وللثعابين نحو عشر حركات مختلفة فى الانتقال من مكان إلى مكان ويستعمل الثعبان الحراشف القوية اللينة التى تغطى جسمه فى تثبيت جسمه فى المكان الذى يمشى عليه.

١- معظم الثعابين يتحرك بواسطة شد جوانب الجسم من جهة إلى أخرى بحركة متموجة وإلى الأمام.

٢- أما الثعابين الضخمة مثل البوا، والبيثون، والأناكوندا، فتمشى على الأرض فى خط مستقيم.

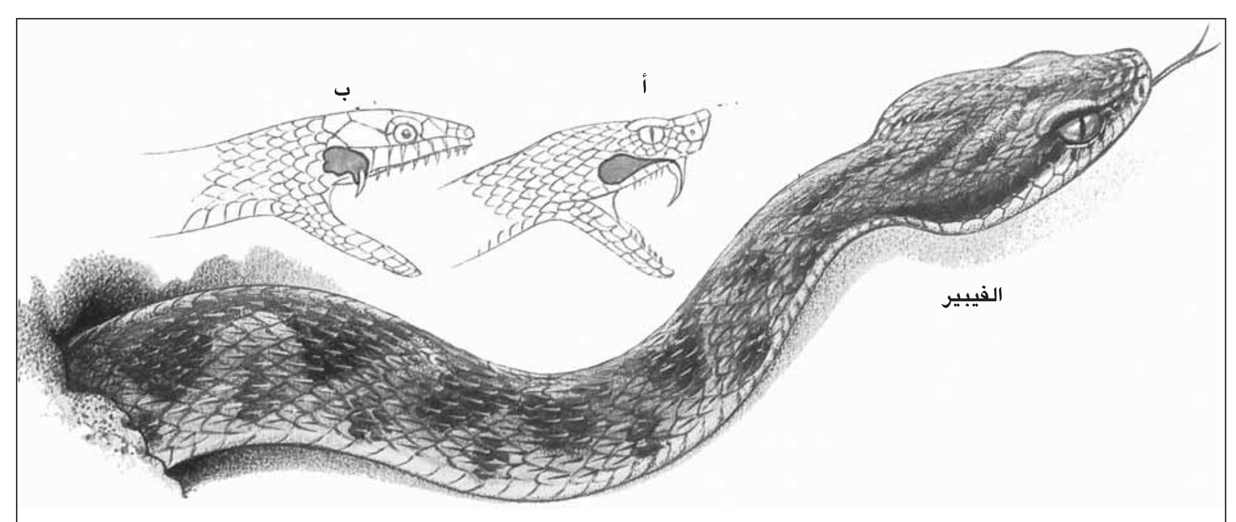
٣- أما الثعابين الصحراوية فهى تثنى جسمها على شكل حرف (S) وتستند إلى الرمال فى نقطتين من جسمها وتجرى فى اتجاه جانبى سريع.

٤- وبعض الثعابين يتسلق الأشجار وبعضها يسبح فى الماء والبعض الآخر يطير فى الهواء من شجرة إلى أخرى.

وما الفرق بين الأفعى والحية والثعبان؟

الأفعى أصغرُ حجمًا من الثعبان، والأفعى أنثى وذكرها يسمى الأُفْعُوان، والجمع أفاعٍ. أما الحية فهى ما صغر وما كبر من الأفاعى والثعابين.

وقال بعض اللغويين: الثعبان هو الحية الذكر وهو أعظمُ الحيات.



أ ـ أسنان السم عند حية الفيبير تتخللها أقنية داخلية. وهذه الأسنان تقع فى مقدمة الفم. ولسعة هذا النوع من الحيات خطيرة جدًا.

ب ـ الرسم: حية، أسنان السم تقع فى القسم الخلفى من الفم. والسم يجرى فى شقوق محفورة على صفحة الأسنان.

وتُذكرنا الأفاعى بأعجب ثعبان ظهر على هذه الأرض ثعبان لم يُخلقْ من أبوين من قبل، ولم يأكل ولم يشرب ولم يمت، وظهر ثلاث مرات واختفى تمامًا، إنه ثعبان عصا النبى موسى، لقد جعل **الله** تعالى عصا النبى موسى أداةً لكثير من معجزاته، وهى عصا من خشب يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه، وليس لها من استخدامٍ آخر، فإذا شَقَّت البحر، أو ضَرَبت الأرض فانفجرت منها العيون، وإذا أُلقيت فصارت ثعبانًا مبينًا، فلن يكون ذلك إلا معجزةً من **الله** تعالى خالصة **لله** عز وجل.

حَوَّل **الله** تعالى عصا النبى موسى إلى ثعبان مبين فى ثلاثة مواقف مختلفة:

أولاً: فى سيناء فى الوادى المقدس.

وثانيًا: أمام فرعون مصر.

وثالثًا: أمام سحرة فرعون والناس جميعًا.

فى الوادى المقدس يخبرنا **الله** تعالى عن ذلك فى سور طه والنمل والقصص، فى سورة طه يقول **الله** عز وجل: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى**﴾ [طه: ١٧ ـ ٢١] فهى عصا من خشب ليس لها من استعمال إلا أن يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه.

وفى سورة القصص: ﴿**وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلاَ تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ**﴾ [القصص: ٣١].

أما أمام فرعون فيخبرنا **الله** تعالى عنها فى سورتى الأعراف والشعراء.

ففى سورة الأعراف يقول **الله** عز وجل يحكى عن النبى موسى عليه السلام وفرعون: ﴿**قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (١٠٨) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ**﴾ [الأعراف: ١٠٦ ـ ١٠٩].

﴿**قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ**﴾.

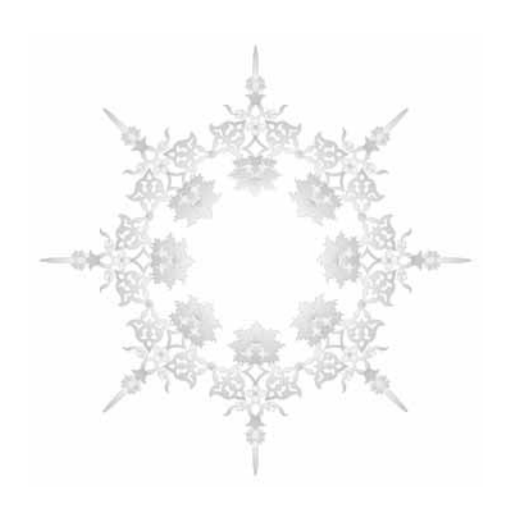
ما معنى ﴿**الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ**﴾؟

أى هم رؤساء القوم ووجوه القوم.. أى إن رؤساء الناس ووجوههم فى مجلس فرعون قالوا عن النبى موسى لما ألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين، قالوا: ﴿**إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ**﴾.

أما ما حدث من العصا وتحولها إلى ثعبان مبين أمام سحرة فرعون فيقص **الله** عز وجل عن ذلك: ﴿**فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ**﴾ [الشعراء: ٤٤ ـ ٤٨].

وبعد كلِّ هذه الأحداث أخذ موسى الثعبان بيده بأمر ربه فإذا هو عصاه وهى تلك العصا التى حَدَّثَ **الله** تعالى عنها فقال فى مستهل سورة طه: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى**﴾.

إنها عصا ليس لها من استخدام آخر، ولكن **الله** تعالى جعل فيها أداة لمعجزاتٍ أجراها على يد النبى موسى عليه السلام.



٤ الفيـــــــل

■ أخرج الأئمة البخارى وأبو داود وأحمد حديثًا عن الفيل.

عن عبد **الله** بن محمد، عن عبد الرزاق، عن مَعْمر ،عن الزُّهرى، عن عروة بن الزبير، عن المِسْوَر بن مَخْرمَة ومروان ـ يُصدّقُ كلُّ واحد منهما حديث صاحبه، قالا:

خرج رسول **الله** ﷺ زمن الحديبية، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبى ﷺ: «**إن خالد بن الوليد بالنميم فى خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين**». فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هُمْ بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيرًا لقريش. وسار النبى ﷺ حتى إذا كان بالثّنيّة التى يُهبَط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس: حَلْ حَلْ. فألحت. فقالوا خَلأت القَصْواء. فقال النبى ﷺ: «**ما خلأت القصواء. وما ذاك لها بخُلُق، ولكن حبسها حابسُ الفيل**»... إلخ الحديث الشريف، **أى حبسها الله عز وجل عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها.**

■ وأخرج الإمام البخارى والإمام مسلم عن أبى نُعيم الفَضْل بن دُكَيْن، عن شيبان، عن يحيى، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة أن خُزاعة قتلوا رجلاً من بنى لَيْث عام فتح مكة، فأُخبر بذلك النبى ﷺ فركب راحلته، فخطب فقال: «**إن الله حبس عن مكة القتل ـ أو الفيل**»... إلخ الحديث الشريف، (حبس) أى منع عن مكة، والمراد بحبس الفيل، أهل الفيل. وأشار بذلك إلى القصة المشهورة للحبشة فى غزوهم مكة ومعهم الفيل، فمنعها **الله** منهم، وسلط عليهم الطير الأبابيل، مع كون أهل مكة إذ ذاك كفارًا. ومعنى الحديث الشريف أن القتل للثأر محرم فى الإسلام.

■ أخرج الإمام مسلم عن زهير بن حرب، وعبيد **الله** بن سعيد، عن الوليد. قال زهير: حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعى، عن يحيى بن أبى كثير، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة قال: لما فتح **الله** عز وجل على رسول **الله** ﷺ مكة، قام فى الناس فحمد **الله** وأثنى عليه، ثم قال: «**إن الله حبس عن مكة الفيل**»... إلخ الحديث الشريف. أى إن مكة دار الأمن والسلام ولن تكون ميدانًا لحرب أبدًا..

■ روى الإمامان أحمد والترمذى عن يعقوب عن أبى، عن ابن إسحق قال: حدثنى المطلب بن عبد **الله** ابن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، عن أبيه، عن جده قيس بن مخرمة، قال: ولدت أنا ورسول **الله** ﷺ عام الفيل.

سميت سورة فى القرآن الكريم باسم (الفيل).

وسورة الفيل تشير إلى حادث ذائع الصيت فى الجزيرة العربية، حدث قبل البعثة بأربعين عامًا، ويدل على أن **الله** تعالى يحفظ البيت الحرام بمكة من كل اعتداء يتعرض له.

وتحكى سورة الفيل عن حاكم اليمن الحبشى أبرهة، الذى حرك جيشه إلى مكة ليهدم الكعبة، وكان يركب فيلاً ضخمًا، وانتصر على كل من أراد مقاومته، إلى أن وصل إلى أرض تِهامة قرب مكة واستولى على مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم كبير قريش. وحدث بعد ذلك أن أرسل أبرهة رسولاً إلى عبد المطلب يبلغه أنه لم يأت مكة ليقتل أهلها، وإنما جاء لهدم الكعبة. فإن أرادوا حربًا دخلنا معهم فى حرب، وإن أرادوا السلام فليأت لمقابلة أبرهة. فقال عبد المطلب: **والله** ما نريد أن ندخل معه فى حرب، وما لنا بذلك من طاقة. وهذا بيت **الله** وحرمه، فإن يمنعه منه فهو حرمه وبيته، وإن يُخلِّ بينه وبينه **فوالله** ما عندنا دَفْعٌ عنه.

وتوجه عبد المطلب إلى لقاء أبرهة. وكان عبد المطلب شيخًا وسيمًا ذا هيبة ووقار. فلما دخل على أبرهة أكبره، ونزل عن سريره وجلس معه على البساط إكرامًا له وتقديرًا، وكان المترجم حاضرًا يترجم قول أبرهة إلى عبد المطلب، وقول عبد المطلب إلى أبرهة. قال أبرهة: ما حاجتك أيها الشيخ؟! فقال عبد المطلب: جئت إليك أطلب رد إبلى، فقال أبرهة: لقد أكبرتك حين رأيتك، فلما كلمتنى فيما أردتَ، سقطت من عينى؛ إنى جئت لأهدم البيت الذى هو دينك ودين آبائك وأجدادك، فلم تكلمنى فى ذلك، وكلمتنى عن مائتى بعير أخذناها منك!! فقال عبد المطلب: إنى أنا رب الإبل، وأما البيت فله رب يمنعك عنه ويحميه. فقال أبرهة: ما كان ليمتنع عنى. فقال عبد المطلب: سنرى! وانطلق عبد المطلب يأخذ بحلقة باب الكعبة. وقام معه نفر من قريش يدعون **الله** ويستنصرونه على أبرهة وجنده.

وقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

لاهُـــــــــمّ[1] إن العبــــــــد يمنــــــع
رَحْــــلَـــــهُ فـــــامـــــنـــــع رِحَـــــالك

لا يـــغـــلـــبـــنّ صـــلـــيـــبـــهـــم
ومِحَـــــــالُهم[2] غـــــــدوا[3] محـــــالك

إن كـــنت تـــاركـــهـــم وقـــبـــلـــتـــنـــا
فـــــأمـــــر مــــــا بـــــدا لك

ورد أبرهة الإبل إلى عبد المطلب، وأبلغ عبد المطلب أهل مكة أن يفروا منها إلى شعاب الجبال! هنالك قام أبرهة وأعلن عزمه على دخول مكة وهدم الكعبة.

وركب الفيل.. وكان فيلاً ضخمًا سبب الرعب فى قلوب أهل مكة.. وتأهب الجيش للزحف وحدثت المعجزة: كانوا إذا وجهوا الفيل إلى مكة، برك. وإذا وجهوه إلى الشام قام مهرولاً، وإذا وجهوه لليمن قام مهرولاً، وإذا وجهوه لمكة برك!. وأعلن أبرهة أنه لن يبرح المكان حتى يدخل مكة ويهدم الكعبة!

وحدث وهم فى حيرتهم أمر عجيب كل العجب، فقد ظهرت فى سماء المكان طير غريبة، لم ير أهل مكة مثلها قط.. واختلفت الروايات فى وصفها.. وقيل كان مع كل طائر حجر صغير فى فمه، وحجران صغيران فى رجليه. وكان الحجر لا يزيد عن حبة الحمصة، وكان إذا سقط على رأس رجل من جيش أبرهة، تغيّر جسده كله وانتفخ، وتناثر لحمه، ونزفت دماؤه.. كل ذلك يحدث فى وقت قصير.. حتى هلك الجيش عن بكرة أبيه، ورجع أبرهة مدحورًا وقد حبس **الله** الفيل وأصحابه عن الدخول إلى مكة. وقتل الفيل وقتل أبرهة وهم فى طريقهم إلى اليمن.

وتحدث المفسرون عما حدث لجيش أبرهة، وعن الطير الأبابيل، والسبب فى تناثر لحمهم وتفتت أجسادهم حتى صارت كفتات أوراق الشجر، وعن تلك القوة التدميرية الهائلة التى سببت كل ذلك الهلاك[*].

---

(١)لاَهُمَّ: أى اللهم.

(٢) محالهم: قوتهم وبأسهم.

(٣) غدوًا: أى غدًا. ولا تستعمل كذلك إلا فى الشعر.

(*) المزيد من الشرح والتفصيل فى كتاب (فتح العليم فى تفسير القرآن الكريم مع بيان الإعجاز العلمى فيه) جزء عم. للمؤلف.

ولقد أشار الحديث النبوى إلى تلك الأحداث فى قوله ﷺ: «**إن الله حبس عن مكة الفيل**». فلم يستطع الفيل أن يدخل مكة.

مولد النبى ﷺ عام الفيل:

وعاد أهل مكة إلى بلدهم، وقد عمهم البشر والسرور.. وفى غمرة تلك السعادة التى غمرت قلوبهم أقبل البشير إلى عبد المطلب يزف إليه خبرًا سارًّا، ملأ الآفاق نورًا، لقد وضعت السيدة آمنة بنت وهب ـ زوجة ابنه ـ غلامًا.. هنالك أيقن أهل مكة أن هذا الغلام سيكون له شأن عظيم لمكة ومن حولها. فقام عبد المطلب وطاف حول الكعبة وهو يقول: محمود والله محمود.. سموه محمدًا.

وكان مولد النبى محمد ﷺ يوم الإثنين الثانى عشر من ربيع الأول ـ وكان حينئذ يوافق ٢٠ إبريل سنة ٥٧١ ميلادية ـ فى أجمل فصل من فصول العام.

وفى سورة الفيل يقول الله عز وجل: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ**﴾ [الفيل: ١ ـ ٥].

إن ما حدث لأصحاب الفيل ـ وهو جيش أبرهة بمن فيهم أبرهة نفسه ـ رآه أهل مكة وبعض أهل الجزيرة بأعينهم. ولم تسأل الآية عم رأى الناس، ولكنه سألهم عن كيفية ما حدث، قال: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ**﴾.

﴿**أَلَمْ تَرَ**﴾: أى ألم تعلم كيفية ما حدث لأصحاب الفيل؟ لأن السؤال عن الكيفية يوصل إلى الإيمان بالله.

ولماذا قال: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ**﴾، ولم يقل: ألم تر ما فعل ربك؟

ذلك لأن قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ**﴾ الآية خطابٌ من الله تعالى للنبى ﷺ. فلم يأت الخبر بأسلوب تقريرى، وإنما أتى بأسلوب استفهام يقرر حقيقة ما حدث، وكأن الله تعالى يقول لرسوله: أنا لك ولست لأهل مكة ممن عاصروا هجوم أبرهة وجيشه، وما حبست الفيل وأصحابه عن مكة، إلا تكريمًا لمولدك، وتعظيمًا لقدرك عندى.

ولماذا لم يقل: (ألم تر ما فعل ربك براكب الفيل) أو (بجيش الفيل)، وإنما قال: ﴿**بِأَصْحَابِ الْفِيلِ**﴾؟ لأن كلمة (أصحاب) لها دلالة مقصودة. فإن الصاحب يكون من جنس صاحبه، فقوله تعالى: ﴿**بِأَصْحَابِ الْفِيلِ**﴾: أى أولئك الذين أرادوا هدم الكعبة، كانوا من جنس الفيل فى الحيوانية، وعدم الإدراك. وليس هذا فحسب، بل إن الفيل أفضل منهم، فهو دابة يسبح لله تعالى ويسجد له بفطرة خلقه، أما أبرهة وجيشه فكانوا من أعداء الله.

ولماذا قرن الله بين أبرهة وجيشه وبين الفيل؟ ذلك لأنه لو حصلت مصاحبة بين مخلوقين، فالذى هو أقل شأنًا يكون مصاحبًا لمن هو أعلى منه شأنًا. فإذا قال رجل عمن حوله: هؤلاء صحابتى، لدل كلامه على أنه أعلى منهم شأنًا.

إذن فقوله تعالى عن أبرهة وأعوانه: (إنهم أصحاب الفيل)، قولٌ يدل على أنهم أقل من الفيل قدرًا عند ربهم، كما قال تعالى عن الكفار: ﴿**أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٧٩]، فالفيل أفضل منهم فى أمرين:

الأول: الفيل كدابة من الدواب، عابد ساجد مسبح لله تعالى، وهم لا يعبدون ولا يسبحون ولا يسجدون لله عز وجل.

الثانى: أنهم عندما وجهوه إلى الكعبة برك، ولم يطعهم فى معصية ربه تعالى، فالذى حبسه عن مكة كان إيمانه الفطرى المطلق بربه عز وجل، تمامًا كما أخبرنا رسول الله ﷺ فى الحديث الشريف عن ناقته (القصواء): الذى حبسها عن التقدم إلى مكة ما حبس الفيل فى جيش أبرهة. والناقة والفيل دواب عابدة طائعة ساجدة لله عز وجل.

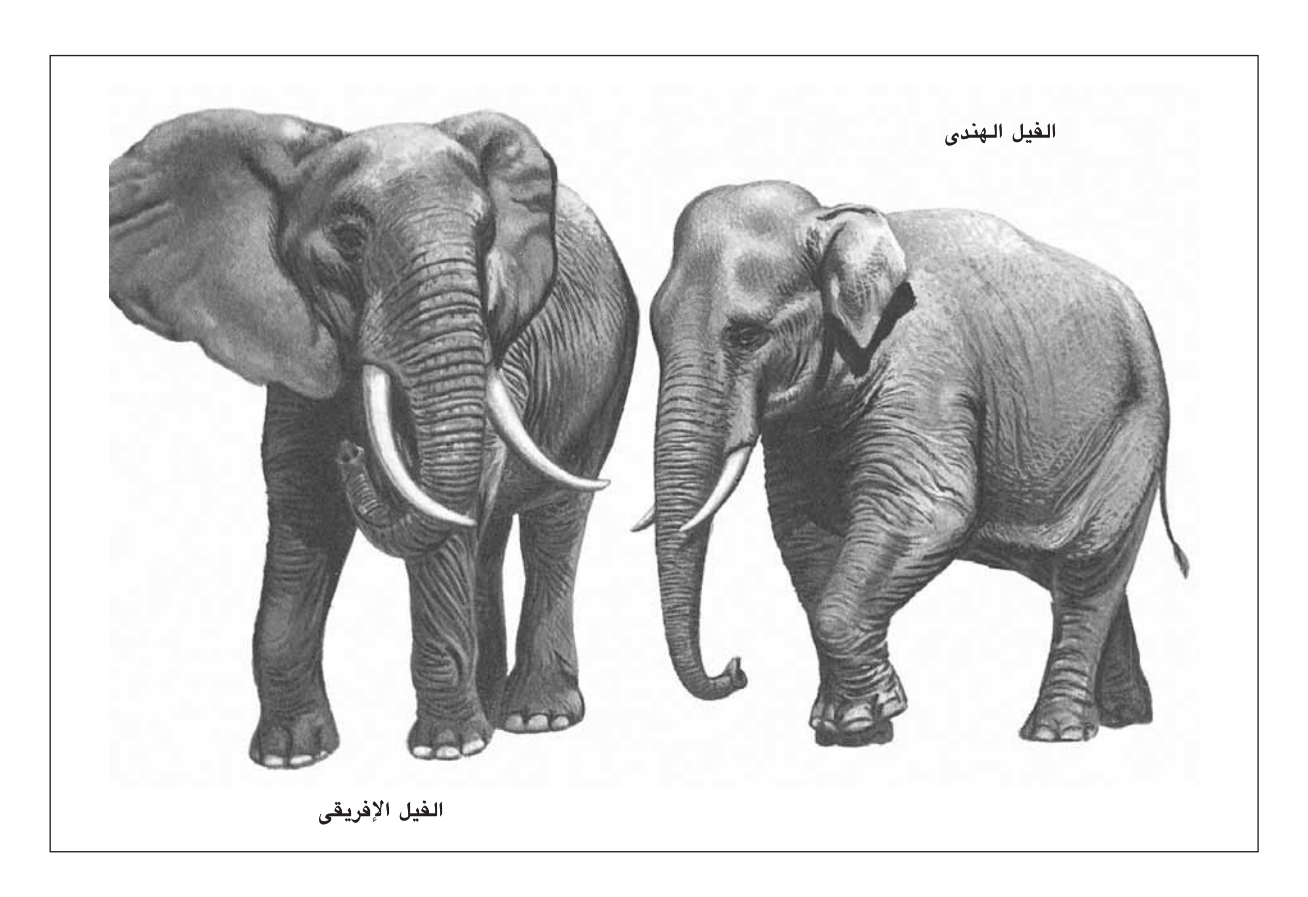
الفيل أضخم الدواب التى تسير على الأرض:

ولا يوجد من هو أكبر منه حجمًا ووزنًا إلا الحوت فى البحار.

وكل ما فى الفيل عجيب: شكله، ضخامته، ثقل وزنه، وأكثر شىء فيه عجبًا هو الخرطوم؛ إنه يتكون من الأنف والشفة العليا مجتمعين، وهو عضو لاقط، يعمل عمل الذراع القوية، تحركه آلاف العضلات.

وتوجد فصيلتان من الفيلة: الفيل الإفريقى، والفيل الأسيوى.

الفيل الإفريقى: هو الأكبر حجمًا، ويصل ارتفاع ظهره عن الأرض إلى أربعة أمتار، ويصل وزنه إلى سبعة أطنان. وأذناه مستديرتان وكبيرتان جدًا. وخرطومه به زائدتان صغيرتان تعملان عمل أصابع اليد. والأنثى والذكر لهما نابان، إلا أن نابى الذكر أطول.

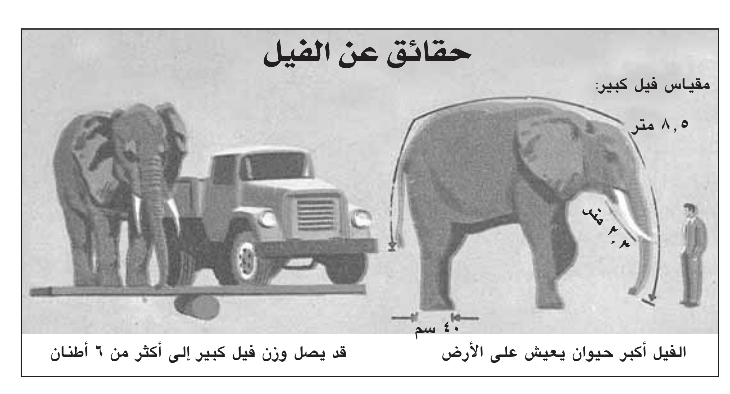


الفيل الأسيوى: ارتفاعه ثلاثة أمتار، ولا يزيد وزنه على خمسة أطنان. وأذناه صغيرتان، وليس فى خرطومه إلا زائدة واحدة بشكل إصبع. والأنثى غالبًا تكون بلا أنياب.

وعندما يولد الفيل يزن نحو مائة كيلوجرام!.. ومدة حمل الأنثى واحد وعشرون شهرًا، وترضع الأنثى وليدها ويسمى (الدغفل). ويظل يرضع من أمه لمدة سنتين، والفيلة حيوانات قليلة التناسل (فتلد الأنثى كل ٣ ـ ٤ سنوات).

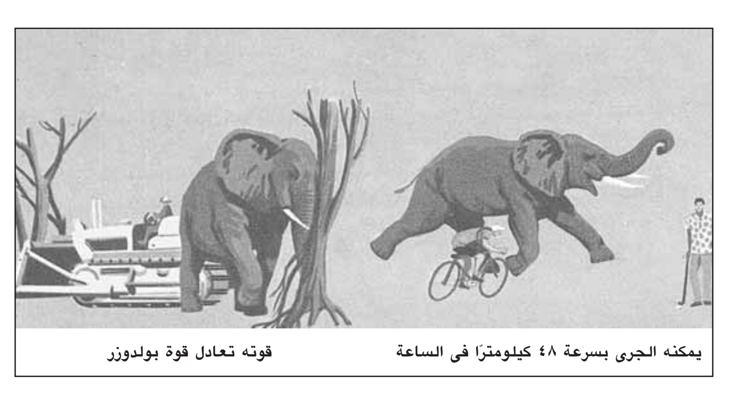
ويعيش الفيل من ٥٠ ـ ٧٠ عامًا، ويعيش الفيل فى قطعان، كل منها يتألف من ١٥ ـ ٣٠ فيلاً وهى إناث بالغة مع صغارها، ولا يوجد فى القطيع إلا ذكر واحد أما بقية الذكور فتعيش وحيدة وفى جماعات قليلة العدد. ولا تلتحق بالقطيع الرئيسى إلا أثناء فترة التلقيح؛ لأن الاتصال الجنسى ليس بهدف المتعة كما فى الإنسان، ولكنه بهدف التناسل فقط، وكل الدواب كذلك.

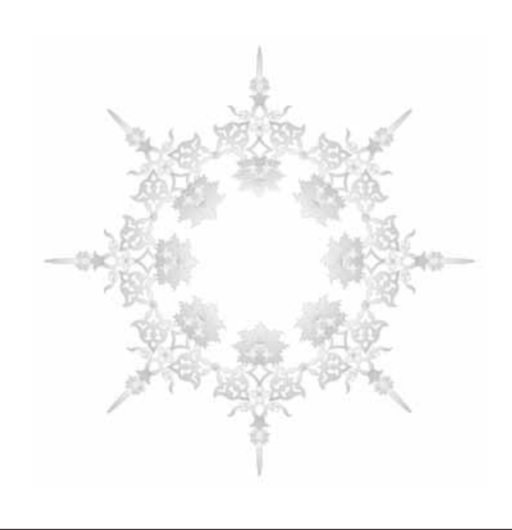
ويشتهر الفيل بنابيه العاجيين. ويبلغ الناب نحو ثلاثة أمتار، ويزن نحو مائة وخمسين كيلوجرامًا.



الفيل أكبر حيوان يعيش على الأرض — قد يصل وزن فيل كبير إلى أكثر من ٦ أطنان


يحتاج إلى ٢٠٠ رطل من الخضروات يوميًّا — يعيش الفيل من ٦٠ إلى ٧٠ عامًا


يمكنه الجرى بسرعة ٤٨ كيلومترًا فى الساعة — قوته تعادل قوة بولدوزر





دواب البحر والبرمائيات

١ ـ الحوت.

٢ ـ الضفادع.

صفحة ١١٠ بيضاء



الباب السادس دواب البحر والبرمائيات

١ الحـــــــــــــوت

■ روى البخارى ومالك عن هشام، عن وهب بن كيسان، عن جابر بن عبد **الله** رضى **الله** عنه قال: خرجنا ونحن ثلاثمائة نحمل زادنا على رقابنا فنفد زادنا، حتى كان الرجل منا يأكل كل يوم تمرة، حتى أتينا البحر، فإذا حوت قد قذفه البحر، فأكلنا منه ثمانية عشر يومًا ما أحببنا.

■ روى البخارى عن مسدّد، عن يحيى، عن ابن جريج قال أخبرنى عمرو أنه سمع جابرًا رضى **الله** عنه يقول: غزونا جيش الخبط، وأُمِّر أبو عبيدة. فجعنا جوعًا شديدًا. فألقى البحر حوتًا ميتًا لم نر مثله من قبل، يقال له العنبر. فأكلنا منه نصف شهر قال أبو عبيدة: كلوا. فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبى محمد ﷺ فقال: «**كلوا رزقًا أخرجه الله. أطعمونا إن كان معكم. فأتاه بعضهم بعضو فأكله**».

ـ قوله ﷺ: «**أطعمونا إن كان معكم**» فأتاه بعضهم بشىء منه فأكله. ثبت بذلك الدليل على أن أكل ميتة البحر حلال.

■ روى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عبد **الله** بن عمر أن رسول **الله** ﷺ قال: «**أحلت لكم ميتتان ودمان: أما الميتتان فالحوت والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال**».

وفى رواية أخرى بنفس الإسناد: «**أحلت لكم ميتتان: الحوت والجراد**».

■ روى الإمام مسلم عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير عن أبى بن كعب قال: سمعت رسول **الله** ﷺ يقول: «**قام موسى عليه السلام خطيبًا فى بنى إسرائيل. فسئل: أى الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم** (وفى رواية: **ما أعلم فى الأرض رجلاً خيرًا أو أعلم منى**). **قال: فعتب الله عليه إذ لم يَرُدَّ العلم إليه. فأوحى الله إليه: أن عبدًا من عبادى بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى: أى ربِّ.. كيف لى به؟ فقيل له: احمل حوتًا فى مكتل**[١]**. فحيث تفقد الحوت فهو ثمَّ**[٢]**.. فانطلق معه فتاه**[٣] **يوشع بن نون، فحمل موسى عليه السلام حوتًا فى مكتل. وانطلق هو وفتاه يمشيان حتى أتيا الصخرة فرقد موسى عليه السلام وفتاه، فاضطرب الحوت فى المكتل، حتى خرج منه، فسقط فى البحر. فكان للحوت سربًا، وكان لموسى وفتاه عجبًا فانطلقا بقية يومهما وليلتهما ونسى صاحب موسى أن يخبره. فلما أصبح موسى عليه السلام قال لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا**[٤]**. قال ولم ينصب حتى جاوز المكان الذى أُمر به. قال: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبًا؟ قال موسى: ذلك ما كنا نبغ**»... إلخ الحديث الشريف الذى يفسر ما جاء عن قصة موسى والخضر عليهما السلام فى سورة الكهف وجعل **الله** الحوت آية للنبى موسى عليه السلام.

---

(١) قفة أو زنبيل.

(٢) فهو ثم: أى هو هناك.

(٣) فتاه: أى صاحبه.

(٤) نصبًا: أى تعبًا.

■ روى الإمام أحمد عن إسماعيل بن عمر، عن يونس بن أبى إسحق الهمدانى عن إبراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه أن رسول **الله** ﷺ قال فى حديث له: «**دعوة ذى النون إذ هو فى بطن الحوت أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها مسلم ربه فى شىء قط إلا استجاب له**».

ذى النون: النبى يونس. النون: أى الحوت.

■ روى الإمام الترمذى عن محمد بن يحيى، عن محمد بن يوسف، عن يونس بن أبى إسحق، عن إبراهيم بن محمد بن سعد، عن أبيه، عن سعد قال: قال رسول **الله** ﷺ: «**دعوة ذى النون إذ دعا وهو فى بطن الحوت**: **لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين، فإنه لم يَدْعُ بها رجل مسلم فى شىء قطُّ إلا استجاب الله له**».

ـ وفى رواية أخرى عن سعد بن أبى وقاص قال: سمعت رسول **الله** ﷺ يقول: «**اسم الله الذى إذا دُعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى؛ دعوة يونس بن متى**»، قال سعد: قلت يا رسول **الله** أهى ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين؟ فقال ﷺ: «**هى ليونس خاصة، ولجماعة المسلمين عامة إذا دعوا بها. ألم تسمع قول الله عز وجل**: ﴿**فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨]؟».

■ روى الإمام أحمد عن محمد بن يزيد، عن عاصم بن رجاء بن حيوة، عن قيس بن كثير قال: قدم رجل من المدينة إلى أبى الدرداء وهو بدمشق فقال: ما أقدمك أى أخى؟ قال: حديث بلغنى أنك تحدث به عن رسول **الله** ﷺ قال: نعم. فإنى قد سمعت رسول **الله** ﷺ يقول: «**من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة. وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإنه ليستغفر للعالم من فى السماوات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء...**»... إلخ الحديث الشريف.

■ روى الإمام مالك فى الموطأ عن زيد بن أسلم، عن سعد الجارى مولى عمر بن الخطاب أنه قال: سألت عبد **الله** بن عمر عن الحيتان يقتل بعضها بعضًا، أو تموت صَرَدًا، فقال: ليس بها بأس. قال سعد: ثم سألت عن عبد **الله** بن عمرو بن العاص، فقال مثل ذلك.

ـ تموت صَرَدًا؛ أى تموت موتًا كاملاً فى البحر، والصرد: أى الخالص ويقال: أحبك حبًّا صَرِدًا؛ أى خالصًا.

■ وروى الأئمة مالك وأحمد وأصحاب السنن عن نافع أن عبد الرحمن بن أبى هريرة سأل عبد **الله** بن عمر عما لفظ البحر فقرأ قوله تعالى: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ**﴾ [المائدة: ٩٦].

فقال: لا بأس بأكله.

وفى حديث صحيح لرسول **الله** ﷺ عن البحر: «**هو الطهور ماؤه، الحلُّ ميته**».

فى البحار أحياء بحرية كثيرة جدًّا أكثر من ٤٠٠,٠٠٠ نوع، منها ما هو صغير الحجم لا يرى إلا بالمجهر، ومنها ما هو أكبر الأحياء فى الأرض وهو الحوت..

الحوت الأزرق هو أكبر الحيوانات على ظهر الأرض حتى يومنا هذا يبلغ طوله نحو ٣٣ مترًا، ويصل وزنه إلى ما يزيد على ١٢٠ طنًّا.



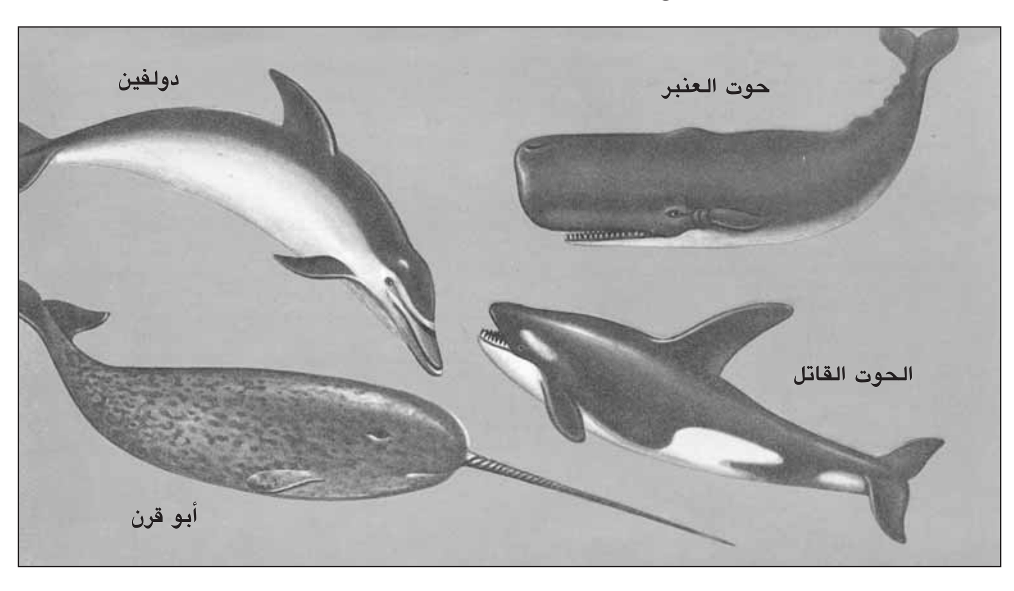


عرض الذيل: ٧ أمتار. وزن العضلات: ٥٠ طنًّا.
طول الزعنفة: ٥ أمتار. وزن العظم: ٢٠ طنًّا.
وزن الدهن: ٢٥ طنًّا. وزن اللسان: ٢,٥ طن.
وزن الكبد: ٥٠٠ كجم.

والحيتان ليست أسماكًا ولكنها من الثدييات ذات الدم الحار.. أى أنَّ الحوت يحتفظ بدرجة حرارته ثابتة مهما تغيرت درجة حرارة الماء فى البحر.

فالحوت ذو دم حار ولو كان فى المحيطات المتجمدة.. أما الأسماك فذات دم بارد تتغير درجة حرارتها مع تغير درجة حرارة ماء البحار.. والحيتان تتنفس الهواء بالرئات وتلد حيتانًا صغيرة وترضعها لبنًا.. ولبن أنثى الحوت يشبه لبن البقر.. والحوت الوليد طوله نحو سبعة أمتار ووزنه أكثر من خمسة أطنان ويرضع من أمه أكثر من ستة شهور.

ولابد أن يتنفس الحوت؛ لذلك نجده يخرج إلى سطح البحر ويفتح أنفه الذى كان مغلقًا تحت سطح الماء كل عشرين دقيقة تقريبًا، ويخرج هواء الزفير الدافئ بسبب بقائه فى الرئتين لمدة طويلة.. يخرج فى الجو البارد من فتحات أنفه التى توجد فى قمة رأسه فيظهر كعمود من البخار يرتفع عدة أمتار.. ويظن بعض الناس أن الحوت يخرج نافورة ماء، ولكنه فى الحقيقة هواء الزفير.



والأنف يصل مباشرة بالرئتين، ولا يوجد اتصال بينه وبين الفم؛ لذلك يستطيع الحوت أن يبتلع طعامه وهو تحت سطح الماء، دون أن يصل الهواء إلى الرئتين.. ولكنه لا يستطيع أن يتنفس من خلال الفم.

وهناك نوعان رئيسيان من الحيتان:

الحيتان غير المسننة: مثل الحوت الأحدب، والحوت ذى الزعنفة الظهرية، والحوت الأشهب.

والحيتان المسننة: مثل حوت العنبر والحوت ذى المنقار وحوت العنبر، وهو من أكبر الحيتان؛ له نحو ثلاثين سنًّا كبيرة.

والحوت أكبر الثدييات فى الأرض.. ولكن لماذا تكبر أجسامها إلى هذا الحد؟ وكيف تتحمل هى ذلك؟

نقول: لأن الماء يحمل أجسامها.. ولو كانت حيوانًا بريًّا ما استطاعت أقدامه أن تحمله، ووزنه أكثر من مائة طن!



زعانف الحوت

زعانف الحوت هى فى الواقع الأطراف الأمامية، وهى آثار للأيام التى كان يعيش الحوت فيها كحيوان أرضى. وعلى الرغم من أن الزعانف تبدو وكأنها زعانف سمكة، فإن عظامها الداخلية مرتبة بنفس طريقة تركيب ذراع إنسان، أى بها لوح كتفى، وكتف، وذراع أمامية، وحتى خمس أصابع.

كيف يسبح الحوت فى البحر؟

ويؤكل لحم الحوت.. ويتخذ طعامًا للإنسان وحدث ذلك من قديم، ولا يزال حتى اليوم، وخاصة فى اليابان، فيصنعون من لحم الحوت أنواعًا كثيرة من الطعام..

وجاء فى الأثر أن جابرًا رضى الله عنه قال: (ألقى البحر حوتًا ومات، ولم نر مثله، يقال له العنبر، فأكلنا نصف شهر منه).

ولما أخبروا الرسول ﷺ بذلك، وافقهم على أكله وقال: «**كلوه رزقًا أخرجه الله لكم**».



الذيل

الزعانف الذيلية أفقية، وليست رأسية كما فى الأسماك، ويتحرك الذيل فى الماء إلى أعلى وإلى أسفل. كما يتحرك الحوت بتموجات رأسية للجسم (حركات علوية وسفلية)، بينما حركة السمكة تكون من جانب إلى آخر.

وأول من قام بصناعة صيد الحيتان هم الإسبان الذين يعيشون على ساحل خليج بسكاى. وكانوا يحصلون منه على الزيت الذى كانوا يوقدون به مصابيحهم.

وفى بداية القرن الثامن عشر ابتدأ الناس فى أمريكا يصطادون سمك العنبر.. ويبلغ طول حوت العنبر نحو ثمانية عشر مترًا. وتكسو جسده طبقة سميكة من الدهن تعطى زيتًا كثيرًا. وفى رأسه مخزن للزيت النقى يملأ عدة براميل، والعنبر إذا مات فى البحر لا يغرق.

وصناعة صيد الحوت من الصناعات الهامة، وصار لحم الحوت من الأغذية الأساسية لدى كثير من الشعوب.

ولقد كان الحوت مصدرًا للغذاء للناس من قديم؛ نفهم ذلك من سورة **الأعراف** فى قصة بنى إسرائيل وصيدهم للحيتان.. وفى سورة **الكهف** فى قصة النبى موسى والحوت.

جاء ذكر صيد الحوت فى قصة بنى إسرائيل فى قول **الله** عز وجل: ﴿**وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾ [الأعراف: ١٦٣].

أى اسأل بنى إسرائيل عن تلك الواقعة فهم يعرفونها.. فقد كان بنو إسرائيل فى عهد النبى داود فى مدينة تطل على البحر، يصيدون الحيتان يأخذون منها الزيت، ويتخذون من لحمها طعامًا لهم، وتجارة ومالاً. وطلبوا أن يجعل **الله** لهم عيدًا كل أسبوع فجعل السبت لهم عيدًا. ونهوا عن الصيد فيه. وأراد **الله** تعالى أن يختبر درجة التقوى فيهم، و**الله** تعالى أعلم بهم، وإنما أراد أن يقيم الحجة عليهم من أنفسهم. فأوحى **الله** إلى الحيتان أن تمتنع عن الظهور طول الأسبوع وتظهر يوم السبت، وهو اليوم الذى نهوا أن يصطادوا الحيتان فيه.

وطغى طمعهم فى الربح والتجارة على درجة التقوى فيهم، فقال قائل منهم: (إنما نهاكم **الله** عن صيد الحيتان يوم السبت فاتخذوا الحياض، فأحضروها فيها مساء الجمعة، ثم اصطادوها يوم الأحد).

فكان بنو إسرائيل يسوقون الحيتان إلى حياض أقاموها بجانب البحر مساء الجمعة، فتبقى فيها وتُحبس، فيصطادونها يوم الأحد!

كما قال تعالى عن ذلك: ﴿**وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾ وهكذا احتال بنو إسرائيل على أمر **الله**، وآثروا صيد الحيتان على طاعة **الله**.

صيد الحيتان فى العصر الحاضر:

قام الإنسان بصيد الحيتان الصغيرة، لاتخاذها مصدرًا للحم والعظم والزيت، منذ عصور ما قبل التاريخ. ومنذ العصور الوسطى (ابتداءً من القرن السابع عشر) بدأ صيد الحيتان كاستغلال تجارى واسع النطاق.. وظل صيد الحيتان حتى أوائل القرن العشرين يتم بواسطة استخدام قوارب تجديف مكشوفة، ويمسك بالحوت بواسطة الحربون (أى قاذف الحراب) وكان يُقذف باليد، ثم يُقتل الحوت بعد ذلك بحراب أخرى. ونجحوا بهذه الطريقة فى صيد حيتان أكبر حجمًا.

ومن الحيتان الهامة لدى الصيادين، حيتان العنبر Sperm Whale، ويأخذون منها زيت الحوت، وكان يستعمل لإضاءة المصابيح قبل اكتشاف الزيت المعدنى فى القرن التاسع عشر، وكانوا يأخذون منها العظام التى كانوا يستخدمونها فى صناعات كثيرة. وفى بداية القرن العشرين وجدوا أن تلك الحيتان الصغيرة والمتوسطة الحجم على وشك الانقراض، فاتجهوا بأنظارهم إلى المحيط المتجمد الجنوبى حيث تعيش حيتان أعظم حجمًا وبأعداد كبيرة ومنها: الحوت الأزرق، والحوت ذو الزعنفة، والحوت الأحدب..

ولما كانت القوارب المكشوفة لا تصلح لصيد تلك الحيتان الكبيرة، فقد بنوا سفنًا أكبر حجمًا وبذلك بدأ عصر صناعة صيد الحيتان الحديثة.

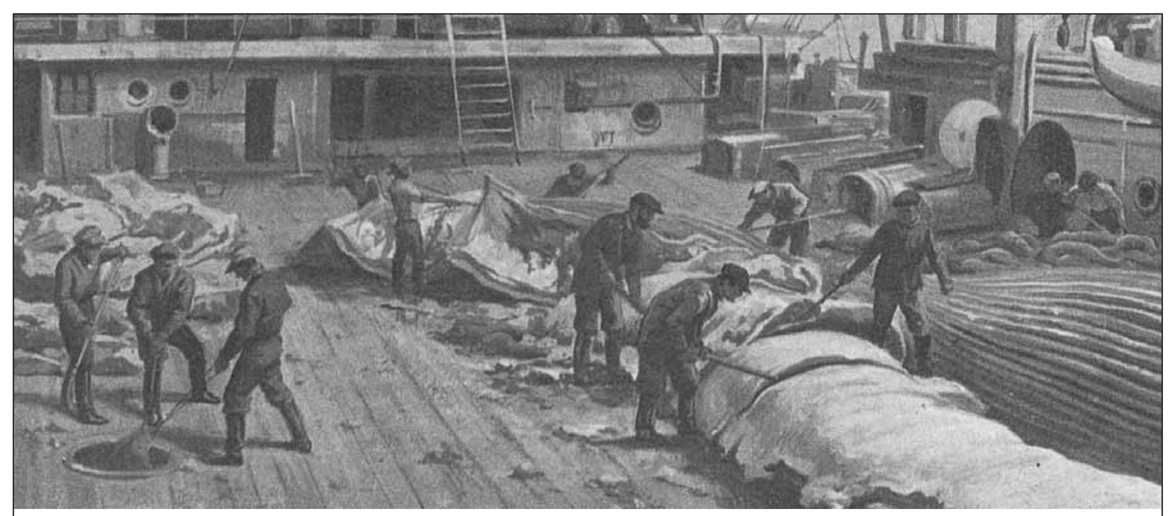
وطوروا صناعة آلة إطلاق الحراب (الحربون) فجعلوها مدفعًا يطلق الحراب من فوق سطح السفينة إلى مسافة كبيرة، وأضافوا كمية صغيرة من المتفجرات فى رأس تلك الحراب، وسهل ذلك اصطياد الحيتان الكبيرة.

وفى عام ١٩٠٤ اتجه أول أسطول لسفن صيد الحيتان إلى المحيط المتجمد الجنوبى، كما اتجهت أساطيل مماثلة إلى المحيط المتجمد الشمالى.. وكان الأسطول يتألف من عدد كبير من سفن الصيد وسفينة كبيرة لتقطيع جسم الحوت واستخراج دهنه وزيته وعظامه.

وكانت سفن الصيد تخرج إلى البحر خلال فصل الصيف، حين يزداد عدد الحيتان فى تلك المناطق من البحار.



يتألف أسطول صيد الحيتان من سفينة التصنيع وسفن الصيد



على سطح سفينة المصنع، يجرى سلخ الحيتان ونزع دهنها الذى يلقى به فى الأوعية الهاضمة، وإلى يسار الشكل تبدو كيفية سحب الحوت إلى ظهر السفينة

وبعد الصيد يجرى رفع الحوت إلى سطح السفينة التى فيها مصانع التصنيع ويجرى سلخ الحوت، ونزع دهنه، واستخراج زيته وتقطيع لحمه والحصول على عظامه، وفى خلال المدة من عام ١٩٠٤ إلى عام ١٩٣٩ تم قتل أكثر من ٦٥٠,٠٠٠ حوت ووجد الصيادون أن عدد الحيتان بدأ يتناقص بشكل ينذر بالقضاء على وجودها. فتم عمل إشراف دولى لصيد الحيتان، وتحديد مقادير الصيد سنويًا (١٥,٠٠٠ حوت أزرق كل سنة).

والحيتان تتكاثر بطريقة بطيئة وبأعداد قليلة؛ لأنها تحمل وتلد، فهى من الثدييات، وليست من الأسماك التى تتكاثر بالملايين.

يبلغ معدل الناتج من الحوت الأزرق ١٠٠ برميل من الزيت

والحوت الأزرق أكبر الحيتان حجمًا، وأوفرها ربحًا للصيادين. والحيتان المحدبة من الحيتان الضخمة أيضًا والأسهل فى صيدها. وتبين أن الإشراف الدولى على ترشيد صيد الحيتان لم ينجح.. وقل كثيرًا صيد الحيتان أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) إلا أن الصيادين نشطوا فى صيدها بعد الحرب. فقد تم عمل إحصائية لعدد الحيتان التى قتلت فى المدة ما بين ١٩٤٥ و١٩٦٠ فوجدوا أن نصف مليون حوت قتل فى تلك المدة!

وكلما قل عدد الحيتان قل العدد الذى يصطادونه منها؛ وذلك لأن العثور على حوت مطلوب للصيد صار أمرًا شاقًا، لذلك فإن صناعة صيد الحيتان لم تعد نشطة كسابق عهدها؛ لأنها لا تغطى تكاليفها بعد أن قل عدد الحيتان فى المحيطات.



نهاية مطاردة الصيد، إن المدفعى الماهر يحاول دائمًا أن يقترب إلى مدى ١٧ مترًا من مكان الحوت

ولقد ذكر الحوت فى القرآن العظيم فى معرض الحديث عن قصص الأنبياء فى خمسة مواضع وكلها فى سور مكية.. وهى بترتيب نزولها كالآتى:

أولاً: الأعراف.

ثانيًا: الصافات.

ثالثًا: الكهف.

رابعًا: الأنبياء.

خامسًا: القلم.

وقد يقال إن سورة القلم هى الرابعة بترتيب النزول فكيف نقول إنها نزلت بعد سورة الأنبياء.. وسورة الأنبياء ترتيبها فى النزول الثالثة والسبعون؟

الجواب: إن (القلم) من أوائل السور، إلا أن الآيات التى فى سورة القلم التى تتحدث عن الحوت فى قصة النبى يونس نزلت فى المدينة بعد ذلك، وهى الآيات ٤٨ وما بعدها من سورة القلم.

ولقد ذكرنا جانبًا من قصة بنى إسرائيل وصيد الحيتان فى عهد النبى داود عليه السلام. فى القرية التى كانت حاضرة البحر (ذكرناها من قبل).

أما ما جاء فى سور **الصافات** و**الأنبياء** و**القلم**؛ فكان عن قصة الحوت مع النبى يونس عليه السلام، وما جاء فى سورة الكهف كان عن قصة الحوت مع النبى موسى عليه السلام. لقد كان للحيتان مع الأمم السابقة قَصَصٌ وأحداث. وما زالت الحيتان تعيش فى محيطات العالم حتى عصرنا الحاضر. ولكن كثرة صيدها جعلتها توشك على الانقراض.

وجاء ذكر الحوت فى قول **الله** عز وجل: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا**﴾ [الكهف: ٦٠].

فتاه: أى تابعه، وكان يدعى يوشع بن نون.. **لا أبرح**: أى لن أتوقف عن السير.

وروى البخارى عن أبى بن كعب أن رسول **الله** ﷺ قال: «**إن موسى عليه السلام قام خطيبًا فى بنى إسرائيل فسئل أىُّ الناس أعلم؟ فقال: أنا. فعتب الله تعالى عليه إذ لم يرد العلم إلى الله. فأوحى الله إليه إن لى عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك، فقال موسى: يا رب فكيف لى به؟ قال: تأخذ معك حوتًا فتجعله فى مِكْتَلٍ** (أى وعاء كبير من سعف النخيل) **فحيثما فقدت الحوت فثم هو** (أى إن العبد **الصالح تجده هناك**)».

ونقرأ بعد ذلك فى سورة الكهف قول **الله** عز وجل: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا**﴾ [الكهف: ٦١].

مجمع بينهما: أى مجمع البحرين.. **والسرب**: هو المسلك.

فقال موسى عليه السلام لفتاه: أخبرنى حيث يفارقك الحوت.. فبينما هو فى ظل صخرة فى مجمع البحرين؛ إذ دخل الحوت البحر وانطلق فيه، والنبى موسى نائم.. فلم يوقظه فتاه يوشع.. وعندما استيقظ النبى موسى نسى يوشعُ أن يخبره، وانطلقا مهما وليلتهما، حتى إذا كان الغد، دارت مناقشةٌ بين موسى وفتاه جاء ذكرها فى القرآن العظيم فى سورة الكهف، **قول الله عز وجل**:

﴿**فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا**﴾ [الكهف: ٦٢، ٦٣].

فقد ظن يوشع أن الحوت قد مات لبعده عن الماء فترة من الوقت. فتعجب أن يظل الحوت حيًّا وقد خرج من ماء البحر، وانطلق فى البحر من جديد!

ونقرأ بعد ذلك قول **الله** عز وجل:

﴿**قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا**﴾ [الكهف: ٦٤، ٦٥].

وتبدأ بعد ذلك قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح يقصها علينا القرآن العظيم، والحديث النبوى الشريف:

لقد عاش الحوت فى البحار والمحيطات منذ مئات الملايين من السنين. وربما عاصر الديناصورات وكان من الزواحف البرمائية. ثم ترك اليابسة وتحولت أطرافه إلى زعانف.

وجاء ذكر الحوت فى قصة النبى يونس عليه السلام.

دعا النبى يونس قومه إلى دين **الله** فأبوا عليه.. وتمادوا فى كفرهم فضاق بهم ذرعًا. وخرج من قريتهم مغاضبًا لهم دون أن يستأذن ربه تعالى، وظن أن **الله** تعالى لن يضيق عليه، ولن يغضب منه.

وركب البحر فى سفينة. وهم فى عرض البحر أوشكت السفينة على الغرق لثقل حمولتها.. فاقترعوا على رجل من بينهم يلقونه فى البحر تخفيفًا لحمولة السفينة، فوقعت القرعة على النبى يونس. فقام وألقى بنفسه فى البحر فأوحى **الله** تعالى إلى حوت ضخم أن يلتقم يونس، وأن يبتلعه فى بطنه.

واستقر النبى يونس فى بطن الحوت، واتجه الحوت إلى قاع البحر.. هنالك ظن النبى يونس أنه مات. ولكنه حرَّك أطرافه فعلم أنه حى. فماذا يفعل وهو فى هذا الموقف الرهيب؟

لو أن أى إنسان فى هذا الموقف لأخذ منه الفزع كلَّ مأخذ ولحاول الهرب والنجاة، ولكن يونس كان نبيًّا، والأنبياء يعلمون من **الله** ما لا يعلم غيرهم من الناس..

ما إن علم النبى يونس عليه السلام أنه حى حتى سجد لربه وهو فى بطن الحوت.. واستغفر ربه، فقد فهم أن **الله** تعالى عاقبه بسجنه فى بطن الحوت؛ لأنه ترك قومه دون أن يستأذن ربه. ودعا يونس ربه وهو فى بطن الحوت وقال: (يا رب لقد اتخذت لك مسجدًا فى موضع لم يبلغه أحد من الناس لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين).

ولبث فى بطن الحوت زمنًا حتى عفا **الله** تعالى عنه. وأوحى **الله** تعالى إلى الحوت فألقاه على الشاطئ بالعراء وهو فى أشد حالات الضعف والمرض..

وفى ذلك يقول **الله** عز وجل: ﴿**وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ**﴾ [الصافات: ١٣٩ ـ ١٤٥].

وعن صاحب النون (أى الحوت) وهو النبى يونس يقول **الله** عز وجل: ﴿**وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

وعن سعد بن أبى وقاص قال: سمعت رسول **الله** ﷺ يقول: «**اسم الله الذى إذا دُعى به أجاب. وإذا سُئل به أَعْطى دعوةُ يونس بن متى**» قال قلت يا رسول **الله**: **أهى ليونس خاصةً أم لجماعة المسلمين؟** فقال ﷺ: «**هى ليونس خاصةً ولجماعة المسلمين عامة إذا دعوا بها. ألم تسمع قول الله عز وجل:** ﴿**فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾؟».

وكانت استجابة الدعوة على الفور؛ لذلك سُبق فعل الاستجابة بالحرف (فاء) الذى يدل على الترتيب مع التعقيب، وكان تحقيق الاستجابة بعد زمن؛ لذلك سُبق فعل النجاة بالحرف (واو) الذى يفيد الترتيب مع التراخى فى الزمن.



٢ الضــــــــفـــــــــادع

■ روى ابن ماجه عن محمد بن بشار، عن عبد الرحمن بن عبد الوهاب عن أبى عامر العَقَدى، عن إبراهيم بن الفضل، عن سعيد المَقْبُرى عن أبى هريرة قال: نهى رسول **الله** ﷺ عن قتل الصُّرَد والضفدع والنملة والهدهد.

ـ الصُّرَد: طائر ضخم الرأس، أبيض البطن يصطاد الحشرات والهوام.

■ روى الإمام أحمد عن يزيد بن أبى ذئب، عن سعيد بن خالد، عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن عثمان أن رسول **الله** ﷺ نهى عن قتل الضفدع.

■ روى البخارى فى باب (أحل لكم صيد البحر) قال الشعبى: لو أن أهلى أكلوا الضفادع لأطعمتهم. ولم ير الحسن بالسُّلَحفاة بأسًا.

للضفادع أنواع كثيرة وفصائل شتى. ويعرف منها نحو ٢٥٠٠ نوع وتوجد الضفادع عادة فى الماء الراكد، وعلى شواطئ الترع، وقنوات الماء، وفى المستنقعات.

ومن طبيعة الضفدع الوقوف بلا حراك على الشاطئ، حتى إذا شعرت بأى خطر يهددها، قفزت قفزة قوية ومفاجئة فى الماء. والضفادع مخلوقات صغيرة، ومفيدة للإنسان، فهى تفترس الحشرات الضارة بالصحة أو بالزراعة، ومن هذا نفهم لماذا نهى رسول **الله** ﷺ عن قتل الضفدع.

وينتمى الضفدع إلى طائفة البرمائيات: أى التى تعيش فى الماء والبر معًا.

وتؤكل الضفادع فى البلاد الغربية، ومنها هذا الضفدع العملاق الظاهر بالصورة والواقف على شاطئ المستنقع، ويحضرون منها طبق الضفادع الشهير فى المطاعم هناك ـ من الأرجل الخلفية للضفدع.



تعيش الضفادع فى ماء الخنادق، والقنوات، والمستنقعات، وتخرج غالبًا إلى البر لاقتناص الحشرات. وتبين هذه الصورة الضفدع الذى يؤكل.

بعض مميزات هذا الحيوان البرمائى(*)

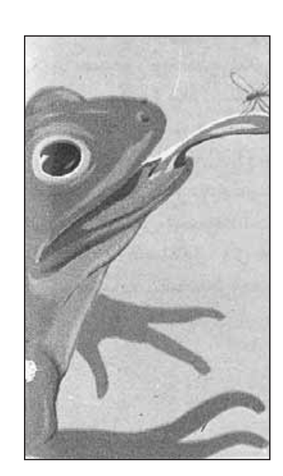


كيف يقفز؟

للضفدع أربع أرجل، الأمامية منها قصيرة وضعيفة، وتستخدم للوقوف عندما يكون الضفدع على البر، والأرجل الخلفية طويلة وعضلية، والأصابع متصلة بغشاء من الجلد. ويسبح الضفدع بكفاءة، بضرب رجليه الخلفيتين معًا، وهو لا يستخدم رجليه الأماميتين أثناء العوم. ويجلس القرفصاء عندما يكون على البر، وذلك بثنى رجليه الخلفيتين على شكل الحرف Z. أما إذا أراد الحركة، فإنه يفردهما فجأة، مما يجعله يقفز لمسافة ٩٠ أو ١٢٠ سنتيمترًا. ومثل هذه الحركة تخدم الضفدع فى العوم، وفى الخروج إلى البر.

كيف تقتنص فريستها؟

تتغذى الضفادع على الحشرات والكائنات الصغيرة الأخرى، وتتربص لها وهى راقدة بين الحشائش وأوراق الأشجار. وعند اقتراب حشرة منها، فإنها تخرج لسانها وتدخله بسرعة مذهلة، وتختفى الحشرة ببساطة داخل تجويف الفم. ولكى تكون هذه العملية سهلة، فإن تركيب لسان الضفدع جد غريب. فلسان الإنسان متصل من خلف الفم، وسائب من الأمام، ولكن لسان الضفدع متصل من الأمام، وسائب من الخلف فى تجويف الفم، وعلى ذلك يمكن للضفدع قلب لسانه، فيخرج طرفه خارج الفم. وهذا ما يصنعه تمامًا عند التغذية. وطرف اللسان مغطى بمادة لزجة تلتصق بها الحشرة عند لمسها، ولا تكون لديها أية فرصة للهرب.



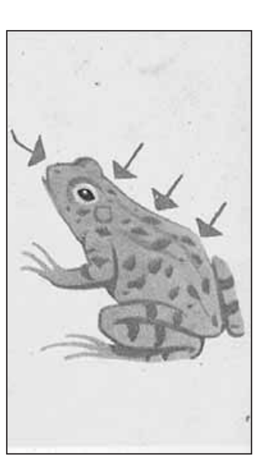


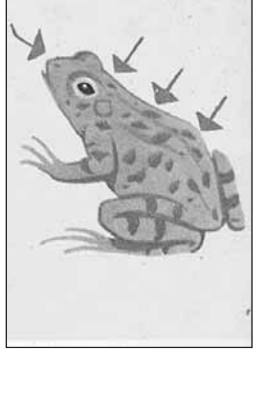
لماذا يعيش الضفدع فى الأماكن الرطبة؟

الضفدع يتنفس عن طريق جلده، ويحدث ذلك بعملية تسمى تبادل الغازات Gaseous Exchange التى تحدث فقط إذا كان الجلد رطبًا، وعند جفاف الجلد يموت الحيوان، نتيجة نقص الأوكسيجين. وتوجد بالجلد أيضًا غدد تفرز موادَّ مخاطية.

كيف تتنفس؟

يتنفس الضفدع عن طريق الجلد والرئتين. والجلد عار تمامًا، وخال من الشعر، أو الريش، أو القشور؛ مما يسهل امتصاص الأكسيجين (تنفس جلدى Cutaneous Breathing)، ويحصل الضفدع فى الواقع بهذه الطريقة على أكسيجين، أكثر مما تحصل عليه عن طريق التنفس الرئوى؛ أى بالرئتين. ولكى يدخل الضفدع الهواء فى رئتيه، عليه أن يبتلعه مثل الطعام، وذلك لعدم وجود صدر له، ولا يمكن لرئتيه الانقباض أو التمدد مثل المنفاخ، كما تفعل الثدييات، فهو يأخذ الهواء عن طريق فتحتى الأنف، ويدفعه إلى الرئتين بحركات نبضية خلف الفم وتجويف الفم. وهذه الحركات سريعة جدًا، وقد تصل فى بعض أنواع الضفادع إلى ١٤٠ ضربة فى الدقيقة.



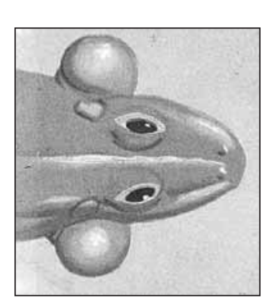


أين تذهب الضفادع فى الشتاء؟

تستطيع الضفادع تحمل الجو البارد، ولكنها تبقى نشطة فقط إذا كان الجو دافئًا إلى حد ما. وعند اقتراب الشتاء، يصبح الضفدع بطىء الحركة، ويحفر بسرعة فى التربة الرطبة أو الطين بجوار الشواطئ حفرًا تبقى فيها فى حالة غيبوبة، حتى يحل ثانيًا جو الربيع الدافئ. وأثناء البيات الشتوى Hibernation يتنفس الضفدع عن طريق الجلد، وتكف رئتاه تمامًا عن العمل.

كيف يحدث نقيق الضفادع؟

بعض الضفادع ليست مزعجة، ولكن بعض أنواعها تحدث نقيقًا عاليًا، وخاصة بالليل. والذكور هى التى تحدث النقيق، وذلك بعضو الصوت الذى يتركب من كيس جلدى يمتلئ بالهواء، ويوجد فى الضفدع الشائع تحت الذقن، أما فى الضفادع التى تؤكل، وضفادع المستنقعات، فيوجد كيس على جانب من الرأس.



(*) عن موسوعة المعرفة.

وهل يحل أكل لحم الضفدع؟

هو حلال لقول **الله** عز وجل: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ**﴾ [المائدة: ١٩٦]، والضفدع من صيد البحر. وفسر الشعبى الحديث الشريف فقال: (لو أن أهلى أكلوا الضفدع لأطعمتهم).

وتوجد أنواع كثيرة من الضفادع فى أنحاء العالم. ولعل من أعجبها الضفدع العملاق وموطنه غرب إفريقيا ويبلغ وزنه نحو كيلوجرامين وطوله إذا امتدت أرجله أكثر من نصف متر.



الضفدع العملاق (رانا جولياث **Rana Goliath**)، وهو أكبر ضفادع العالم، وموطنه غرب إفريقيا. وقد يبلغ طوله ٣٠ سنتيمترًا، أو ضعف ذلك، إذا أخذت فى الاعتبار الأرجل وهى ممتدة.

كما توجد ضفادع أغرب وأعجب تستوطن جزر الملايو، وبعضها فى أمريكا الوسطى فى كوستاريكا وهى الضفادع الطائرة التى خلق **الله** أطراف أقدامها مفلطحة كالبراشوت، تقفز فى الهواء من شجرة من الأشجار فيحملها الهواء بواسطة أطراف أقدامها المفلطحة إلى شجرة أخرى تبعد عنها خمسين مترًا وأكثر.

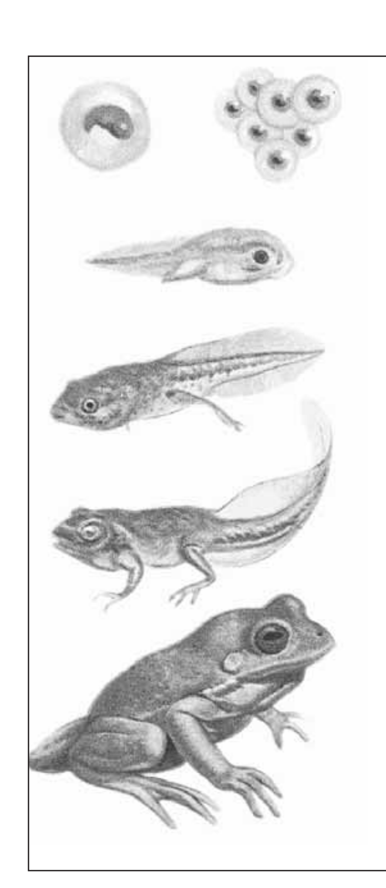


ضفدع يسبح فى الماء ويطير فى الجو من شجرة إلى أخرى

وفى أمريكا الوسطى أيضًا توجد أنواع صغيرة من الضفادع تفرز على جلدها سائلاً سامًّا، وله طعم مر جدًّا غير مستساغ للحيوانات آكلة اللحوم.. وهى على ألوان كثيرة ولو لمسها إنسان أو أى حيوان آخر فإنه يصاب بالشلل فورًا ويموت.

وينتبه سكان تلك المناطق إلى وجودها عندما يشاهدون عددًا من القردة ملقاة على الأرض وقد ماتت. وكان موت تلك القردة بسبب لمسهم لتلك الضفادع ولا توجد مثل هذه الضفادع فى إفريقيا ولا فى أوروبا وأسيا.

وتضع أنثى الضفدع نحو ألف بيضة فى الماء وتفقس وتخرج منها اليرقات التى تتنفس بالخياشيم كالأسماك، ثم تظهر الأرجل الخلفية فالأمامية، ويظهر الذيل ويختفى، كما تختفى الخياشيم، ويظهر الضفدع الكبير بعد ذلك.



أطوار خلق الضفدع

تفقس الضفادع، شأنها شأن جميع البرمائيات، من بيضة توضع فى الماء، وتعيش صغارها كلية فى الماء، وتتنفس بالخياشيم وبعد ذلك تحدث لها تغيرات كبيرة، وتتحول من كائنات تشبه السمكة التى تعيش فقط فى الماء، إلى حيوانات تعيش على البر. وتحدث هذه التطورات تبعًا للخطوات الآتية:

عند ابتداء الربيع، تضع أنثى الضفدع بيضها (توجد منها ١٠٠٠ على الأقل، وفى بعض الأنواع أكثر من ذلك)، ويغلف البيض بعد وضعه بطبقة جيلاتينية، تحوله إلى كتلة متماسكة.

ويبدأ التكوين الجنينى الأول فى البيضة. وبعد بضعة أيام، تخرج اليرقة التى تسمَى (أبو ذنيبة **Tadpole**). وفى بداية الأمر، لا يمكنها الأكل أو السباحة، ويتعلق أبو ذنيبة ببقايا بيضته، أو بورقة نبات مائى، وتلك بوساطة الأنف والعينين تحت الجلد. ويكبر الذيل، وتظهر على جانبى اليرقة فتحتان خيشوميتان، تخرج منهما خصل الخياشيم الخارجية.

وعندما يبلغ أبو ذنيبة هذا الحد من النمو، يبدأ فى السباحة والغذاء، ثم تظهر الرجلان الخلفيتان وتنموان، ثم الرجلان الأماميتان، ويصغر الذيل ثم يختفى. وفى النهاية، تمتص الخياشيم داخل الجسم وتتكون الرئتان، ويتحول أبو ذنيبة إلى ضفدع صغير.

ومن العجيب أن تتنفس الضفادع عن طريق جلدها أكثر من تنفسها عن طريق رئاتها! وهى تمتص الماء عن طريق جلدها أيضًا. وهكذا تتنفس وتشرب عن طريق جلدها، ولقد ظهرت الضفادع على الأرض منذ نحو مائتى مليون سنة.

ومن الضفادع ما هو فى حجم الدجاجة، ومنها ما هو فى حجم عقلة الإصبع يعيش فى أمريكا الجنوبية، ومنها ما يعيش فى الماء والبر، ومنها ما يعيش على الأشجار!

وتذكرنا الضفادع بما حدث لآل فرعون، عندما أرسل الله عليهم كوارث عديدة سببت لهم الكثير من البلايا فى الصحة والمال والغذاء.

قال تعالى: ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ**﴾ [الأعراف: ١٣٣].

والقُمّل قد يكون السوس الذى أهلك محاصيلهم. وقد يكون القراد الذى أهلك مواشيهم، وقد يكون هو القمل الذى يتطفل على جسم الإنسان فيصيبه بالتيفوس «الحمى الراجعة» وهى أوبئة فتاكة كانت تقضى على ملايين الناس قديمًا.

قال المفسرون: أرسل الله عليهم الضفادع فأصابتهم بأذى كبير؛ لأنها تكاثرت بشكل رهيب جدًّا حتى ملأت منازلهم وفرشهم وطعامهم وحقولهم وطرقهم، إلا أن الاكتشافات العلمية الحديثة أشارت إلى تفسير آخر، وهو أن هلاكهم بواسطة الضفادع لم يكن بسبب تكاثرهم، ومجرد مضايقتهم بها، ولكن لأن الله جعل فيها سببًا لهلاكهم. ومن المحتمل أن الله أرسل إلى آل فرعون أسرابًا كثيفة من تلك الضفادع السامة التى اكتشفت حديثًا فى أمريكا الوسطى، ولم تكن موجودة فى مصر، لا من قبل ذلك الحادث ولا من بعده.



الدواب اللصيقة بالإنسان

١ ـ الكلاب.

٢ ـ القطط.

صفحة ١٢٦ بيضاء

الباب السابع

الدواب اللصيقة بالإنسان

١ الكـــــــــلاب

■ أخرج الإمام البخارى، عن ابن وهب، عن عمر بن محمد، عن سالم، عن أبيه قال: وعد جبريل للنبى ﷺ فَرَاثَ عليه[١]، حتى اشتد على النبى ﷺ. فخرج النبى ﷺ فلقيه، فشكا إليه ما وجَد، فقال له: «**إنا لا ندخل بيتًا فيه صورة[٢] ولا كلب**».

وفى حديث السيدة عائشة رضى **الله** عنها قالت: ثم التفت، فإذا جرو تحت سريره. فقال: يا عائشة «**متى دخل هذا الكلب؟**» فقالت: وايم **الله** ما دريت، ثم أمر به فأُخرج، فجاء جبريل. فقال: «**واعدتنى فجلست إليك فلم تأت**». فقال: منعنى الكلب الذى كان فى بيتك. فأمر رسول **الله** ﷺ فأخرج الكلب، ثم أخذ بيده ماء فنضح مكانه.

■ أخرج الإمام مسلم عن سويد بن سعيد، عن عبدالعزيز بن أبى حازم عن أبيه، عن أبى سلمة بن عبدالرحمن، عن السيدة عائشة أنها قالت: واعد رسول **الله** ﷺ جبريل عليه السلام فى ساعة يأتيه فيها. فجاءت تلك الساعة ولم يأته. وفى يده عصا فألقاها من يده وقال: «**ما يُخلف الله وعده ولا رسله**»، ثم التفت فإذا جِرْو كلب تحت سريره. فقال: «**يا عائشة متى دخل هذا الكلب ههنا؟**»، فقالت: و**الله** ما دريت. فأمر به فأُخرج، فجاءه جبريل. فقال رسول **الله** ﷺ: «**واعدتنى فجلست لك فلم تأت**». فقال: منعنى الكلب الذى كان فى بيتك. إنّا لا ندخل بيتًا فيه كلب ولا صورة.

أخرجه الإمام مسلم والأئمة أصحاب السنن، والإمام أحمد.

■ وأخرج الإمام البخارى، عن ابن أبى ذئب، عن الزُّهرى، عن عبيد **الله** بن عبد**الله** بن عُتبة، عن ابن عباس، عن أبى طلحة رضى **الله** عنهم. قال: قال النبى ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا تصاوير**».

والتصاوير جمع صورة، وبيان حكمها من جهة استعمالها واتخاذها.

(بيتًا فيه كلب): المراد بالبيت، المكان الذى يستقر فيه الشخص، سواء كان بيتًا أو خيمةً، أو غير ذلك. وذكر (كلب) بصيغة النفى؛ مما يدل على العموم فى كل كلب. وذهب الخطابى ـ اعتمادًا على أحاديث نبوية مشرفة أخرى ـ إلى استثناء الكلاب التى أُذن فى استخدامها، وهى كلاب الصيد والماشية والزرع.

وقال القرطبى: ما المعنى الذى فى الكلب حتى منع الملائكة من دخول البيت الذى هو فيه؟ قيل لكونها نجسة، ويؤيد ذلك الحديث الذى روته السيدة عائشة رضى **الله** عنها.

(فأمر بنضح موضع الكلب بالماء): وقيل لأن النجاسة تتعلق بها، وفى الحديث إعجاز علمى عجيب ـ سنتحدث عنه فى شرح موضوع الكلاب.

(١) فراث عليه: أى أبطأ عليه.

(٢) فيه صورة: لا تدخل الملائكة البيت الذى فيه الصورة؛ لأن متخذها قد تشبه بالكفار؛ لأنهم يتخذون الصور فى بيوتهم ويعظمونها؛ فكرهت الملائكة ذلك فلم تدخل بيته.

من هم الملائكة الذين لا يدخلون بيتًا فيه كلب أو تصاوير؟
قيل الملائكة على العموم.
وقيل: يستثنى الحفظة من الملائكة، والملكان اللذان عن اليمين وعن الشمال.
■ وأخرج الإمام البخارى عن معمر، عن الزهرى، عن عبيد **الله** بن عبد**الله**، عن ابن عباس رضى **الله** عنهما، عن طلحة أن رسول **الله** ﷺ قال: « **لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة تماثيل** ».
■ وأخرج الإمام البخارى، عن الحسن بن الصبّاح، عن إسحق الأزرق، عن عوف بن الحسن وابن سيرين، عن أبى هريرة رضى **الله** عنه، أن رسول **الله** ﷺ قال: «**غُفر لامرأة مومسة مرت بكلب عن رأس رَكِىٍّ يلهث. قال: كاد العطش يقتله ـ فنزعت خفها، فأوثقته بخمارها، فنزعت له من الماء، فغفر لها بذلك** ».
الركى: البئر.
وفى الحديث الشريف أجلى معانى الرأفة بالحيوان، ليس له نظير فى أى عقيدة أخرى من العقائد، وأن الإسلام دين الرحمة والإنسانية والسلام.
■ وأخرج البخارى عن عبد**الله** بن مسلمة، عن مالك، عن سُمَىّ مولى أبى بكر، عن أبى صالح السمان، عن أبى هريرة رضى **الله** عنه، أن النبى ﷺ قال: « **بينما رجل فى طريق فاشتد عليه العطش، فوجد بئرًا، فنزل فيها، فشرب، ثم خرج، فإذا كلبٌ يلهث يأكل الثرى من العطش. فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى. فنزل البئر فملأ خُفَّه ماءً فسقى الكلب. فشكر الله له، فغفر له** ».
قالوا: يا رسول **الله**، وإن لنا فى البهائم لأجرًا؟ قال: « **فى كل ذات كبد رطبة أجر** ». أى فى إرواء كل ذات كبد. إن هذا الحديث يدل على أن الإسلام دين الرحمة والرفق والسلام، ورواه الأئمة البخارى ومسلم ومالك وأحمد وأصحاب السنن.
■ أخرج الإمامان مالك ومسلم عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول **الله** ﷺ: « **من اقتنى كلبًا إلا كلب ماشية أو ضارى، نقص من عمله كل يوم قيراطان** ».
■ أخرج الإمام البخارى، عن عبد**الله** بن سلمة، عن سليمان، عن يزيد بن خصيفة، عن السائب بن يزيد، عن سفيان بن أبى زهير الشَّنى، أن رسول **الله** ﷺ قال: « **من اقتنى كلبًا لا يُغنى عنه زرعًا ولا ضرعًا، نَقَصَ من عمله كل يوم قيراط** ».
■ أخرج الإمام البخارى، عن عبد**الله** بن يوسف، عن مالك، عن أبى الزِّناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة رضى **الله** عنه قال: إن رسول **الله** ﷺ قال: «**إذا شرب الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبعًا** ».
وفى رواية أخرى: «**إذا ولغ الكلب** »، أى إذا شرب بطرف لسانه. أو أدخل لسانه فيه فحركه. وكذا أخرجه الإمام مسلم والنسائى وزاد عليه: « **فليرقه** »، وهذا يقوى القول بأن الغسل للتنجيس؛ إذ المراق أعم من أن يكون ماءً أو طعامًا، فلو كان طاهرًا لم يؤمر بإراقته؛ لأن النبى ﷺ نهى عن إضاعة المال، والإسراف فى استعمال الماء.
■ وأخرج مسلم عن محمد بن سيرين، عن أبى هريرة قال: قال رسول **الله** ﷺ: « **طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب** ».
وفى الحديث الشريف إعجاز علمى سنوضحه إن شاء **الله** فى شرح الموضوع.

والمعنيان متقاربان، فإن شرب الكلب من ماء أو غيره، إنما يكون بإدخال لسانه فى الإناء ـ أى ولغ فيه ـ فالكلب لا يشرب إلا بهذه الطريقة. فقوله: «**إذا شرب الكلب**»، أو «**إذا ولغ الكلب**» بمعنى واحد. وغسل الإناء فيه حكمة فى الطب الوقائى لم يكتشفها العلماء إلا فى القرن العشرين ـ سنتحدث عنها فى شرح الموضوع.

■ أخرج الإمام البخارى عن موسى بن إسماعيل، عن عبدالعزيز بن مسلم، عن عبد **الله** بن دينار، عن عبد **الله** بن عمر رضى **الله** عنهما أن النبى ﷺ قال: «**من اقتنى كلبًا ليس بكلب ماشية، أو ضارية، نَقَص كل يوم من عمله قيراطان**».

وفى رواية حنظلة بن أبى سفيان، عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال: «**من اقتنى كلبًا، إلا كلبًا ضاريًا، لصيد أو كلب ماشية، فإنه ينقص من أجره كل يوم قيراطان**».

وذكر ذلك فى باب (من اقتنى كلبًا، ليس صيدًا أو ماشية).

وفى الحديث الشريف إعجاز علمى لم يكتشف إلا فى القرن العشرين، وذلك فى نقل الكلاب للعديد من الأمراض إذا حفظت داخل المنازل.

قتل الكلاب:

■ أخرج الإمام مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة، عن أبى أسامة، عن عبيد **الله** عن نافع، عن ابن عمر قال: أمر رسول **الله** ﷺ بقتل الكلاب، فأرسل فى أقطار المدينة أن تقتل.

لم يشر حديث ابن عمر عن سبب ذلك. وقد يكون السبب انتشار مرض الكَلَب فى المدينة. وفى هذه الحالة وجب أن تقتل كل الكلاب الضالة.

ودليل ذلك الحديث التالى الذى أخرجه الإمام أحمد:

■ أخرج الإمام أحمد عن محمد بن جعفر وبَهْزٍ قالا: حدثنا شعبة بن أبى التيَّاح، عن مطرف، عن عبد **الله** بن مغفَّل قال: «أمر رسول **الله** ﷺ بقتل الكلاب»، ثم قال: «**ما لكم وللكلاب ثم رخص فى كلب الصيد والغنم**»، وقال: «**إذا ولغ الكلب فى الإناء فاغسلوه سبع مرات وعفروه فى الثامنة بالتراب**».

أمر رسول **الله** ﷺ بقتل الكلاب: كان ذلك فى فترة ظهور أمراض من الكلاب مثل مرض الكلب مثلاً. ولما انتهى ذلك أوقف قتل الكلاب وقال: «**ما لكم وللكلاب**»؛ أى اتركوها ولا تقتلوها. ثم شدد فى غسل الإناء إذا ولغ فيه الكلب؛ لأن ذلك من أسباب نقل الأمراض من الكلب للإنسان.

خلقت الكلاب فى هذه الأرض قبل خلق الإنسان بملايين السنين.. وقد كانت تعيش حياة برية قبل ظهور الإنسان.. ولعل الكلاب أول الدواب التى استأنسها الإنسان واستخدمها فى الصيد والمرعى والحراسة.. وصار للإنسان علاقة وثيقة بالكلاب.. ونقرأ عن فتية الكهف؛ إذ فروا من قريتهم وأخذوا كلبهم معهم، ودخلوا الكهف وكلبهم لا يفارقهم. وضرب **الله** تعالى على آذانهم فى الكهف سنين عددًا قال **الله** تعالى يحكى عنهم فى سورة الكهف: ﴿**سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ**﴾ [الكهف: ٢٣]، لقد أخذ الفتية الكلب معهم إلى الكهف للحراسة.. وكان الإنسان منذ القرون الأولى يستخدم كلبه فى حراسة بيته أو كهفه أو خيمته.. ولم يكن العربى فى الصحراء ـ ولا يزال حتى اليوم ـ فى غنى عن الكلاب للحراسة.. ونقرأ فى قصائد الشعراء العرب، ما يصور أهمية الكلاب، فى الحراسة والصيد والرعى.. ولم يتخذ العرب الكلاب للزينة قط.. ولم يمسكوها

داخل بيوتهم. وتتنوع الصفات البدنية للكلاب تنوعًا كبيرًا، شأنها فى ذلك، شأن كل نوع من المخلوقات، وهذا التنوع فى الصفات يصاحبه ثبات فى خصائص النوع، وثبات فى نظامه الوراثى.. ومن أنواع الكلاب كلاب الحراسة، ولها صفات بدنية خاصة، فهى قوية الجسم سريعة العدو. وكلاب الرعى كبيرة الحجم قوية الجسم، ليكون فى قدرتها الدفاع عن القطيع ضد الذئاب.. أما ما يعرف بكلاب الزينة، فلها صفات أخرى غير صفات القوة البدنية وسرعة العدو، فلها صفات أخرى مثل طول الشعر وجمال ألوانه، ودقة الجسم، وتناسق الأعضاء فيه.



بعض من سلالات الكلاب المستخدمة فى الصيد والقنص. من اليسار إلى اليمين، كلب السبانيل المدلل، كلب يتعقب المجرمين، وكلب صياد الثعالب، وسلالتان من كلاب الصيد

وكثير من الناس فى عصرنا هذا ـ وخاصة فى العالم الغربى ومن يقلدهم فى بلاد أخرى ـ يقتنون الكلاب للزينة فقط ويحملونها ويداعبونها ويزينونها، ويعتنون بمظهرها وغذائها، وينفقون الأموال الطائلة فى هذا العبث، فى وقت يشكو فيه ملايين الناس فى العالم من قلة الغذاء.. أما العرب فلم يتخذوا الكلاب للزينة قط، وإنما اتخذوا الخيل وغيرها من الدواب للزينة كما قال الله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: ٨].

أحد كلاب الزينة

وكل إنسان يلهث إما من إعياء وإما من جهد بدنى زائد.. وكذلك سائر الحيوان إلا الكلب فهو يلهث فى كل الأحوال سواء كان فى راحة أو كان فى جهد بدنى.. وسواء كان مريضًا أو سليمًا، مرتويًا أو عطشان.. فعن طريق الجلد يتخلص الجسم من جزء من سوائل الجسم، فيتخلص الجسم بهذه الطريقة من حرارته.. كما يتخلص جسم الإنسان من حرارته عن طريق تبخر عرقه عن جلده.. فيلهث الكلب ويدلى لسانه خارج فمه.. لأنه لا توجد غدد عرقية فى جلد الكلب.. وضرب الله تعالى بالكلب مثلاً لمن كذّب بآيات الله تعالى.. فالمكذب إن وعظته ضل وإن تركته ضل.. والكلب بالمثل إن تركته يلهث وإن طردته يلهث، كما قال الله عز وجل: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأعراف: ١٧٦].

ويعتبر الإسلام الكلب حيوانًا يسبب النجاسة، ويعترض أعداء الإسلام على ذلك ويقولون إن الكلب حيوان نظيف لا يسبب نجاسة؛ لذلك يدللون الكلاب ويحملونها بين أيديهم ويقبلونها أيضًا.. ولو علموا الحقيقة ما اعترضوا على حقيقة نجاسة الكلاب ذلك؛ لأن الكلب هو الحيوان الوحيد الذى يلعق مؤخرته

بفمه.. وهو الحيوان الوحيد الذى لا يبول فى مكان واحد، وإنما يفعل ذلك فى أماكن متفرقة. لذلك فإن فم الكلب ملوث بالجراثيم دائمًا.

ولقد أشار الحديث النبوى الشريف إلى هذه الحقيقة. فقد روى مسلم فى صحيحه عن الأعمش عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فليرقه ثم يغسله سبع مرات**». ولغ: أى وضع أنفه فى الإناء، وشرب بطرف لسانه. ثم يغسله سبع مرات: أى يغسل الإناء، بعد أن يريقه، غسلاً جيدًا لإزالة ما يكون قد علق فيه من لعاب الكلب ومن أنف الكلب وفمه من أنواع لا تحصى من الجراثيم الضارة، وتنتقل العديد من الأمراض من الكلاب إلى الإنسان تصل إلى نحو خمسين مرضًا منها مرض الكَلَب Rabies ويسببه فيروس يحمله الكَلْب فى لعابه.

وينقل الكلب إلى الإنسان أمراضًا أخرى مثل:

١ـ مرض دودة الكلب الشريطية Echinococcus Granulosus:

وتعيش هذه الدودة فى أمعاء الكلب وتخرج بويضاتها فى برازه.. ولما كان الكلب يلعق مؤخرته بفمه.. فإن بويضات تلك الدودة تتعلق بفم الكلب المصاب.. والإنسان الذى يحمل الكلب المصاب بين يديه ويداعبه بيديه أو يحتفظ به داخل بيته.. ويصل الكلب بالتالى إلى آنية طعام الإنسان.. كل هذه الوسائل تؤدى إلى أن تصل بويضات تلك الدودة إلى فم الإنسان.. ومن الفم إلى الأمعاء(*) وتسبب العدوى للإنسان بتلك الدودة من الكلب أكياسًا فى أماكن شتى من جسمه، وأكثرها فى كبد الإنسان فى ٦٣٪ من الحالات. وفى الرئتين فى ٢٪ من الحالات، وفى العظام فى ٣٪ من الحالات، وفى الطحال فى ٣٪ من الحالات، وفى الكلى فى ٢٪ من الحالات، وفى المخ فى ١٪ من الحالات.. ومن هذا نجد أن تلك الأكياس أو الحويصلات توجد فى الكبد والرئتين فى الإنسان.. وتلك الأكياس تسبب أخطارًا للجسم ولابد من استئصال تلك الحويصلات جراحيًا.. وتصل العدوى من الكلب المصاب إلى الإنسان عن طريق مداعبة الكلب المصاب أو ملامسة فمه ووصول بويضات الدودة إلى فم الإنسان، كما أن العدوى تحدث للإنسان عن طريق تناول خضراوات ملوثة ببراز الكلب المصاب.

٢ـ مرض النزف اليرقانى Leptospirosis (Weil's Disease):

توجد أنواع كثيرة من هذا المرض، منها نوع لا ينتقل إلا عن طريق الكلاب ويسببه طفيل يسمى Leptospira Canicola ويعيش فى دم المريض.. وينتقل من الكلب المصاب إلى الإنسان الذى يعايشه داخل المنزل ويحمله بيديه.. والعدوى تكون عن طريق بول المريض.. ومن طبع الكلب أنه يتبول فى كل ركن من أركان المنزل.. وقد يلوث أوانى طعام الإنسان المقيم بنفس المنزل.. وقد يخترق طفيل المرض الموجود فى بول الكلب، جلد الإنسان ويصل إلى دمه، فيصاب الإنسان بهذا المرض الوبيل الذى قد يسبب له الوفاة.

٣ـ الدودة الشريطية الكلبية Diplydium Caninum:

توجد تلك الدودة فى أمعاء الكلب المصاب؛ لذلك تخرج بويضاتها فى برازه.. وتنتقل بالتالى إلى هواة حمل الكلاب ومداعبتها ومعايشتها داخل المنزل فيصابون بهذه الدودة وما تسببه من أعراض مرضية.

(*) وفى «الاثنا عشرىّ» تفقس البويضة وتخرج منها يرقة نشطة، تخترق جدار الأمعاء لتصل إلى الوريد البابى فتصل إلى الكبد.. ومنها إلى أعضاء الجسم المختلفة.

٤ـ داء الديدان القوسية Toxa Cara Canris:

وهذه الدودة موجودة فى أمعاء الكلب المصاب، وتخرج بويضاتها فى برازه.. فإذا كان الكلب يعيش داخل المنزل فإن بويضات تلك الديدان ستصل إلى أوعية طعام الإنسان بطريقة أو بأخرى.. ومنها إلى طعام الإنسان.. فيصاب الإنسان بهذه الديدان القوسية التى تنتقل من مكان إلى مكان فى جسمه، مسببة الكثير من المتاعب الصحية، ومنها أمراض الحساسية، ومنها الربو الشعبى، وتضخم الكبد والطحال فى بعض الحالات.. وقد يصاب أى عضو آخر فى جسم الإنسان.

٥ـ داء اليرقات الجلدية Cutaneous Larva Migrans:

وسببه كلب مصاب بديدان الإنكلستوما الكلبية.. وتخرج البويضات فى براز الكلب المصاب وإذا كان معايشًا للإنسان داخل المنزل أو ملامسًا له فإن بويضات تلك الديدان تصل إلى فم الإنسان بطريقة أو بأخرى وتفقس فى أمعائه وتخرج منها يرقات.. وقد تخترق تلك اليرقات جلد الإنسان وتسبب له متاعب كثيرة فى الجلد وأمراضًا كثيرة أخرى.

٦ـ والحديث عن الأمراض التى ينقلها الكلب المصاب إلى الإنسان كثيرة فهى تبلغ نحو خمسين مرضًا وذكرنا بعضها إلا أن أخطرها على الإنسان، مرض الكلب Rabies:

وهذا المرض يسببه فيروس يوجد فى لعاب الكلب المريض.. وينتقل المرض إلى الإنسان السليم بواسطة عضة كلب مريض.. وقد ينتقل المرض من الكلب المصاب إلى الإنسان السليم حتى بدون عضة، وذلك إذا لمس لعاب الكلب المصاب جرحًا أو خدشًا فى جلد الإنسان الذى يحمله.. من هذا نفهم أن ملامسة الكلاب وكثرة الاختلاط بها وحملها وتدليلها من أسباب العدوى بهذا المرض، فضلاً عن عشرات الأمراض الأخرى. وهذا المرض فى الكلاب يسمى علميًا مرض الكَلَب Rabies، أما إذا انتقل إلى الإنسان، ومرض به الإنسان صار المرض باسم آخر هو «مرض الخوف من الماء». Hydrophobia؛ ذلك لأن المريض إذا شاهد الماء يصاب بتقلصات عضلية شديدة فى عضلات الجسم وخاصة بالبلعوم، فيحدث له ذعر شديد.. وتمتد فترة الحضانة إلى أكثر من شهر، وتعتمد على كمية الفيروسات التى تدخل الجسم، وعلى مكان العضة ودرجة قربها من الرأس. فكلما كان مكان العضة قريبًا من الرأس، كلما كانت فترة الحضانة أقصر..

ومن أعراض مرض «الخوف من الماء»:

١ـ فقدان الشهية للطعام.

٢ـ صداع وغثيان وقىء.

٣ـ ألم بمكان العضة لم يكن موجودًا من قبل.

٤ـ يصير الإنسان سريع الإثارة للمؤثرات الخارجية، من ضوء، ولمس، وصوت، فتتوتر عضلات الجسم كلها.

٥ـ يزداد إفراز اللعاب (كما يفعل الكلب المريض).

٦ـ الخوف من منظر الماء، ويصاحب ذلك تقلصات عضلية بالجسم كله عمومًا وبعضلات البلعوم خصوصًا..

وبعد هذه الرحلة يدخل المريض فى مرحلة أخرى يحدث فيها توتر عضلى عام، وفقدان للصوت، وضعف عضلى عام يصل إلى الشلل، ويظل المريض هكذا حتى يموت. وإذا ظهر المرض على الإنسان فلا أمل له فى الشفاء. فالأمل الوحيد فى الشفاء من عضة كلب مريض هو العلاج الوقائى الآتى:

أولاً: البعد عن الكلاب. وإعدام الكلاب الضالة، والتى يشك أنها مريضة بالكَلَب.

ثانيًا: الكشف الدورى على كلاب الحراسة والصيد والمرعى.

ثالثًا: إذا حدث وعض كلب إنسانًا.. فعلى ذلك الإنسان المبادرة بالعلاج الوقائى، وذلك بحقن فاكسين خاص وخطوات علاجية وقائية أخرى، وقتل الكلب وفحص جهازه العصبى للتأكد من إصابته بالمرض من عدمه.

ولم يكن الناس قديمًا على علم بالأضرار الصحية التى تسببها الكلاب للإنسان، إلى أن تنبه الناس إلى ذلك حديثًا.. ففى بريطانيا مثلاً ستة ملايين كلب يربيها الناس ويقتنونها داخل منازلهم فماذا كانت النتيجة؟

تقول بعض الدراسات الإحصائية الآتى:

١ـ تخرج هذه الكلاب كل يوم مليون كيلوجرام من البراز فى حجرات المنازل، فضلاً عن مائة ألف لتر من البول يوميًّا فى حجرات المنازل أيضًا. ولنا أن نتصور كم من النجاسة والقذارة يصيب المنازل هناك من جراء الإمساك بالكلاب داخل المنازل.

٢ـ تسبب الكلاب داخل البيوت فى بريطانيا وحدها أمراضًا لمائتى ألف إنسان كل عام.. من الأمراض التى تصاب بها الكلاب وتنقلها إلى الإنسان وهى نحو خمسين مرضًا كما ذكرنا من قبل.

٣ـ أظهرت تلك الدراسة أن خمسمائة مليون جنيه إسترلينى تصرف كل عام لأجل تربية تلك الكلاب وإطعامها والعناية بها.

وأخيرًا ارتفعت أصوات تطالب بإعدام الكلاب التى لا أصحاب لها. وفى الصين أمرت الحكومة المركزية بمنع اقتناء الكلاب فى المدن الكبيرة.. وجرى إعدام الكلاب فيها، وذلك محافظة على الصحة العامة.. ووقايةً للناس من أضرار الكلاب على صحة الإنسان.

مما سبق ندرك بعض المغزى العلمى فى حديث رسول الله ﷺ: «**إذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فليرقه ثم يغسله سبع مرات**» فليس الخوف من النجاسة فقط كما كان الاعتقاد قديمًا، ولكن المراد هو الإمعان فى غسل الإناء للتخلص تمامًا من أثر أى ميكروب أو فيروس أو طفيل يكون قد علق بالإناء، بواسطة الكلب المصاب، سواء من لعابه أو بوله أو برازه.

إذن فالاحتكاك المباشر بين الإنسان والكلاب داخل المنازل واختلاطه بها، وملامستها، وحملها وتدليلها، كما يحدث فى العالم الغربى، وكما يحدث من قلة من الناس فى بلادنا أيضًا ممن يقلدون الغربيين تقليدًا أعمى.. فإن هذا الاختلاط بالكلاب داخل البيوت يؤدى إلى الأخطار والأمراض التى ذكرنا بعضها من قبل.. إذن فلا ينبغى على الإنسان أن يقتنى كلابًا داخل بيته.

الإسلام نهى عن اقتناء الكلاب داخل البيوت:

مما سبق ندرك تمامًا أسبابًا كثيرة ضارة بالإنسان من جراء الاحتفاظ بالكلاب داخل البيوت، تلك الأسباب التى كانت مجهولة للناس تمامًا من قبل؛ إلا أن الإسلام نهى عن اقتناء الكلاب داخل البيوت، فقد روى البخارى عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من أمسك كلبًا يُنقص من عمله كل يوم قيراط، إلا كلب حرث أو كلب ماشية**».

وروى مسلم والبخارى عن أبى طلحة الأنصارى أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب أو صورة تماثيل**».. ومن خلال التقدم العلمى فى عصر العلم الحالى نفهم بسهولة الإعجاز العلمى فى الأحاديث النبوية المشرفة التى نهت عن الإمساك بالكلاب داخل البيوت.

أما من يصر على تقليد الغربيين فى عادتهم السيئة بالاحتفاظ بالكلاب داخل بيوتهم.. فينبغى عليه أن يتبع ما رواه الإمام مالك عن النبى ﷺ إذ قال: «**لا ضرر ولا ضرار**»، والحديث ثابت الورود، ثابت الدلالة، فيجب اتباعه نصًّا وروحًا.. فيجب أن يتحرى الإنسان عدم الإضرار بنفسه، وعدم إضراره بالآخرين. والضرر من الكلاب وارد. والقاعدة الشرعية تقول: «التحريم يتبع الضرر».. وهذه القاعدة تشير صراحة إلى تحريم الإمساك بالكلاب داخل البيوت.

والضرر: هو أن يضر إنسانٌ إنسانًا آخر.

والضرار: هو أن يضر المتضرر غيره وإلى من سبب له الضرر. فالضرر فعل واحد، والضرار فعل اثنين.

وعلى الذى يصر على اقتناء كلب داخل بيته أن يقوم بفحص طبى دورى له، وأن يقوم بعلاجه من الأمراض التى تكون فيه. وعليه ألا يعوِّد أولاده على اقتناء الكلاب داخل المنازل حفاظًا على صحتهم، ودرءًا للأخطار عنهم.

الإسلام يأمر بالرفق بالحيوان:

نهى الإسلام عن الإمساك بالكلاب داخل المنازل.. ونهى عن أن تشارك الإنسان مسكنه وطعامه وشرابه، ونهى عن حملها وتدليلها وملامستها، ولكن ليس معنى ذلك أن الإسلام يحض على كراهية الكلاب أو غيرها من الحيوان وتعذيبها أو قتلها.. ولكن الإسلام يأمر بالرفق بالحيوان، والرحمة به، والعطف عليه. وجعل ذلك من أسباب المغفرة ودخول الجنة. فقد روى البخارى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجل بطريق فاشتد عليه العطش فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا بكلب يلهث، يأكل الثرى من العطش. فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش، مثل الذى كان بلغ منى. فنزل البئر، فملأ خفه ماءً، فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له**». قالوا: يا رسول الله، وإن لنا فى البهائم أجرًا؟ قال ﷺ: «**فى كل ذات كبد رطبة أجر**» أى: إن لنا أجرًا فى كل حيوان نطعمه من جوع، ونسقيه من عطش.

وروى البخارى عن ابن دينار عن أبيه عن أبى صالح عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن رجلاً رأى كلبًا يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى. فنزل البئر فملأ خفه ماءً فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له**».. وروى البخارى عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**غُفر لامرأة مومسة، مرت بكلب على رأس ركىّ (أى بئر) يلهث، يكاد يقتله العطش، فنزعت خفها فأوثقته بخمارها، فنزعت له من الماء فسقته إياه، فغفر لها بذلك**».

إذن فالرحمة والرفق بالحيوان ـ ومنها الكلاب ـ أمر مقرر فى الإسلام، وسبب من أسباب دخول الجنة.. ولن يبلغ الناس فى البلاد الغربية فى الرفق بالحيوان والرحمة بها ـ ما بلغ الإسلام فى ذلك وإنما أمر الرسول ﷺ بعدم اقتناء الكلاب داخل المنازل، لا كراهية فيها، ولا تشجيعًا للناس على إهمالها وإيذائها.. ولكنه أمر بذلك درءًا لأخطارها على صحة الإنسان، ووقاية للإنسان من أمراضها، ومحافظة على نظافة البيوت؛ ولأن الكلاب لا فائدة منها داخل البيوت، ولقد اكتشف العلماء أخطار إمساك الكلاب داخل البيوت فى عصر العلم الحالى، وبذلك ظهر لنا المغزى العلمى فى الأحاديث النبوية

المشرفة.. والمكان الطبيعى لوجود الكلاب هو خارج المنازل؛ وذلك للحراسة.. وفى المراعى لحراسة الماشية والدفاع عنها، فالإسلام إذ ينهى عن معايشة الكلاب داخل البيوت علَّمَنا الرفق بها والعطف عليها ولكن من غير ضرر ولا ضرار ومن غير إفراط ولا تفريط.

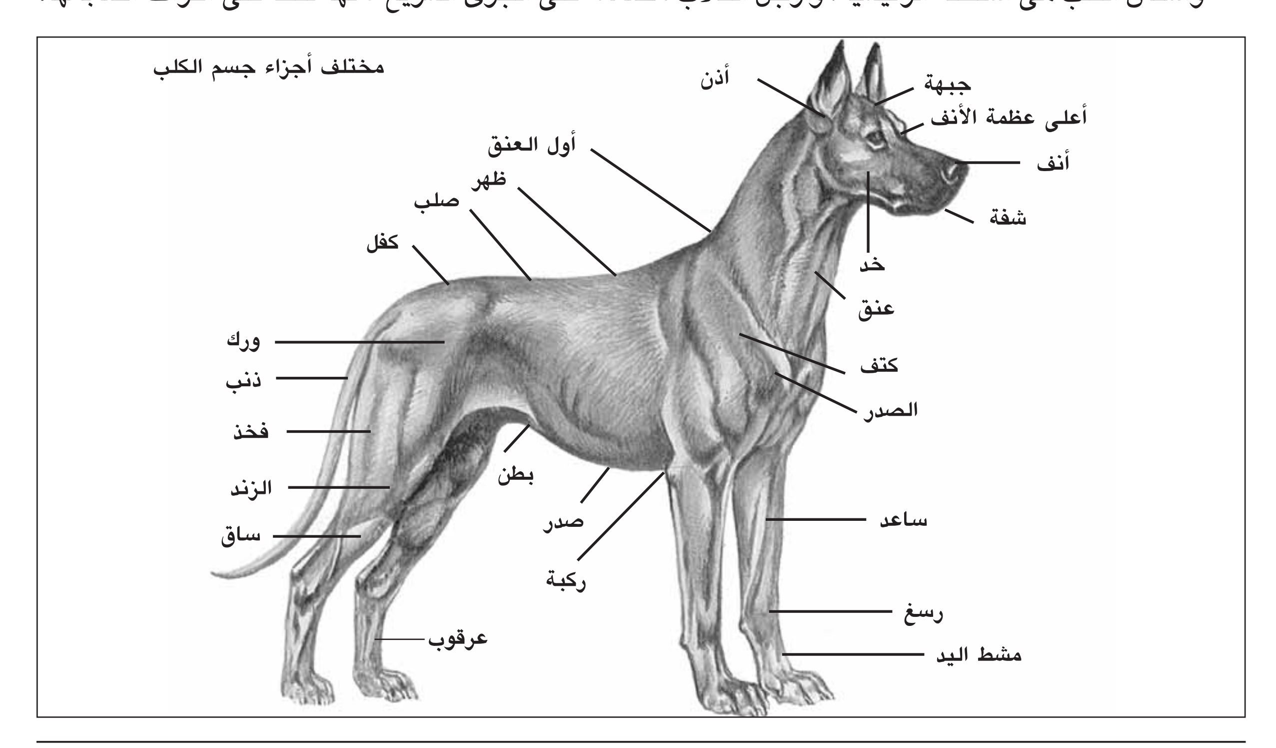
أعجب الكلاب:

اعتاد ابن أبى لهب ـ لعنه **الله** ـ أن يلقى القاذورات على رسول **الله** ﷺ وهو قائم يصلى، فكان الرسول يصفح عنه ويدعو له بالهداية.. إلى أن زاد الرجل فى غيه وألقى عليه أمعاء شاة فوق ظهره وهو ساجد **لله** فى الصلاة فالتفت إليه رسول **الله** ﷺ ودعا عليه وقال: «**يأكلك كلب الله**»، فأخبر شيعته بذلك، فأعطوه عصا غليظة ليدافع بها عن نفسه ضد أى كلب يهاجمه.. وحدث أن كان فى قافلة فى الشام، وخاف على نفسه من دعاء رسول **الله** ﷺ عليه فجعل رجال القافلة جميعًا من حوله حتى يحموه من أى هجوم عليه ـ وإذا بأسد ضخم يقفز فوق الرجال المحيطين به، ويقع عليه من وسطهم ويأكله.. وفر الرجال مذعورين ورجعوا إلى أهله وأخبروهم بأن أسدًا أكل الرجل فقالوا: ما صدقت نبوءة محمد.. فما أكله كلب كما قال ودعا عليه، وإنما أكله أسد. فقالوا لهم: إنكم لم تفهموا.. لقد صدق رسول **الله** ﷺ إذ قال لصاحبكم: «**يأكلك كلب الله**». فما ينبغى أن يكون كلب **الله** إلا الأسد!

بعض الصفات المميزة فى الكلاب:

الكلب من أوائل الدواب التى استأنسها الإنسان.. ويقول العلماء إن الكلاب ظهرت فى أوروبا منذ نحو ثلاثين مليونا من السنين، وتطور خلقها إلى أن وصلت إلى أنواع الكلاب التى تعيش الآن على الأرض. وللكلاب حاسة شم خارقة، أقوى خمسين ألف مرة قدر حاسة الشم فى الإنسان. والكلب حيوان ذكى، إلا أنه ذكاء فطرى، وليس ذكاء عقليًا، فليس فى الكلاب عقول. لا يوجد عقل إلا فى الإنسان.

ويوجد أفراد من فصيلة الكلاب فى معظم بلدان العالم، والكلاب من آكلات اللحوم، وتعيش على الصيد، ولا يمكن لأى كلب أن يتسلق كما تفعل القطط، ولكنها سريعة الجرى، ولا يصيبها التعب.
وأسنان الكلب هى أسلحته الرئيسية، وأرجل الكلاب مصممة على الجرى السريع لأنها تقف على أطراف أصابعها.







الكلاب المستأنسة:

تنتمى إلى نوع واحد، بالرغم من اختلافها فى الشكل الخارجى، وتوجد سلالات عديدة مثل كلاب الصيد والرعى والحراسة، ويوجد منها ما يرافق الإنسان. وقد استؤنس الكلب منذ العصر الحجرى. وكانت السلالة السائدة للكلاب تشبه الذئاب. وحصل القدماء المصريون منذ خمسة آلاف سنة على سلالات مميزة للكلاب، بعضها يشبه النوع السلوقى، وبعضها يشبه كلاب الصيد. وفى عصر الإغريق فى القرون القليلة قبل الميلاد استؤنست سلالات كثيرة من كلاب المنازل، والمراعى، والصيد، وكانوا يستخدمونها فى حراسة المنازل والمعابد.

تدريب بعض أنواع الكلاب لأعمال متخصصة:


كلب مرشد يقود رجلاً كفيفًا

١ـ **كلاب مرشدة للمكفوفين**: وهى تفعل ذلك بكفاءة كبيرة، حتى فى الأماكن المزدحمة.

٢ـ **كلاب تنقذ المشرفين على الغرقى والجرحى**: توجد كلاب فى البلاد الجبلية المغطاة بالجليد، مدربة على إنقاذ الذين ضلوا طريقهم على الجليد، أو سقطوا عليه.


كلب سانر برنار يساعد متسلق جبل حاصرته عاصفة ثلجية

٣ـ **كلاب للصيد والقنص**: وهى مدربة على تعقب الفريسة والقبض عليها، وهى تساعد الصيادين.

٤ـ **كلاب السباق**: وهى من الكلاب السلوقية، وهى أسرع الكلاب، وتبلغ سرعتها من ٥٠ ـ ٦٠ كيلومترًا فى الساعة، وتنسب إلى مدينة سلوق فى اليمن.

٥ـ **كلاب المرعى (لحراسة الماشية)**: هى أنواع متخصصة من الكلاب لحراسة الأبقار والأغنام،



بعض من سلالات الكلاب المستخدمة فى الصيد والقنص

وهذه من أهم فوائد الكلاب كما قال رسول الله ﷺ: «من اقتنى كلبًا، إلا كلبًا ضاريًّا لصيد أو كلب ماشية، فإنه ينقص من أجره كل يوم قيراطان»، فكلاب الصيد والحراسة، لا حُرمة للإنسان فى إمساكها عنده.



كلاب سلوقية فى سباق تتابع للكلاب

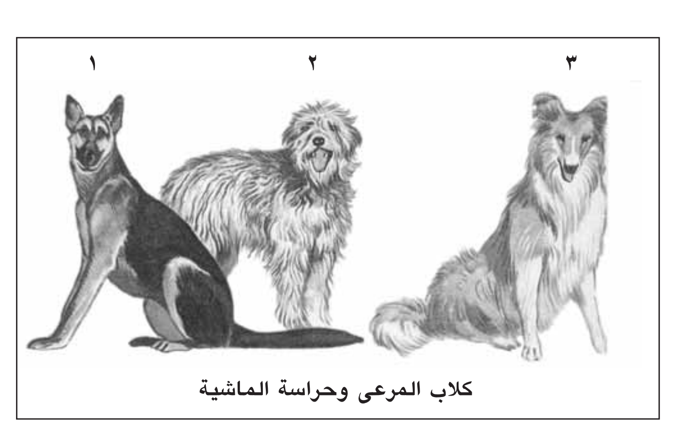


كلب لحراسة الماشية، ويستخدم أيضًا لحراسة الأغنام

بعض الكلاب الأصيلة:

١ـ فصيلة كلاب المرعى وحراسة الماشية:

هى أكثر أنواع الكلاب فائدة للإنسان:



كلاب المرعى وحراسة الماشية

الأفراس: نوع ممتاز من كلاب الرعاة، يمكن تدريبه ليكون كلبًا بوليسيا، وللحماية الشخصية، ولحراسة الماشية ولها قدرة شم قوية جدًّا. رقم (١).

كلب الرعاة الإنجليزى: غزير الفراء، قوى البنية، وله قدرة فائقة على حراسة الأبقار والأغنام فى المراعى. رقم (٢).

كلب كولى الإسكتلندى: أليف ومدلل، يُقتنى للزينة أحيانًا، وأهم فوائده حراسة الماشية فى المراعى. رقم (٣).

٢ـ فصيلة كلاب الصيد:

توجد سلالات عديدة من الكلاب لأغراض الصيد.

كلاب الإشارة: تستخدم فى الصيد. رقم (١).

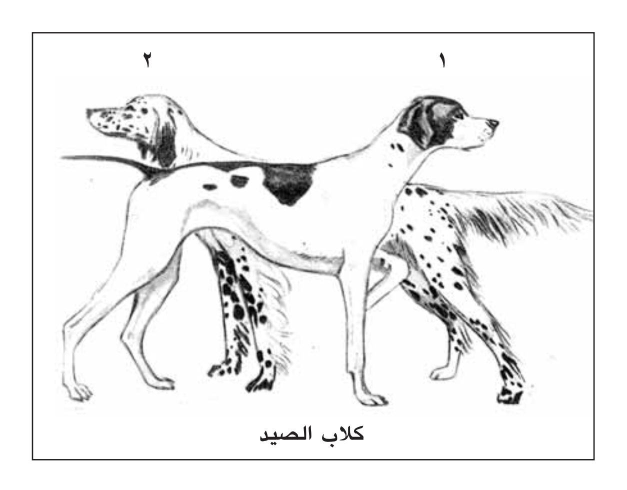
كلاب القنص: تصلح للصيد فى المستنقعات. رقم (٢).

٣ـ فصيلة كلاب الحراسة:

هى كلاب ضخمة وقوية كما نشاهد فى الصورة.



كلاب الحراسة



كلاب الصيد

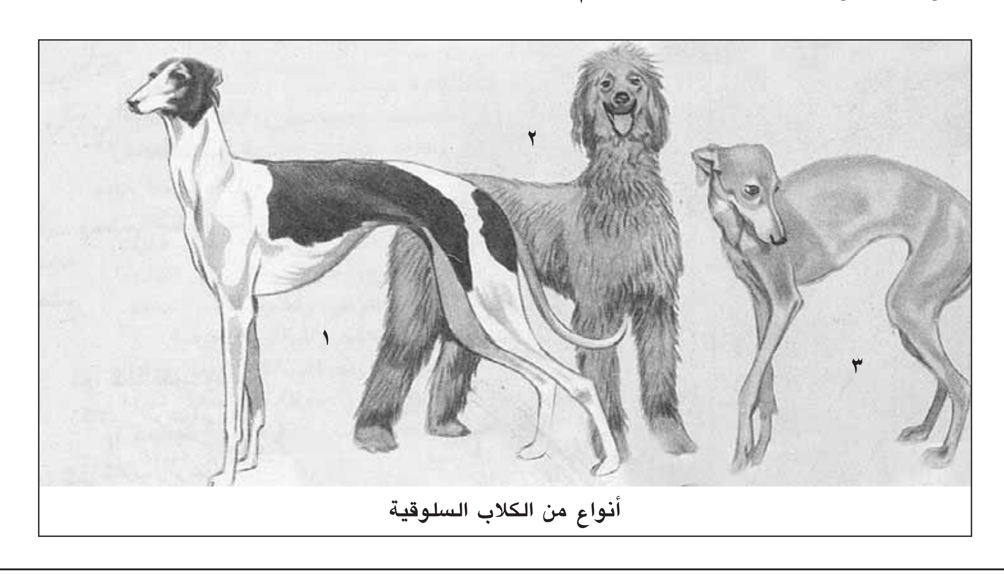
٤ـ فصيلة الكلب السلوقى:

هى من سلالة قديمة تتميز بأرجلها الطويلة، وأجسامها الممشوقة، مما يساعدها على العَدْوِ السريع، وتعقب الحيوانات، ومنها الأنواع الآتية:

١ـ **كلب سلوقى إنجليزى:** يربى لاستعماله فى سباق الكلاب؛ لأنه أسرع أنواع الكلاب، ويمكنه أن يجرى بسرعة أكثر من ٦٠ كيلومترًا فى الساعة. رقم (١).

٢ـ **كلب سلوقى أفغانى:** نوع يوجد فى قارة آسيا، وهو كلب صيد ممتاز وجسور، ويواجه الدببة والنمور دون أن يخاف منها. رقم (٢).

٣ـ **كلب سلوقى إيطالى:** سلالة صغيرة الحجم، تتميز بالرقة والعاطفة وتقتنى للزينة والتدليل. رقم (٣).



أنواع من الكلاب السلوقية



كلاب سلوقية فى سباق تتابع للكلاب

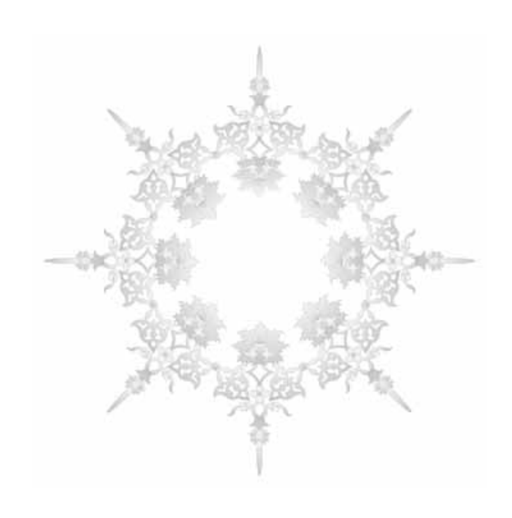
وتوجد مئات الأنواع والفصائل المختلفة للكلاب، ونكتفى فى هذا الكتاب بما ذكرناه منها.

والكلب المستأنس من أكثر الدواب وفاء لصاحبه، فهو يلازمه ويضحى بنفسه من أجله. وهو شديد الحب لتناول اللحوم، وله معدة قوية تهضم العظام. وهو أكثر الدواب قوة فى حاسة الشم. وتحمل الأنثى تسعة أسابيع فقط، وتلد عددًا من الصغار قد تصل إلى اثنى عشر جروًا. ويبلغ الجرو أشده فى سنتين، ويعيش الكلب من ١٠ ـ ٢٠ سنة.

وقال الدميرى فى كتاب (حياة الحيوان): الكلب لا سبع ولا بهيمة، ولكنه بين هذا وذاك؛ لأنه لو كان من السباع ما ألف الناس، ولو كان من البهائم ما كان من أكلة لحوم الحيوان النيئة، ولكن غلب إطلاق اسم البهيمة عليه.

والجرو بعد ولادته يظل أعمى لمدة أسبوعين، والكلب إذا نَامَ نَامَ نومًا خفيفًا، فلا يغمض عينيه ولا يطبق جفنيه إلا قليلاً...

ويحب التودد لصاحبه، وتودد صاحبه إليه، ويحب التعليم والتأقلم على أى مكان يعيش فيه.



٢ القـــــقـــــطـــــط

■ روى الإمام ابن ماجه، عن الحسين بن مهدى، عن عبد الرزاق، عن عمر بن زيد، عن أبى الزبير، عن جابر قال: نهى رسول **الله** ﷺ عن أكل الهرة وثمنها.

أى أن لحم الهرة لا يحل أكله، شأنه شأن لحوم السباع.

■ روى الإمام أحمد عن وكيع، عن عيسى بن المسيب، عن أبى زرعة، عن أبى هريرة أن رسول **الله** ﷺ قال: «**الهر سبع**».

ـ أى أن القط فيه طبع السباع، إذا هُوجم توحش.

■ روى الإمام أحمد عن وكيع، عن حماد بن سلمة، عن محمد بن زياد، عن أبى هريرة قال: قال النبى ﷺ: «**ربطت امرأة هرًا أو هرة، فلم تطعمها، ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض، فأدخلت النار**».

ـ هذا الحديث الشريف يدل على أن الرفق بالحيوان يوضع فى ميزان الإنسان يوم القيامة، وهذا الحديث مثل واضح عن أن الإسلام دين الرحمة.

■ روى الإمامان البخارى ومسلم عن عبد **الله** بن محمد بن أسماء الضبعى، عن جُويرية ابن أسماء، عن نافع، عن عبد **الله**، أن رسول **الله** ﷺ قال: «**عذبت امرأة فى هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هى أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض**»، وفى حديث أبى معاوية: «**تأكل من حشرات الأرض**».

دخلت فيها النار: أى دخلت بسببها النار.

وهذا الحديث يدل على أن الإسلام يأمر بالرفق بالحيوان، ويحرص على إطعامه والمحافظة عليه مما ينطق بحقيقة خافية على غير المسلمين، ألا وهى أن رسول **الله** ﷺ أمرنا بالرفق بالحيوان وبرحمته والمحافظة عليه، أكثر من أى قوم يدعون الرفق بالحيوان. وأن الإسلام دين الرفق والرحمة، ودين يصل بالإنسانية إلى درجات عالية من الحب والرحمة والسلام. وإذا كان رسول **الله** ﷺ يحرص كل هذا الحرص بالدواب وسلامتها والرفق بها، فهو أشد حرصًا على الإنسان وسلامته والرفق به.. قال **الله** تعالى عن رسول **الله** ﷺ: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [التوبة: ١٢٨].

هذه هى من بعض تعاليم رسول **الله** ﷺ التى تعلمنا مكارم الأخلاق، وحقوق كل مخلوق حتى ولو كان دابة من الدواب، فكيف يُتَّهم الإسلام بعد ذلك بالإرهاب والاعتداء على الآخرين؟!! هلا أزاح أعداء الإسلام الغشاوة عن قلوبهم حتى يروا الإسلام على حقيقته المشرقة الجميلة؟

وقد ورد فى الكلاب أحاديث شريفة فيها كل هذه المعانى العالية (انظر باب الكلاب فى هذا الكتاب).

■ روى الأئمة أصحاب السنن عن أحمد بن يونس، عن هشام، عن محمد، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يُغسل سبع مرار أولاهن بالتراب**».

هذا الحديث يدل على أن الكلب نجس، ولولا نجاسته لم يكن لأمره بتطهير الإناء من ولوغه أى معنى.

وفى رواية حماد بن زيد، عن أيوب، عن محمد عن أبى هريرة زاد: «**وإذا ولغ الهرُ غُسل مرة**» أى يغسل الإناء مرة واحدة.

■ وروى الإمام أبو داود عن مالك، عن إسحق بن عبد **الله** بن أبى طلحة عن حميدة بنت عبيد بن رفاعة، عن كبشة بنت كعب بن مالك (وكانت زوج ابن أبى قتادة) أن أبا قتادة دخل فسكبت له وضوءًا (أى الماء

الذى يتوضأ به). فجاءت هرة فشربت منه. فأصغى لها الإناء حتى شربت (أى أماله لها)، قالت كبشة: فرآنى أنظر إليه فقال: أتعجبين يا ابنة أخى؟ فقلت: نعم. فقال: إن رسول **الله** ﷺ قال: «**إنها ليست بنجس، إنها من الطّوافين عليكم والطّوّافات**».

أى أنه ﷺ شبهها بخدم البيت، وبمن يطوف على أهله للخدمة كقوله تعالى: ﴿**طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾ [النور: ٥٨] يعنى المماليك والخدم. وقوله تعالى: ﴿**يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ**﴾ [الواقعة: ١٧].

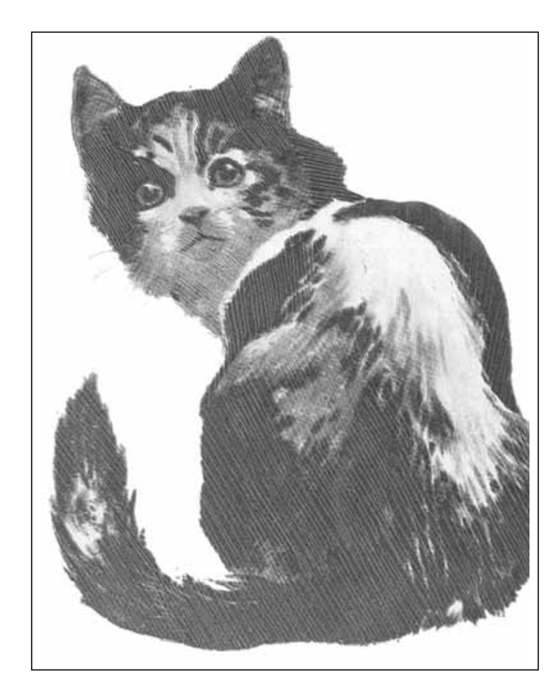
■ وروى أبو داود عن عبد **الله** بن مسلمة، عن عبد العزيز، عن داود بن صالح بن دينار التمار، عن أمه، أن مولاتها أرسلتها بهريسة إلى السيدة عائشة ـ رضى **الله** عنها ـ فوجدتها تصلى. فأشارت إلىّ أن ضعيها. فجاءت هرة فأكلت منها. فلما انصرفت أكلت من حيث أكلت الهرة وقالت: إن رسول **الله** ﷺ قال: «**إنها ليست بنجس، إنما هى من الطّوّافين عليكم**» وقد رأيت رسول **الله** ﷺ يتوضأ بفضلها.

■ وفى سنن الدارقطنى فى باب سؤر الهرة عن الطحاوى عن السيدة عائشة قالت: كان رسول **الله** ﷺ تمر به الهرة فيُصْغِى لها الإناء فتشرب ثم يتوضأ بفضلها.

ـ وفى هذه الأحاديث النبوية إعجاز علمى عظيم فقد ثبت أن ولوغ الكلب فى الإناء قد ينقل إليه جراثيم أمراض فتاكة. أما ولوغ القطة فى الإناء فلا ينقل إليها أى سبب من أسباب الأمراض!

■ روى الإمام ابن ماجه فى سننه وابن خزيمة فى صحيحه عن أبى بكر الحنفى، عن عبد الرحمن بن أبى الزناد، عن أبيه، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة أن رسول **الله** ﷺ قال: «**الهرة لا تقطع الصلاة، لأنها من متاع البيت**» رواه الإمام أحمد فى المسند أيضًا.

ـ أى أن الكلب لو مر أمام المصلى يقطع المصلى صلاته، أما إذا فعلت القطة ذلك فلا يقطع صلاته؛ لأن الكلب حيوان نجس، أما القطة فليست كذلك لحديث رسول **الله** ﷺ عنها: «**إنها ليست بنجس، إنها من الطوافين عليكم والطوافات**».



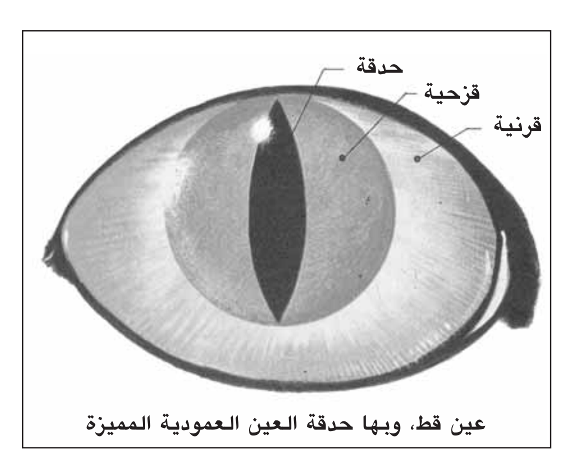
للقط تاريخ طويل مع الإنسان، وكان المصريون القدماء أول من استأنسوا القط واستخدموه فى بيوتهم. والقط على عكس الكلب لا ينقل الأمراض عادة.

ولقد رفعه المصريون القدماء إلى مرتبة التقديس، كما يقدس بعض طوائف الهنود اليوم الأبقار.

وينتمى القط إلى فصيلة النمر الأرقط والأسد. فالقط به غريزة السباع وينتمى إليها، وهذا هو التفسير العلمى للحديث النبوى الشريف: «الهرُّ سبع».

والقط من فصيلة أكلة اللحوم. وهو من الثدييات والفقاريات لوجود هيكل عظمى له، وهو من الحبليات لوجود حبل ظهرى له، وأسنان القط مثل أسنان أى حيوان مفترس آكل للحوم، والقط من الدواب التى تمشى على أطراف أصابعها كما تفعل الخيل والغنم وما شابههما، فلا يلمس كعبها الأرض.

أما عين القط فهى كبيرة الحجم بالنسبة لحجم القط. ولها شكل مميز؛ فلها حدقة على شكل بيضاوى عمودى تتسع فى الظلام وتضيق فى الضوء؛ لذلك فالقط يرى فى الظلام جيدًا. فهو حيوان نشاطه ليلى وأكثر أوقات استراحته نهارًا. وحاسة سمعه أقوى كثيرًا من حاسة سمع الإنسان، فهو يسمع أصواتًا لا تسمعها أذن الإنسان، ونلمس ذلك فى كثرة التفاته فجأة إذا سمع صوتًا لا نسمعه، وهو أقوى سمعًا من الفأر، وهذا يساعده على افتراس الفأر من حيث لا يسمع الفأر ولا يشعر.



عين قط، وبها حدقة العين العمودية المميزة

والقط على أنواع شتى، تختلف باختلاف المناطق التى يستوطنها.

نأخذ خمسة أمثلة من فصائل القط:

١- **الهر الأوروبى**: هو أكثر أجناس القطط انتشارًا، وله أنواع كثيرة، لكل منها صفات خاصة بها.

٢- **الهر السيامى**: وموطنه سيام (تايلاند) وهو بنى اللون، ولون عينيه أزرق، وله دبر قصير، وهو هادئ الطباع جدًّا، وبطىء الحركة وليست له ردود أفعال سريعة.

٣- **الهر الحبشى**: هو من سلالة القط الذى قدسه المصريون القدماء ويمتاز بأذنيه الطويلتين، وعينيه المائلتين، ولونه البنى.


الهر الحبشى


القط السيامى

٤- **وتوجد أنواع كثيرة - تزيد على عشرين نوعًا - من القطط المتوحشة**، وهى منتشرة فى جميع القارات ما عدا أمريكا الشمالية وأستراليا، ومن أشهرها **القط الأوروبى المتوحش** وهو قط ضخم الجثة، ويعيش فى الغابات.

٥- **القط البنغالى**: هو أجمل القطط المتوحشة شكلاً؛ فهو طويل الجسم، له رأس صغير وأذنان كبيرتان. ويستوطن البنغال، ومناطق أرخبيل ماليزيا (انظر الصورة).

ونحن نتحدث عن القطط المتوحشة نتذكر أن القطط التى تستوطن بلادنا ليست من القطط المتوحشة فهى وديعة، إلا أنها آكلة للحوم، ولو شعرت أنها تعرضت لخطر اختفت وداعتها، وظهرت عليها علامات التوحش، وعادت إلى جبلتها الأولى، ونتذكر الحديث النبوى الشريف: «**الهر سبع**».



قط أوروبى متوحش



القط البنغالى

صفحة ١٤٤ بيضاء



الـدواب التى حُرِّم أكل لحمها

١ ـ الخنـزيـر.

٢ ـ الميتة من الدواب.

صفحة ١٤٦ بيضاء

الباب الثامن الدواب التى حُرّم أكل لحمها

١ الخنـــــزيـــــر

■ روى ابن ماجه عن الليث بن سعد، عن يزيد بن أبى حبيب عن عطاء بن أبى رباح عن جابر ابن عبدالله أن رسول الله ﷺ عام الفتح وهو بمكة قال: «**إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام**» فقيل له: يا رسول الله. أرأيت شحوم الميتة فإنه يدهن بها السفن، ويدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس. قال: «**لا، هن حرام**». ثم قال رسول الله ﷺ: «**قاتل الله اليهود. إن الله حرم عليهم الشحوم فأجملوه. ثم باعوه فأكلوا ثمنه**».

يستصبح بها الناس: أى يضيئون بها مصابيحهم.

■ روى البخارى ومسلم بنفس الإسناد أن رسول الله ﷺ قال عام الفتح: «**إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام**»، فقيل: يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة، فإنه يطلى بها السفن ويُدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس فقال: «**لا، هو حرام**» إلخ الحديث الشريف.

وقال جمهور العلماء: لا ينتفع من الميتة أصلاً إلا ما خص بالدليل من الوحى، وهو إهابها (الجلد المدبوغ).

■ روى الإمام مالك فى الموطأ، عن يحيى بن سعيد أن عيسى ابن مريم عليه السلام لقى خنزيرًا بالطريق. فقال له: «انفذ بسلام» فقيل له: تقول هذا لخنزير؟ فقال عيسى عليه السلام: «إنى أخاف أن أعوِّد لسانى النطق بالسوء».

■ روى مسلم عن وكيع عن مِسْعر، عن علقمة بن مرثد، عن المغيرة بن عبد الله اليشكرى، عن المعرور ابن سويد، قال: ذكرت القردة عند رسول الله ﷺ فسئل: هل الخنازير من مَسْخ؟ فقال: «**إن الله لم يجعل لمسخ نسلاً ولا عقبًا. وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك**».

أى قبل مسخ بنى إسرائيل، فدل هذا على أنها ليست من مسخ.

قال الله عز وجل فى سورة البقرة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [البقرة: ١٧٢، ١٧٣].

خلق الله تعالى للإنسان كل أنواع الطعام والشراب فى هذه الأرض، ولكنه أحل للإنسان الطيبات من الرزق التى تفيده، وحرم عليه كل ما يضره من طعام وشراب.

استهلت الآية الكريمة بالنداء المحبب لقلوب المسلمين ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾، وبالصفة التى تربطهم به تعالى.

فهم قد آمنوا وصدقوا الله ورسوله، وأقروا لله عز وجل بالطاعة والعبودية، ومن ثمَّ فهم يتلقون عن الله تعالى الشرائع والأوامر والنواهى؛ لذلك خاطبهم بهذا الخطاب الذى يدل على كل هذه المعانى، ثم أمرهم بعد ذلك بأكل الطيبات من الرزق وأن يشكروه تعالى، وبعد ذلك حرم عليهم ما يضرهم من طعام وشراب.

■ وروى الإمام أحمد والإمام مسلم عن عدى بن ثابت عن أبى حازم عن أبى هريرة رضى **الله** عنه أن رسول **الله** ﷺ قال: «**يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا. وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال**: ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾.

ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يده إلى السماء يقول: يا رب.. يا رب. ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذى بالحرام فأنَّى يستجاب له».

وكان الخطاب فى الآية الكريمة ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾، والخطاب فى الحديث النبوى الشريف: «**يا أيها الناس**»؛ ذلك لأن **الله** تعالى أرسل رسوله للناس كافة بشيرًا ونذيرًا.

وسبب نزول الآية أن أهل الجاهلية كانوا يحرمون بعض أنواع الطعام، فنهى الإسلام عن ذلك التحريم؛ لأن تحريمهم لها كان اتباعًا للشيطان ولأهل الشرك منهم، فذكر **الله** تعالى ما أحل لهم وما حرم عليهم، وما أحل **الله** تعالى من الأرزاق للإنسان إلا كل ما يفيده، وما حرم عليه إلا ما يضره. فاستحق **الله** تعالى الشكر من عباده بغير حدود.

ولقد كشف لنا العلم فى عصرنا هذا عن بعض أسباب الفائدة فى الطعام، وعن بعض أسباب الضرر فيه، فليس كل ما يؤكل يفيد الجسم، فبعض الطعام طيب وخال من أسباب المرض فيزيد آكله صحة وقوة ونشاطًا، وبعضها الآخر يحتوى على سموم أو جراثيم ضارة تسبب لآكلها المرض والضعف. ونجد كل هذه المعانى فى قول **الله** عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾.

ثم نزلت بعد ذلك آية تحرم بعض أنواع الطعام والشراب فى قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾.

نزل تحريم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير **الله**، فى أربع سور هى بترتيب النزول: الأنعام ١٤٥، النحل ١١٥، البقرة ١٧٣، المائدة ٣. نزل التحريم أولاً فى سورة الأنعام ١٤٥ فى قول **الله** عز وجل: ﴿**قُلْ لاَ أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾.

وتقدير المعنى فى الآية الكريمة: قل لا أجد فيما أوحى إلىَّ محرمًا مما كنتم تستخبثونه وتجتنبونه، إلا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا أو لحم خنزير. وتنبه الآية الكريمة إلى أن التحريم إنما يكون بوحى إلهى لا بهوى النفس. قال تعالى: ﴿**فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ**﴾، ﴿**فِسْقًا**﴾ عطف على المنصوب قبله، وقد يكون مفعولاً له من ﴿**أُهِلَّ**﴾؛ أى «أهل لغير **الله** به فسقًا». وسمى ما أُهل به لغير **الله** فسقًا؛ لتوغله فى باب الفسق، كما قال تعالى فى سورة الأنعام: ﴿**وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ**﴾ [الأنعام: ١٢١].

وجاء النهى فى السنة النبوية المشرفة عن أكل كل ذى ناب من السباع، وعن أكل كل ذى مخلب من الطير، كما نهى رسول **الله** ﷺ عن أكل لحوم الحمر الأهلية عام خيبر.

ثم نزلت سورة النحل فى مكة المكرمة. قال **الله** تعالى: ﴿**فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٥) وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ**﴾ [النحل: ١١٤ ـ ١١٦].

أى أن النهى يكون من **الله** تعالى ورسوله وليس عن هوى أحد من الناس كذبًا وزورًا.

■ وروى الإمام ابن ماجه عن أبى عثمان النهدى رضى **الله** عنه أن رسول **الله** ﷺ قال: «**الحلال ما أحله الله فى كتابه، والحرام ما حرم الله فى كتابه. وما سكت عنه فهو مما عفا عنه**». والحديث الشريف تفسير إجمالى للآية الكريمة.

ثم نزلت سورة البقرة، قال **الله** عز وجل فيها: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾.

فصل **الله** تعالى فى هذه الآية الكريمة بين الحلال والحرام. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾، ولم يقل (يا أيها الناس)؛ لأن **الله** تعالى يخاطب المؤمنين بالصفة التى تربطهم به تعالى، وتقدير القول: يا أيها الذين صدقوا **الله** ورسوله وأذعنوا له بالطاعة، إنه أنسب نداء لمخاطبتهم للإيحاء إليهم أنهم إنما يتلقون الأوامر من **الله** تعالى الذى آمنوا به وأقروا له بالعبودية، ويأخذون عنه الحلال والحرام، وليس عن غيره من الناس فى مجتمعهم، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ**﴾، ﴿**إِنَّمَا**﴾ كلمة تفيد الحصر تتضمن النفى والإثبات، فتثبت ما تناوله الخطاب وتنفى ما عداه، كما قال تعالى فى سورة النساء: ﴿**إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾ [النساء: ١٧١]، أى ما هو إلا إله واحد.

وفسر رسول **الله** ﷺ هذه الآية الكريمة فيما رواه الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى **الله** عنه أن رسول **الله** ﷺ قال: «**يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا. وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين**»، فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾.

وقال **الله** تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**﴾.

ثم ذكر «**الرجل يطيل السفر أشعث أغبر. يمد يده إلى السماء يقول: يا رب.. يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام، وغذى بالحرام، فأنى يستجاب له**»، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**﴾.

أى اطعموا من الرزق الذى أحللنا لكم مما كنتم تحرمونه أنتم، وسبب ذلك أن العرب فى الجاهلية كانوا يحرمون من البحائر والسوائب، فنهى الإسلام عن ذلك التحريم. كما قال تعالى فى سورة المائدة: ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلاَ سَائِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ**﴾ [المائدة: ١٠٣].

فكان الرجل فى الجاهلية إذا قدم من سفر بعيد، أو برئ من علة يقول: ناقتى سائبة. أى تسيّب فلا ينتفع بظهرها، ولا تمنع من كلأ أو ماء ولا تحلب. وكان الكثيرون فى الجاهلية يسيبون الإبل لآلهتهم. كما قال الشاعر:

محرمةٌ لا يطعم الناس لحمها

ولا نحن فى شىء كذاك البحائر

والبحيرة: هى صغير الناقة الأخير. والحام: من الإبل، والوصيلة: من الغنم.

وكان تحريمهم للسوائب والبحائر فى الجاهلية طاعة منهم للشيطان، واتباعًا لأهل الكفر من الآباء والأجداد، فبيّن **الله** تعالى لهم ما حرم عليهم مفصلاً ومفسرًا من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير **الله**.

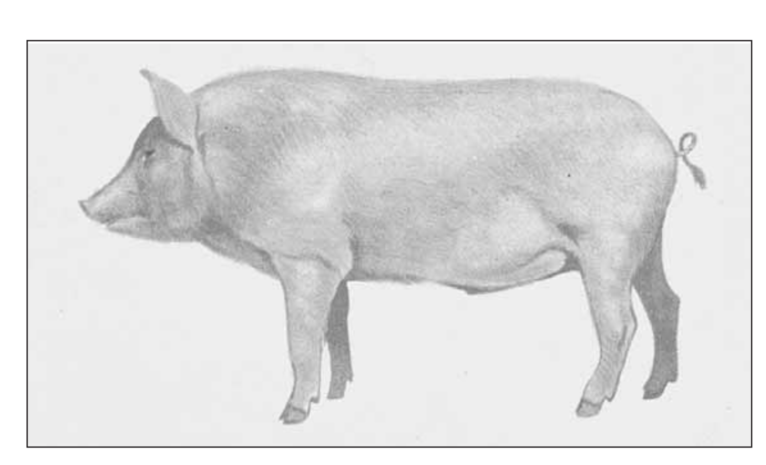
ثم نزل بعد ذلك قول الله تعالى فى سورة المائدة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣].

نزلت سورة المائدة تعدد أنواع الميتة، فبعد التعميم فى سورة البقرة، جاء التفصيل فى سورة المائدة.

تحريم أكل لحم الخنزير (على ضوء العلم الحديث):

يجادل بعض الناس، كما جادل فريق من المعتزلة من قبل، هل حرم الله تعالى أكل لحم الخنزير لضرر فيه يلزم التحريم، أو لسبب آخر سكت النص عنه؟.. ولا شك أن هذا جدل عقيم، وما ينبغى أن يكون، فإن الله عز وجل إذ يحرم طعامًا أو شرابًا فهو يعلم السبب ويحيط بالعلة، سواء ذكر سبب التحريم أو لم يذكره، وسواء كان التحريم لصفة ثابتة فى الطعام المحرم أو لعلة تتعلق بمن يأكله، من ناحيته هو، أو من ناحية مصلحة المجتمع، فالله عز وجل يعلم الأمر كله، والطاعة لأمره واجبة، واستحسان الإنسان أو استقباحه لأمر ليس هو الحكم فيه. وما يراه سببًا قد لا يكون هو السبب، والأدب مع الله تعالى يقتضى تلقى أحكامه بالقبول والتنفيذ، سواء عرف الإنسان الحكمة والسبب، أو ظلت خافية عليه، ونحن إذ نتحدث عن ضرر أكل لحم الخنزير إنما نتحدث لبيان الإعجاز العلمى فى آيات القرآن العظيم والحديث النبوى الشريف، وكيف أن التقدم العلمى فى عصر العلم الحالى قد أظهر لنا بعض أسباب التحريم.

ولحم الخنزير إذا تناوله الإنسان طعامًا فإنه عسر الهضم جدًّا، إن أى لحم مكون من خلايا عضلية خيطية الشكل تجمعها حزم تسمى الألياف العضلية، وتختلف الألياف فى الطول، فقد تكون قصيرة جدًّا فتجعل اللحم طريًّا كما هو الحال فى لحم السمك وكما فى الدجاج والأرانب، وقد تكون طويلة كما هو الحال فى لحم الخنزير، ويجمع الألياف العضلية نسيج ضام، يحتوى على كميات مختلفة من الدهون. وكلما كثرت الدهون كان هضمها عسرًا، وكلما طالت الألياف العضلية كان هضمها عسرًا كذلك، ولحم الخنزير ذو ألياف عضلية ومن أكثر لحوم الحيوان دهونًا. ومن هذا نفهم أن لحم الخنزير من أكثر اللحوم عسرًا فى الهضم.



ونزل الوحى الإلهى بتحريم أكل لحم الخنزير فى أربع آيات من سور الأنعام والنحل والبقرة والمائدة كما تحدثنا من قبل، ولم يكتشف العلم بعض الأضرار التى يسببها أكل لحم الخنزير إلا منذ مطلع القرن الحالى، أما قبل ذلك فكانت كل أضرار لحم الخنزير مجهولة للإنسان تمامًا، وبالتالى لم تكن الأسباب العلمية فى التحريم معروفة قط. وشيئًا فشيئًا كشف العلم عن الوجه القبيح فى لحم الخنزير. فاكتشف أول ما اكتشف أن أكثر الطفيليات التى تصيب الإنسان بالأمراض الطفيلية تجد لها فى جسد الخنزير

مرتعًا خصيبًا، وذلك أمر منطقى فإن الخنزير لا يقبل إلا على القاذورات والقمامة، ولا يتناول من الطعام إلا ما كان قذرًا ومنتنًا، ولحمٌ بُنِىَ من مثل هذا الغذاء لا يمكن أن يكون نقيًّا نقاء لحوم الحيوانات الأخرى التى تأكل الخضراوات الطازجة غير الملوثة. وعادات الخنزير القذرة فى تناول طعامه جعلت الكثير من الطفيليات تسكن فيه، وتتخذ من جسمه طورًا من أطوار دورة حياته، ولحم كهذا تعافه النفس السوية السليمة.

ويشترك الخنزير مع بعض الحيوانات الأخرى فى نقل بعض الأمراض للإنسان ـ الطفيلية والبكتيرية ـ إلا أن الخنزير ينفرد بنقل بعض الأمراض الشديدة للإنسان، ولا ينقلها إلى الإنسان غيره. وتتصف الأمراض التى ينقلها الخنزير إلى الإنسان بأنها لا تستجيب لأى علاج، ولا شفاء منها، ومن تلك الأمراض التى ينفرد الخنزير بنقلها إلى الإنسان: مرض الديدان الشعرية الحلزونية Trichinella Spiralis ومرض الدودة الشريطية الخنزيرية Taenia Soliun.

أما مرض الديدان الشعرية الحلزونية فهو مرض يسبب وجود أكياس تحتوى على يرقات لديدان شعرية حلزونية فى جسم الفئران والخنازير؛ ذلك لأن الخنزير يأكل الفئران الميتة، وتنقل إلى الإنسان الذى يأكل لحم الخنزير المصاب بها، فما إن تصل تلك الأكياس إلى أمعاء الإنسان حتى تخرج الديدان منها[*] وسرعان ما تنتشر يرقاتها فى أنحاء جسم الإنسان وتتحوصل فى عضلاته أو فى قلبه أو مخه أو فى كل هذه الأماكن جميعًا، وتسبب للمريض ألمًا وعذابًا ولا تتركه إلى أن يموت، فلا يوجد علاج ناجع للأطوار المتأخرة لهذا المرض.

وتلك الحويصلات المنتشرة فى أعضاء الجسم المختلفة طول كل منها نحو نصف ميللى متر وعرضها ربع ميللى متر، فهى حويصلات لا ترى بالعين المجردة إلا كنقط بيضاء صغيرة فى اللحم، وتظل يرقة حية داخلها، طولها نحو ميللى متر؛ لذلك تلتف حول نفسها داخل الحويصلة، وتظل حية لسنوات عديدة، وقد تستمر طوال الحياة فى أعضاء جسم الإنسان.

أما مرض الإصابة بالدودة الشريطية الخنزيرية:

فهذه الدودة عبارة عن شريط به مئات العقل قليلة السمك جدًّا، فهى فى سمك ميللى متر تقريبًا، أما طولها فهو عدة أمتار.. قد تصل إلى عشرة أمتار، وعدد العقل فيها بالمئات، وكل عقلة بها الأعضاء الجنسية المذكرة والمؤنثة معًا، وتخرج من المبيض فى كل عقلة، مئات البويضات، فى كل منها يرقة كاملة النمو تسبب الإصابة بالدودة لمن يأكلها. والدودة الشريطية الخنزيرية تعيش فى أمعاء الإنسان المصاب بها، وتخرج البويضات فى برازه. ولما كان من طبيعة الخنزير أن يقبل على أكل القاذورات الملوثة بفضلات الإنسان والحيوان، فإن البويضات تصل إلى أمعاء الخنزير حيث تفقس وتخرج منها اليرقات التى تخترق جدار أمعاء الخنزير وتتحوصل فى عضلاته، وهى حويصلات صغيرة جدًّا لا تزيد الواحدة منها على حجم رأس دبوس صغير. وإذا تناول إنسان لحم خنزير مصابًا ـ ولم يطبخ جيدًا طبخًا

(*) فعندما يأكل إنسان لحم خنزير مصاب إذا لم يطبخ جيدًا ـ وهذا ما يحدث كثيرًا ـ فإن اليرقات تتحرر فى أمعاء الإنسان، وتنمو هناك إلى دودة من ذكر وأنثى، وهى ديدان صغيرة جدًّا لا ترى بالعين المجردة، وبعد التلقيح تلد الأنثى نحو ألف وخمسمائة يرقة تخترق جدار الأمعاء.

يقتل اليرقات التى فى داخل الحويصلات ـ فإن اليرقات تخرج فى أمعاء الإنسان، وتتحول بعد ذلك إلى دودة شريطية خنزيرية كاملة تتعلق بجدار الأمعاء. وتتزاوج الدودة الشريطية البالغة الطويلة وتلتف حول نفسها فى الأمعاء وتتزاوج عقل الدودة الشريطية بعضها ببعض؛ أى أن الجهاز التناسلى المذكر فى عقلة، يلقح الجهاز التناسلى المؤنث فى عقلةٍ أخرى، وتخرج البويضات فى براز الإنسان المصاب، وتصل فى النهاية إلى الخنزير.

ولا يقتصر خطر الدودة الشريطية الخنزيرية على وجودها فى أمعاء الإنسان المصاب بها، فهذا لا يضره ضررًا بليغًا، أما الضرر البليغ فيحدث عندما تفقس البويضات فى أمعاء الإنسان المصاب نفسه وتنطلق منها اليرقات ـ كما يحدث فى أمعاء الخنزير الذى يتناولها فى طعامه ـ وتخترق جدار أمعاء الإنسان المصاب نفسه، وتتحوصل فى لحمه وأعضاء جسمه الأخرى، وتُحدث أعراضًا مرضية مختلفة تبعًا للعضو الذى استقرت فيه الحويصلات، وقد تستقر فى المخ أو العين أو القلب أو أى عضو آخر، ولا يوجد علاج لهذا الطور من المرض ولا شفاء منه.

وإذا تحدثنا عن الأمراض التى ينقلها الخنزير إلى الإنسان، فسوف نتحدث طويلاً فهى نحو خمسين مرضًا، ولكننا أعطينا مثلين شائعين فقط؛ لنبيّن الهدف من البحث، وهو الإعجاز العلمى فى القرآن العظيم، فقد حرم أكل لحم الخنزير، ولم يذكر السبب فى ذلك، وتركه لتفكير العلماء وبحثهم عبر العصور، حتى إذا جاء عصر العلم الحالى، وجد الأسباب الصحية التى تحتم تحريم أكل لحم الخنزير. ويجادل بعض المعارضين فيقولون إنه من الممكن جدًّا أن نتفادى حدوث هذه الأمراض بطبخ لحم الخنزير جيدًا، فتموت تلك اليرقات المتحوصلة فى اللحم. وهذا رأى صحيح علميًّا، إلا أنه مجرد فرض علمى؛ لأنه لا يحدث فى معظم الأحيان، فكثير من الناس من آكلى لحم الخنزير لا يستسيغون تناول اللحم إلا نصف مطبوخ، وبعضهم الآخر يفضل أن يأكله نيئًا. وكما أن تلك الديدان لا تموت إلا بالطبخ الجيد، فهى أيضًا لا تموت ـ ولو حفظ لحم الخنزير مثلجًا ـ لعدد من الشهور.

وكل هذه الاحتياطات ضد حدوث العدوى من لحم الخنزير إنما هى احتياطات نظرية فقط، والدليل على ذلك: استمرار الدورة الحيوية حتى اليوم لهذه الأنواع من الطفيليات التى ينقلها أكل لحم الخنزير. وفضلاً عن كل ذلك؛ فإن لحم الخنزير ولو لم يكن مصابًا بتلك الأمراض، فهو أكثر لحوم الحيوان دهونًا وأملاحًا، وبالتالى فهو أكثرها ضررًا بشرايين الجسم، الأمر الذى يسبب فى آكل لحم الخنزير والمتعود عليه أمراضًا كثيرة.

هل فى الخنزير فوائد للإنسان؟

يقول بعض العلماء إن الخنزير حيوان يفيد الإنسان فى كثير من الأمور غير أكل لحمه، فهو يصلح للتجارب العلمية، ومنه تُستخلص بعض الهرمونات المفيدة فى علاج بعض أمراض الإنسان. ويمكن نقل صمامات قلبه إلى قلب إنسان تلفت صمامات قلبه، وتنجح العملية، ويعيش الإنسان المريض. ونحن لا نعترض على ذلك، فالآيات الكريمة إنما حرمت أكل لحم الخنزير، والحديث الشريف حرم بيعه والاتجار به، كما حرم بيع الخمر والاتجار فيها.

■ فقد روى الإمام البخارى عن جابر رضى **الله** عنه أن رسول **الله** ﷺ حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام. فقيل يا رسول **الله**: أرأيت شحوم الميتة يُطلى بها السفن، ويدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس. فقال: «**لا، هو حرام**»، قوله هذا يشير إلى حرمة بيعه، وهذا رأى الإمام الشافعى.

أما ما يستفاد من أى حيوان سواء كان الخنزير أو غيره من جلد مدبوغ أو هرمونات أو غير ذلك، مما يستفاد منها علميًّا ولا تؤكل، فالإسلام لم يحرم ذلك، فقد روى الإمام البخارى عن ابن عباس رضى **الله** عنهما أن رسول **الله** ﷺ مر بشاة ميتة فقال: «**هلا انتفعتم بإهابها**». فقالوا إنها ميتة، فقال: «**إنما حرِّم أكلها**»، وقول رسول **الله** ﷺ يجوز على الخنزير أيضًا؛ لأن تحريم الميتة ولحم الخنزير جاء فى حكم واحد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ**﴾.

الجدل حول تحريم أكل لحم الخنزير جدل لا مبرر له:

ولماذا الجدل حول تحريم أكل لحم الخنزير وقد حرمه **الله** تعالى، وهو تعالى أعلم بخلقه؟ ولماذا لا يجادل أحد فى العزوف عن أكل لحم السباع والضباع والثعالب والذئاب؟ أليست هى الأخرى حيوانات خلقها **الله** تعالى، وحرم أكل لحومها أيضًا. وإذا كان القرآن الكريم سكت عن ذلك، فإن الحديث النبوى الشريف ذكر ذلك التحريم، فقد جاء فى كتب السنة أن رسول **الله** ﷺ حرم بالمدينة أكل كل ذى ناب من السباع (أى الحيوان) وكل ذى مخلب من الطير.

ولم يحرم أكل الميتة ولحم الخنزير لنجاسته فقط، ولكن لما تسبب من أمراض مهلكة لآكلها، فقد روى الإمام أحمد فى المسند أن أبا ثعلبة الخشنى سأل رسول **الله** ﷺ قال: يا نبى **الله** إن بأرضنا أهل كتاب، وإنهم يأكلون لحم الخنزير ويشربون الخمر، فكيف نصنع بآنيتهم وقدورهم. فقال ﷺ: «**إن لم تجدوا غيرها فأرحضوها واطبخوا فيها واشربوا**»، أرحضوها أى اغسلوها جيدًا.

إذن فليس التحريم للنجاسة، وإنما التحريم لما تسبب من أمراض وأضرار.

ولماذا حرم **الله** تعالى أكل لحم السباع وما إليها من الحيوان والحدأة والصقر وما إليها من الطيور، ولم يكتشف العلم بعد أن أكل لحومها ينقل أمراضًا للإنسان؟

إنه سؤال تصعب علينا الإجابة عنه، فليس لدينا حتى الآن حصيلة من العلم تعيننا على الإجابة الصحيحة إلا أن هناك احتمالاً قد يكون صحيحًا وقد لا يكون، وهو أن التعود على أكل نوع من اللحم قد يغير من طباع الإنسان الآكل له إلى طباع تشبه طباع الحيوان صاحب اللحم المأكول. ويساند هذا الاحتمال ما كتبه الإمام ابن سينا والإمام ابن القيم، فقد ذكر ابن سينا فى كتابه (القانون) فى الطب أن طباع الإنسان وسلوكه يقاربان كثيرًا طباع الحيوان الذى يأكل لحمه.

وذكر الإمام ابن القيم مثل ذلك فى كتابه (زاد المعاد فى هدى خير العباد) قال إنه ثبت فى الصحيحين عن جابر رضى **الله** عنه أنه سمع رسول **الله** ﷺ يقول: «**إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام**»، إلى آخر الحديث الشريف. وقال الإمام ابن القيم: إن هذا الحديث الشريف اشتمل على تحريم ثلاثة أجناس: مشارب تفسد العقول، ومطاعم تفسد الطباع، وأعيان تفسد الأديان وتدعو إلى

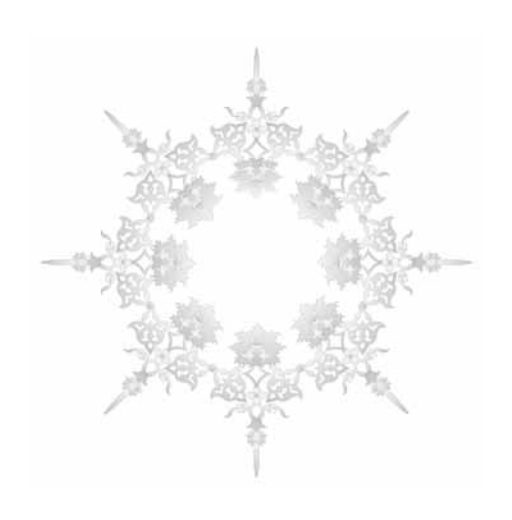
الشرك. إلا أنه استدرك قائلاً إن معرفة معانى كلمات الحديث النبوى الشريف يختلف العلماء فى تأويلها، إذن فمن رأى كل من ابن سينا وابن القيم أن أكل لحم الخنزير يغير من طباع آكله بحيث تقارب طباع الخنزير.

لقد نزل الوحى الإلهى فى القرآن والسنة يحرم أكل الميتة ولحم الخنزير، وظل الناس لا يعلمون عن أخطاره الصحية قرونًا وقرونًا، حتى تقدم علم الإنسان أخيرًا واكتشف بعض ما فى أكل لحم الخنزير من أخطار صحية، ولا يزال العلم يكتشف كل يوم جديدًا، ومن المتوقع أن يكتشف العلم ـ مستقبلاً ـ أخطارًا جديدة؛ نتيجة أكل الميتة، ولحم الخنزير أشد فتكًا بالإنسان من تلك الأخطار التى اكتشفناها حتى اليوم.

والله عز وجل هو الذى خلق الخلق، ويعلم أسرار خلقه، وهو القائل عز وجل: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ**﴾ [البقرة: ١٧٣].

وهل كان أكل لحم الخنزير محرمًا على الأمم السابقة أيضًا؟

ذكر الإمام ابن كثير عن أبى الطفيل أنه قال: (نزل آدم بتحريم أربع: الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله. وإن هذه الأربعة لم تحل قط منذ خلق الله السموات والأرض. وأُرسل موسى عليه السلام بتحريمها كما أُرسل عيسى عليه السلام بتحريمها أيضًا).



٢ الميتـــــــــة مـن الدواب

■ روى الإمام البخارى عن ابن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب، عن عبيد **الله** بن عبد **الله**، عن ابن عباس رضى **الله** عنهما قال: وجد النبى ﷺ شاة ميتة. قال النبى ﷺ: «**هلا انتفعتم بجلدها؟**»، قالوا: إنها مَيْتة. قال: «**إنما حَرُم أكلها**».

■ روى البخارى عن زهير بن حرب، عن يعقوب بن إبراهيم، عن أبى صالح، عن ابن شهاب أن عبيد **الله** بن عبد**الله**، عن عبد**الله** بن عباس قال: مر رسول **الله** ﷺ بشاة ميتة فقال: «**هلا انتفعتم بإهابها؟**» قالوا: إنها مَيْتَةٌ. قال: «**إنما حُرِّم أكلها**».

وقام بذلك التشريع أن كل ما عدا أكلها مباح، وذكر الزهرى أن الانتفاع بجلود الميتة قبل الدباغ وبعده مباح.

■ وفى رواية الإمام أحمد، عن مالك، عن يزيد بن عبد**الله** بن قسيط، عن محمد بن عبدالرحمن بن ثوبان، عن أمه، عن السيدة عائشة أن رسول **الله** ﷺ أمر أن ينتفع بجلود الميتة إذا دبغت.

■ روى الإمام أحمد عن شريك، عن الأعمش، عن عمارة بن عمير، عن الأسود عن السيدة عائشة أن النبى ﷺ سئل عن جلود الميتة فقال: «دباغها طهورها».

■ روى البخارى عن يونس، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة أن رسول **الله** ﷺ قال: «**قاتل الله يهودا. حُرِّمت عليهم الشحوم، فباعوها وأكلوا ثمنها**».

ـ وفى رواية جابر أن النبى ﷺ قال «**لا يذاب شحم الميتة ولا يُباع ودكه**»، والودك: دسم اللحم. ويقال دجاجة وديكة أى سمينة.

■ روى مسلم عن ليث بن أبى حبيب، عن عطاء بن أبى رباح، عن جابر بن عبد**الله**، أن رسول **الله** ﷺ قال: «**إن الله ورسوله حرّم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام**»، قالوا: أرأيت شحوم الميتة، فإنه يطلى بها السفن، ويستصبح بها الناس؟ قال: «**لا، هو حرام**».

■ روى الإمام أحمد عن الأوزاعى، عن حسان بن عطية، عن أبى واقد الليثى قال: قلت يا رسول **الله**: إنا بأرض تصيبنا فيها مخمصة. فما يحل لنا من الميتة؟ قال: «**إذا لم تصطبحوا، ولم تغتبقوا، ولم تحتفئوا بقلاً، فشأنكم بها**».

إذا لم تصطبحوا: أى لم تجدوا ما تصطبحون به من لبن ـ إذا أصبحتم ـ.

ولم تغتبقوا: أى لم تسقوا ما تطعمون به فى العشاء ـ إذا أمسيتم ـ.

ولم تحتفئوا بقلاً: أى لم تجدوا بقلاً يصلح لكم طعامًا فى الأرض.

فشأنكم بها: أى خذوا منها ما يسد الرمق، ويحول دون الموت جوعًا.

■ روى الإمام مسلم والإمام أبو داود عن يحيى بن يحيى، عن أبى خيثمة، عن أبى الزبير، عن جابر قال: بعثنا رسول **الله** ﷺ وأمّر علينا أبا عبيدة، نتلقى عيرًا[١] لقريش، وزودنا جرابًا[٢] من تمر لم يجد لنا غيره. فكان أبو عبيدة يعطينا تمرةً تمرةً. قال: قلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نَمَصُّها كما

---

(١) عيرًا: قافلة من الإبل تحمل الطعام وغيره.

(٢) جرابًا: وعاء من جلد.

يَمَصُّ الصبى. ثم نشرب عليها الماء. فتكفينا يومنا إلى الليل. وكنا نضرب بعصينا الخَبَطَ[1]. ثم نبله بالماء فنأكله. قال: وانطلقنا إلى ساحل البحر. فرُفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم[2]. فأتيناه فإذا هو دابة تدعى العنبر[3]. قال: قال أبو عبيدة: إنها ميتة. ثم قال: لا. بل نحن رسلُ رسول **الله** ﷺ، وفى سبيل **الله**، وقد اضطررتم فكلوا. قال: فأقمنا عليه شهرًا[4]. ونحن ثلاثمائة حتى سمُنّا، وكنا نقتطع منه الغِدْر[5] كالثور (أو كقدر الثور) وأخذنا ضلعًا من أضلاعه فأقامها ثم رَحَل أعظم بعير معنا[6] فمر من تحتها. وتزودنا من لحمه وشائق[7]. فلما قدمنا المدينة أتينا رسول **الله** ﷺ، فذكرنا ذلك له. فقال: «**هو رزق أخرجه الله لكم. فهل معكم من لحمه شىء فتطعمونا**»، قال: فأرسلنا إلى رسول **الله** ﷺ منه. فأكله[8].

■ روى ابن ماجه ومالك عن هشام بن عمّار، عن مالك بن أنس، عن صفوان بن سليم، عن سعيد بن سلمة، عن المغيرة بن أبى بردة عن أبى هريرة قال: جاء رجل إلى رسول **الله** ﷺ فقال: يا رسول **الله**، إنا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أنتوضأ من ماء البحر؟ فقال رسول **الله** ﷺ: «**هو الطهور ماؤه الحلُّ ميته**».

ـ ميتة البحر هو كل حيوان بحرى مات فى البحر.

■ وفى رواية أخرى للإمام ابن ماجه، عن أحمد بن حنبل، عن أبى القاسم بن أبى زناد، عن إسحق بن حازم، عن ابن مقسم، عن جابر أن النبى ﷺ سئل عن ماء البحر، فقال: «**هو الطهور ماؤه، الحل ميتته**».

تحريم أكل الميتة (على ضوء العلم الحديث)[*]:

حرم **الله** تعالى أكل الميتة إجمالاً فى سورة البقرة، ثم نزل قوله تعالى فى سورة المائدة فحرم أكل الميتة تفصيلاً، وبيّن أنواعها كالمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع، أى ما افترسه كل ذى ناب من الوحش.

وكل هذه الأنواع تجتمع فى صفة واحدة، وهى أنها ميتة، أى ماتت بدون ذبح وفيها حياة أيًّا كان نوع الإصابة، ولسنا نتحدث هنا عن الحكمة فى تحريمها، فقد يصل الإنسان إلى ذلك أو لا يصل، فيكفى أن **الله** تعالى حرمها؛ فـ**الله** عز وجل لا يحرم إلا الخبائث التى تضر بالإنسان، سواء علم الإنسان بالعلة أو لم يعلم.

---

(١) الخبط: ورق شجر السّلم.
(٢) كهيئة الكثيب الضخم: أى مرتفع من الرمل.
(٣) العنبر: هى من دواب البحر من نوع الحيتان.
(٤) فأقمنا عليه شهرًا: وفى رواية (نصف شهر) أى ظلوا يأكلون منه شهرًا أو نصف شهر، وأغلب الظن أن الوقت كان فى الشتاء؛ لأن لحم الحوت ظل صالحًا للأكل طوال الشهر.
(٥) الغدر: القطع: أى قطعوه قطعًا كبيرة، كل منها فى حجم الثور.
(٦) رَحَل البعير: أى جعل عليه رحلا.
(٧) وشائق: الوشيقة القديد. أى جففوا شرائح من لحمه لتؤكل عند الطلب.
(٨) فأكله: أى أكل منه رسول **الله** ﷺ ولم يكن مضطرًا لأكله. فثبت بذلك شرعًا أن مَيْتة البحر يحل أكلها، ولو لم يكن الإنسان مضطرًا لأكلها.
(*) من موسوعة المعارف الطبية فى ضوء القرآن الكريم. للمؤلف.

ومن خلال التقدم العلمى استطعنا أن ندرك بعض أسباب تحريم أكل الميتة، وكيف أن أكل الميتة يؤدى إلى أخطار كثيرة بصحة الإنسان. ونناقش أولاً ما يحدث فى جسم الميتة من الحيوان: تتكاثر الجراثيم الضارة فى جسم الميتة. وتبدأ فور الموت عمليات التعفن والتحلل المختلفة. ووجود الدم الذى لم يُصَفّ من الجسم بالذبح، يساعد على سرعة تكاثر الجراثيم ويعمل على سرعة عمليات التعفن. وتفرز الجراثيم سمومها فى لحم الميتة، وسرعان ما يصير جسم الحيوان الميت وكأنه مزرعة للجراثيم الضارة وسمومها القاتلة، فلو أكل الإنسان من لحم الميتة فكأنه تناول سمومًا. وتتفاوت الجراثيم فى خطرها، وبالتالى تتفاوت نواتج التعفن والتحلل فى أخطارها الصحية لمن يتناولها طعامًا. ولم يكن الناس قبل عصر العلم الحالى يدركون أسرار الأخطار الصحية فى أكل لحم الميتة. وكان خطر أكل لحم الميتة فى فهمهم منحصرًا فى سوء طعمه ورائحته مما تعافه النفس. أما فى عصر العلم الحالى فقد تبين لنا بعض أوجه العلم فى قول **الله** عز وجل: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ**﴾ [البقرة: ١٧٣].

أكل لحم بعض الميتة لا يضر:

لحم بعض الميتة لا يضر إذا تناوله الإنسان طعامًا فى حالات معينة، إذا لم تحدث فيه عمليات التعفن والتحلل، وبالتالى لم تتكاثر فى لحمها، لذلك لا يفسد لحمها، ومثال ذلك ميتة البحر، وما هى ميتة البحر؟ هو ما خرج من حيوان البحر حيًّا ومات بعد خروجه منه. فماء البحر يحتوى على أملاح تحفظ له طهره ونقاءه، فلا تتكاثر فيه الجراثيم الضارة، وبالتالى لا تفسد لحوم ميتة البحر إلا بعد مضى وقت، أو إذا لم تحفظ جيدًا بعد خروجها من البحر وموتها بعد ذلك.

ومن هنا نفهم بعض المغزى العلمى فى حديث نبوى شريف رواه الإمامان أحمد وأبو داود عن أبى هريرة رضى **الله** عنه، أن رسول **الله** ﷺ قال عن البحر: «**هو الطهور ماؤه الحل ميتته**».

وبذلك قام التشريع على عدم حرمة أكل لحم ميتة البحر (أى ما يخرج من الأسماك وحيوان البحر حيًّا من البحر ثم يموت بعد خروجه من البحر)، ولقد فهمنا المغزى العلمى فى الحديث الشريف، وروى الإمام البخارى فى كتاب الذبائح والصيد أن شريحًا رضى **الله** عنه قال: (كل شىء فى البحر مذبوح). أى كل حيوان بحرى يخرج من البحر حيًّا ثم يموت على الشاطئ يعتبر مذبوحًا، أما ما يموت من حيوان البحر فى البحر نفسه، فيتحلل جسمه فيطفو على سطح الماء، حينئذ لا يصلح طعامًا للإنسان. ومن هنا ندرك بعض أوجه العلم فى حديث نبوى شريف رواه الإمام أبو داود عن جابر رضى **الله** عنه أن النبى ﷺ قال: «ما ألقى البحر أو جزر عنه فكلوه. وما مات فيه وطفا فلا تأكلوه».

قول **الله** عز وجل: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا**﴾ [فاطر: ١٢] قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا**﴾، يضع ميتة البحر وميتة النهر فى حكم واحد.

وجاء فى الصحيحين عن جابر رضى **الله** عنه أنه خرج مع أبى عبيدة يتلقى عيرًا لقريش قال: فانطلقنا على ساحل البحر. فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم. فأتيناه فإذا هو دابة تُدعى العنبر (يعنى حوت العنبر)، فقال أبو عبيدة: إنه ميتة. ثم قال: بل نحن رسل رسول **الله** ﷺ وقد اضطررتم فكلوه. ثم قدمنا المدينة فأتينا رسول **الله** ﷺ فذكرنا ذلك له. فقال: «**هو رزق أخرجه الله**

لكم، **فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟**»... قال: فأرسلنا إلى رسول **الله** ﷺ فأكل منه، وبذلك قام التشريع على أن أكل ميتة البحر حلال مطلقًا ولو لم يكن الإنسان مضطرًا لأكله؛ لأن رسول **الله** ﷺ أكله من غير اضطرار.

وماذا عن الدم؟

علمنا أن الجراثيم تتكاثر فى الدم فى حالة المرض، فضلاً عن أنه يحتوى على نواتج عمليات الأيض، وهى مواد ضارة يحملها الدم إلى الكبد والكلى، وهناك يتخلص منها الجسم. فالدم مزرعة تتكاثر فيها الجراثيم فى جسم الميتة، فالدم على أية حال لا يصلح طعامًا للإنسان لأنه يحمل ضررًا، لذلك فهو حرام، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ**﴾، وتتكاثر الميكروبات فى الدم، أو تتواجد فيه إلا أن الجسم يتخلص منها ويقضى عليها بواسطة عدد من خطوط الدفاع فيه، ومن خطوط الدفاع ضد الجراثيم فى الجسم، كرات الدم البيضاء التى تلتهم الجراثيم وتقضى عليها والخلايا الملتهمة بالجسم Macrohages، وهى خلايا تتجمع حيث توجد الجراثيم وتلتهمها. ومن خطوط الدفاع أيضًا «الأجسام المضادة» التى يفرزها جهاز المناعة بالجسم فتعمل على القضاء على الميكروبات الضارة. وأجهزة المناعة فى الجسم أنواع وأشكال، ليس هنا مجال الحديث عنها إلا أنها فى غاية الدقة والإتقان وفى قمة الإبداع والإعجاز الذى لا يقدر عليه إلا **الله** عز وجل.

ومن خطوط الدفاع فى الجسم أيضًا جهاز يسمى «الجهاز الشبكى البطانى» أو «الخلايا الشبكية البطانية»، وهى خلايا كثيرة ومتعددة، وتوجد فى كثير من أعضاء الجسم، وأكثر وجودها فى جدران أوعية الدم بالكبد وجدران أوعية الدم بالطحال.

ولما كان الدم فى دورة سريعة فإنه لابد أن يمر بالكبد والطحال وما فيهما من الخلايا الشبكية البطانية أو الجهاز الشبكى البطانى(*)، تلك الخلايا التى تلتهم الجراثيم التى تسبح فى مجرى الدم وتقضى عليها، وفضلاً عن القضاء على الميكروبات، فإن الكبد يعالج المواد السامة بالدم من خلال عمليات حيوية كثيرة ومعقدة، وينقى الدم منها، إذن فالدم بالكبد والطحال، هو أنقى دم فى الجسم، وأكثره خلوًّا من الجراثيم ونفايات عمليات الأيض بالجسم، فضلاً عن أنه لا يمكن استخلاص الدم من الكبد أو الطحال استخلاصًا تامًّا، وهذه الحقائق العلمية لم تكتشف إلا حديثًا، وساعدتنا على تفهم بعض الجوانب العلمية، والإعجاز العلمى فى حديث رسول **الله** ﷺ: «**أحلت لكم ميتتان ودمان، فأما الميتتان فالحوت والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال**».

لماذا حرم الله تعالى أكل لحم الميتة؟

الميتة إما أن تكون منخنقة أو موقوذة أو متردية أو نطيحة أو ما أكل السبع، كما أخبرنا **الله** تعالى فى سورة المائدة: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ**﴾ [المائدة: ٣].

(*) Reticuloendothelial System.

وما ذبح على النصب: النصب حجر كان ينصب وتصب عليه دماء الذبائح، أو هى حجارة كانت حول مكة كانوا يذبحون عليها، لذلك فهى وإن كانت مذبوحة إلا أنها أهلَّ بها لغير **الله**، وبذلك حرمت.

والمنخنقة: هى التى تموت خنقًا. وكانوا فى الجاهلية يخنقون الشاة وغيرها فإذا ماتت أكلوها، فحرم الإسلام أكل لحم المنخنقة من الحيوان، وما زالت عادة أكل لحم المنخنقة متفشية فى العالم الغربى حتى اليوم.

والموقوذة: هى التى تضرب بحجر أو عصا حتى تموت، وكانوا فى الجاهلية يضربون الشاة حتى تموت ويأكلونها.

والمتردية: هى التى تسقط من علو إلى أسفل فتموت.

والنطيحة: هى الشاة تنطحها أخرى فتموت قبل أن تذكى، تذكى (أى تذبح وفيها رمق من الحياة).

وما أكل السبع: أى ما افترسه ذو ناب أو ظفر من الحيوان.

ولقد تحدثنا عن الحكمة العلمية فى تحريم أكل لحم الميتة والدم، وما كانت الحكمة العلمية فى ذلك معروفة إلا من خلال التقدم العلمى فى عصر العلم الحالى.

وماذا فى حالة الاضطرار إلى أكل لحم الميتة؟

روى الإمام أحمد فى المسند عن أبى واقد الليثى قال: قلت يا رسول **الله**، إنا بأرض تصيبنا بها مخمصة (أى مجاعة) فما يحل لنا من الميتة؟ فقال النبى ﷺ: «**إذا لم تصطبحوا ولم تغتبقوا ولم تحتفئوا بقلا فشأنكم بها**».

إذا لم تصطبحوا: أى لم تجدوا ما تصطبحون به من لبن ناقة أو شاة.

ولم تغتبقوا: أى لم تسقوا ما تطعمون.

ولم تحتفئوا: أى لم تجدوا بقلا يصلح لكم طعامًا فى الأرض.

أى إذا تعرضتم للمجاعة ولم تجدوا شيئًا إلا لحم ميتة، فكلوا منها ما يسد الرمق ويمنع الموت جوعًا، وهذا تفسير لقول **الله** تعالى: ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ**﴾ [البقرة: ١٧٣].

لقد حرم **الله** تعالى أكل لحم الميتة، وقد يصل الإنسان إلى المغزى العلمى فى ذلك وقد لا يصل. وما كان الناس قديمًا يدركون العلة فى التحريم، ولا السبب العلمى فى ذلك، إلا أن التقدم وضح لنا الأسباب لتحريم أكل لحم الميتة، والإعجاز العلمى فى الآيات الكريمة.

وذكرنا أن الجراثيم الضارة تتكاثر فى لحم الميتة، وتفرز فيها سمومها الفتاكة، ويساعد على سرعة تكاثر الجراثيم وجود الدم الذى لم يُصَفَّ بالذبح، وتحدث عمليات التعفن والتحلل سريعًا، وتتفاوت الجراثيم فى آثارها وأخطارها وقدرتها على تحمل الحرارة، لذلك فإن منها ما يموت بالطبخ ومنها ما لا يموت. إلا أن معظم السموم لا يقل مفعولها بطبخ لحم الميتة، فالذى يأكل لحم ميتة مطبوخًا إنما يأكل لحمًا مسمومًا، ولم يكن الناس قديمًا يدركون هذه الحقائق العلمية، وبالتالى ما كانوا يدركون المغزى العلمى للآيات الكريمة، التى تتحدث عن تحريم أكل لحم الميتة والدم، ولا الحكمة العلمية فى إباحة الرسول ﷺ أكل ميتة البحر والكبد والطحال ـ وليس الكبد والطحال من ميتة ولكن الكبد والطحال من

حيوان قد ذبح كما أمر **الله** ورسوله ـ وإنما أباحهما الرسول ﷺ لأن فى كل منهما دمًا، ولا يمكن استخلاص الدم من كل منهما، فبين الرسول ﷺ أن أكلهما مباح مع أن فى كل منهما دمًا، وذكرنا الحكمة العلمية فى ذلك، أما أكل كبد أو طحال من ميتة فحكمه حكم أكل لحم الميتة؛ لأن مراحل العفن تكون قد دبت فى كل منهما.

ومن المعلوم أن القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف هما من مصدر واحد وهو الوحى الإلهى، ونزل الوحى الإلهى للناس فى كل زمان ومكان وإلى يوم القيامة، كل عصر يفهم من الحقائق العلمية التى ذكرها القرآن والحديث النبوى على قدر علمه وطاقة فهمه، ويأتى بعده عصر ارتقى فيه العلم فيصل الناس فيه إلى فهم وجه آخر من وجوه العلم فى الآية أو الحديث، لم يكن السابقون على علم به، أما علم **الله** تعالى فهو علم لا نهاية له، ولا يعد علم الإنسان بجانبه شيئًا مذكورًا.

وحديثًا جدًّا فى عام ١٩٩٧ ظهرت لنا حكمة علمية أخرى فى تحريم أكل لحم الميتة مما يضيف إلى الآيات التى نزلت بتحريمه إعجازاً فوق إعجاز، وذلك فى موضوع جنون البقر الذى حدث فى بريطانيا. والموضوع فى إيجاز شديد أن المربين للبقر هناك كانوا يجففون لحم الميتة من البقر والماشية، ويستخدمونها علفًا للبقر فى مزارع التربية والتسمين. وحدث أن أَكْل لحم هذه الأبقار سبّب مرضًا للناس الذين أكلوها، كما سبب للبقر الذى تناولها علفًا أيضًا، مرضًا بالمخ وسبب أعراضًا عصبية، أُطلق عليها اسم مرض جنون البقر.

واكتشف حديثًا جدًّا أن سبب حدوث المرض ليس الجراثيم والسموم، ولكنه تغير كيميائى حدث فى لحم الميتة، نتجت عنه مواد عضوية فى اللحم أكثر تأثيرًا من السموم، فهى تسبب مرضًا خطيرًا بالخلايا العصبية فى الجهاز العصبى المركزى وتدمرها فيصير المخ كالإسفنج. وما يحدث للبقر الذى يأكل لحم الميتة، يحدث للإنسان الذى يأكل من لحم ذلك البقر، ومثله يحدث للإنسان الذى يأكل لحم الميتة. وتمر سنوات طويلة قبل ظهور أعراض ذلك المرض فى الإنسان، لذلك لم يلاحظ الناس ذلك المرض من قبل، وما عرفوا من أسراره شيئًا. ومنذ أيام أيضًا ظهرت تقارير علمية تعلن عن خطر جديد لم يكن معروفًا من قبل، وهو أن أخطر ما فى لحم الميتة يكمن فى شحومها، وهكذا ظهرت للناس أسباب تحريم أكل لحم الميتة، سببًا وراء سبب، مما لم يكن العلماء يعلمون عنه شيئًا من قبل. إلا أن ذلك ذكر فى القرآن الكريم إجمالاً وفى الحديث النبوى تفصيلاً مما يعد إعجازًا علميًّا عظيمًا لا شك فيه. فقد ذكر التحريم فى سورة المائدة: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ**﴾.

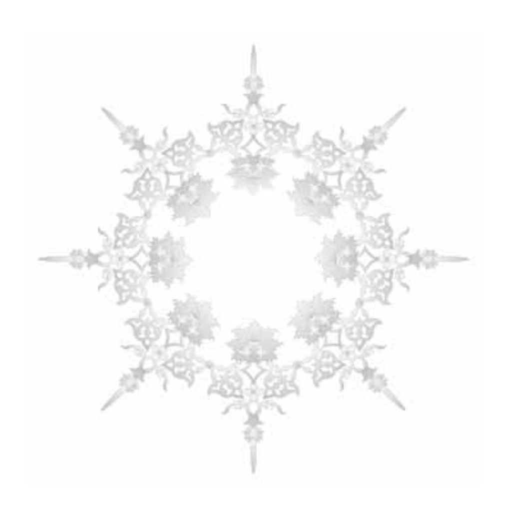
ولحم الميتة مختلط بالدهن، وخصوصًا اللحم السمين، ولا يوجد لحم سمين إلا كان معظمه شحمًا.

أما الحديث النبوى الشريف، فقد علّم الناس أن الخطر يكمن فى أكل لحم الميتة، وأن الخطر الأكبر يكمن فى شحومها، وأنه لا خطر بالانتفاع بجلودها لأنها مما لا يؤكل، فقد روى الأئمة البخارى ومسلم ومالك عن ابن عباس رضى **الله** عنهما أن رسول **الله** ﷺ مرّ بشاة ميتة فقال: «**هلا انتفعتم بإهابها**» (يعنى جلدها) قالوا: إنها ميتة فقال: «**إنما حرّم أكلها**»، وورد فى الصحيح عن ابن عباس رضى **الله**

عنهما عن عمر بن الخطاب رضى **الله** عنه أن رسول **الله** ﷺ قال: «**قاتل الله اليهود، حُرمت عليهم الشحوم فجملوها وباعوها**»(*).

وروى الشيخان عن جابر رضى **الله** عنه أن رسول **الله** ﷺ قال: «**لا يذاب شحم الميتة ولا يباع ودكه**»، والودك دسم اللحم ودهنه. وجاء فى تفسير الحديث الشريف: «**حرمت عليهم الشحوم**» أى أكلها، وإذا كان التحريم لليهود فى أكل الشحوم فى البقر والغنم فإن فى ذلك إشارة للمسلمين بأن فى الشحوم سببًا ينبغى اجتنابه، وقد حرمت عليهم الميتة.

وبذلك يكون الوحى الإلهى فى القرآن والسنة قد حرم أكل الميتة لحمًا وشحمًا، وترك الحكمة العلمية فى ذلك التحريم لاجتهاد الناس عبر العصور، إذ لو أخبرهم بالسر العلمى ما صدقوه ولأثر ذلك على تصديق الرسالة ككل، فترك البحث عن السبب للناس عبر العصور وقد ذكر لهم الحكم وأمرهم باتباعه، ويظل القرآن والحديث النبوى رسالة متجددة من **الله** عز وجل ورسوله إلى الناس جميعًا من عصر النبوة وإلى يوم القيامة.



(*) جاء ذلك فى سورة الأنعام، قال الله عز وجل: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾ [الأنعام: ١٤٦].

محتويات الكتاب

أحــــدث إصــــدارات

الأستاذ الدكتور

أحمد شوقى إبراهيم أحمد

بنهضة مصر

- موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى ـ الجزء الأول: «النبى ﷺ».
- موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى ـ الجزء الثانى: «خلق الإنسان».
- موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى ـ الجزء الثالث: «الزمن».
- موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى ـ الجزء الرابع: «الطبيعة وما وراء الطبيعة».
- موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى ـ الجزء الخامس: «النبات».
- موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى ـ الجزء السادس: «الحشرات والطفيليات والعنكبوتيات والميكروبات».
- موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى ـ الجزء السابع: «الدواب فى البر والبحر».
- تسبيح الكون.
- الإنسان وعالم الجن.
- الأحداث الثلاثة العظمى فى الدعوة الإسلامية (البعثة ـ الإسراء والمعراج ـ الهجرة).
- الروح والنفس والعقل والقرين.
- أسرار النوم.. رحلة فى عالم الموت الأصغر.
- الجبال ورسالات الأنبياء.


نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

موسوعة
الإعجاز العلمى
فى الحديث النبوى



أ.د. أحمد شوقى إبراهيم
زميل كلية الأطباء الملكية بلندن
رئيس المجمع العلمى لبحوث القرآن والسنة ج.م.ع
عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

فى البدء نشأت البراكين، وثارت فى كل مكان على سطح الأرض.. ومن ذلك نشأت الجبال، ومن قمم الجبال نبعت الأنهار، وجرت على سفوح الجبال وفى الوديان؛ فظهرت النباتات والأشجار، وبذلك توافرت أسباب الحياة للدواب، فخلق الله تعالى الدواب فى البر والبحر. وهكذا تهيأت كل أسباب الحياة للإنسان فخلق الله تعالى الإنسان آخر المخلوقات ظهورًا على الأرض.

ولم يكتشف العلماء ترتيب ظهور المخلوقات على الأرض إلا فى عصر العلم الحالى، إلا أن الحديث النبوى الشريف ذكره، مما يعد إعجازًا علميًّا لا شك فيه. كما يدل على أن الحديث النبوى وحى من الله تعالى لرسوله، وليس اجتهادًا من النبى محمد ﷺ كما زعم أعداء الدين.

ولقد سخر الله تعالى الدواب للإنسان، بصورة أو بأخرى. أما الدواب التى لم يسخرها للإنسان، فقد كان وجودها ضروريًّا لحفظ التوازن الحيوى فى عالم الدواب فى هذه الأرض.

لقد جعل الله تعالى من الأنعام: ما يأكل الإنسان من لحم، وما يشرب من لبن، وما يلبس من ملابس من صوف وشعر ووبر، كما سخرها لحمل الأثقال فى القوافل التى تعبر الصحراوات كما قال تعالى: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ٥ ـ ٧].

وجعل الله تعالى العائلة الخيلية من الدواب للإنسان للركوب والزينة كما قال تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

وللدواب فى البر والبحر صلات وثيقة بالإنسان فى حياته الدنيا، كما أن لها صلات برسالات الأنبياء: مثل ناقة النبى صالح، وقصة ذبح البقرة فى قصة النبى موسى مع بنى إسرائيل، ومثل الحوت فى قصة النبى يونس، والنبى موسى، واليهود فى القرية حاضرة البحر فى عهد النبى داود.

وكان حادث الفيل فى عام مولد سيدنا رسول الله ﷺ. كما أن اللحوم حلل الله أكلها، وحرم أكل بعضها الآخر. وأحل أكل الميتة والدم، وحرم بعضها الآخر. وذكرنا الحكمة العلمية فى ذلك، التى لم يكن الناس قديمًا يعلمونها وذكرها الحديث النبوى الشريف، ولا شك أن موضوع الدواب موضوع يطول الحديث فيه. إلا أننا ناقشناه فى إيجاز لم يخل بالمعانى المطلوبة، ولم نترك حقيقة علمية كان لابد من ذكرها إلا ذكرناها أو أشرنا إليها.

الناشر




6 221133 330763